جامعة الخرطوم

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

بحث بعنــوان

سمات شعر المخضرمين في كتاب المفضليات

مقدم لنيل درجة الدكتوراة

تقديم الطالب/ أسامة علي أحمد أبو علامة

إشراف الدكتور/ عبدا محمد أحمد

سبتمبر 2006م

فهرس الموضوعات

الإهداء

إلى روح أختي الطاهرة (أم عمار) أسأل ا أن يغفر لها ويرحمها وأن يسكننا معها في جنات الخلد:

يا (أم عمار) إن القلْب محترقُ
على دفين أسى كاللذْعِ بالنّار
إذ لا يزال بسمعِي دائراً أبداً
ترداد صوتِك يوماً اسم عمار
قد كنْتُ أحسب قربي مِنْك موعِظةً
واليوم أوعظُ مِنْه بعد أحفار
جازاك ربك في أخراك مكْرمةً
بقدر برك للقُربى وللجـار

الشكرُ

بسم ا الرحمن الرحيم والحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنام، نبي الهدى والرحمة، وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

وبعد

فأحمد ا َ العلي القدير لِما أولاني من صحةٍ، ووهبني من عافيةٍ، مكّنتْني من إتمام هذا البحث، وإكماله بلا حولٍ مني ولا قوةٍ. وأبعثُ بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان لأستاذي الدكتور عبدا محمد أحمد الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث حتّى استوى واستقام مستمِداً منه الرأْي السديد، والهدي القويم. وكذلك لا أنسى أن أشكر كل المكتبات التي استفدتُ منها بدءاً بمكتبة جامعة الخرطوم، ومكتبة الهيئة العليا للتعريب، ومكتبة جامعة أم درمان الإسلامية، ومكتبة جامعة القرآن الكريم فقد وجدت فيها نفائس الكتب التي أعانتْني على كتابة بحثي، وأزجي ثناء خالصاً لأولئك الذين شددت بهم أزري زملائي الأساتذة على رأسهم الدكتور الصديق عمر الصديق الذي أعانني بآرائه وكتبه، والدكتور أمير محمد على دليل، والأستاذ عبدالفتاح عمر محمد والدكتور أحمد حسن قرينات الذي أتحفني بدرر مكتبتهِ، وأصدق الثناء للدكتور عباس دفع ا ، والدكتور صلاح طيفور، والدكتور عبدالرحمن إبراهيم، والدكتور صلاح إبراهيم، والدكتور وليد تيمه العبيد، والأستاذ عبدالمنعم الشاذلي، وكل الأخوة بقسم اللغة العربية وغيرهم من الأساتذة الذين ما انقطع عني سؤالهم وتشجيعهم. وكما أخص الأخ عبدالهادي عبدا على صبره وإخلاصه في طباعة هذا البحث وإخراجه. وقبل كل ذلك أشكر أسرتي الكريمة التي وجدتُ منها باعثاً متّصلاً، وأملاً حياً كان خير الزاد في طريق دراستي.

المقدمة

الحمد   رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما يزالُ الأدب العربي مِحراباً للعلوم، وقبلةً للمعارف والفنون، ونَبعاً يروي الظامئين، وأرضاً بِكْراً للطامعين، ما برحتْ أسيرةً في مدارِهِ العقول، مستكِنَةً عند شطِهِ النفوس، قد ملك كُل ذِهن واستهوى كُلّ خيال، فسحر من طلبه، وفتَن من قرأه.

وإذا كان الشعر مرآةُ المجتمع يعكس خلجاته، ويفْصح عن مكنونهِ، ويعبر عن مضمونهِ، فإني أرى أن أصدق مرآةٍ شعريةٍ هى مرآة الشعر العربي الجاهلي، التي حفظتْ لنا صورة ذلك المجتمع إلى اليوم مصونةً عن كل زيفٍ، مبرأةً مِن كُل حيفٍ، إلى أن جاء الإسلام فكفَلَ لها من هديِهِ الخُلود، ووهب لها مِن وحيِهِ البقاء حتّى جعلها تسبي عين النّاظر، وتخلب لُب المتأمل، وما أحسبني إلا واحداً من أولئك، لذا أردتُ أن يكون بحثي في هذا المضمار.

فموضوع الدراسة يكْتسب أهمية لسببين: **أولهما**: أنّه لم يطرقْ من قبل. **وثانيهما**: لأنّه تغذّى من عصرين مختلفين، العصر الجاهلي بما قام عليه من فطرةٍ وسجِية لا تكلفَ فيها، والعصر الإسلامي بما تشربه من هدي ا ـ ونور النبوةِ، فجمع بذلك سماتٍ فريدة، وملامح جديدة وأحببتُ أن أبحث فيه طمعاً في ما ينطوي عليه من معارف، وجمعاً لما فيه من شتيتِ العلوم.

وبعد جمعِي لمادةِ الموضوع قسمتها إلى خمسة فصول ضم كُل فصل عدداً من المباحث، فكان الفصل الأول بعنوان كتاب (**المفضليات**) تفرع لمبحثين، تحدثتُ في المبحث الأول عن المفضل الضبي اسمه، ونسبه، وشيوخه وتلاميذه، وأشرتُ إلى سعة علمه، وثقةِ روايته، وأخباره مع الخلفاء، ومؤلّفاته ووفاته. وجعلْتُ المبحث الثاني عن كتاب (المفضليات) موضحاً أهميته، وعدد قصائده، وشروحه. وجاء الفصلُ الثاني عن **(المخضرمين)** فشمِلَ مبحثين فصلْتُ في الأول

معنى كلمة مخضرم لغةً في عشرة معاني منها الكثرة، والسعة، وقطع إحدى الأذنين، وبعد ذلك قارنتُ بين معناها عند اصطلاح اللغويين وأهل الحديث، وفي المبحث الثاني أوردتُ قضية الإسلام والشعر حيثُ تطرقت للشعر في عهد النّبي صلّى ا عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين، وموقف الصحابة رضوان ا عليهم منه، وذكرت رأي الإسلام في الشعر والشعراء مناقشاً مسألة ضعف شِعر المخضرمين والإسلاميين. وأفردتُ الفصل الثالث للحديث عن **(الشعراء المخضرمين في المفضليات)** ممثلاً في مبحثين تحققتُ في الأول من (عددهم ونسبهم) وأجملْتُ دراستي حول عشرة منهم عرفت بكل شاعر موضحاً نسبته لقبيلته مثل: (متمم بن نويرة، والمخبل السعدى، وعمرو بن الأهتم، وعبدة بن الطبيب) الذين ينتمون لقبيلة تميم، و(الحصين بن الحمام، ومزرد بن ضرار) لقبيلة ذبيان، وفي المبحث الثاني تكلّمتُ عن شعرهم وأغراضهم مثل الرثاء لدى متمم بن نويرة وأبي ذؤيب الهذلي،والفخر عند الحصين بن الحمام وعمرو بن الأهتم، وربيعة بن مقروم الضبي، والغزل لدى المخبل السعدي. واقتصر الفصل الرابع على دراسة فنية لقصائد المخضرمين، ففي المبحث الأول (المطالع) عرضت ابتداءات قصائدهم بالنسيب وصلة ذلك بأغراضهم وموضوعاتهم ومدى تأثرهم بالأقدمين، بينما درستُ في المبحث الثاني (الخروج) أو ما يعرف بحسن التخلص وطبقْتُ ذلك على قصائدهم واستعرضت في المبحث الثالث طريقة المخضرمين في ختم قصائدهم مقارنة بشعر الأقدمين. أما الفصل الخامس فقد أفردتُه للحديث عن (الوصف عند المخضرمين) قسمتُه لثلاثة مباحث تناولت في الأول (وصف الحيوان) مثل الإبل، والفرس، والثور الوحشي، وقرنت ذلك بغرض الشاعر وبيئتهِ، وفي الثاني (وصف السلاح) مثل السيف، والرمح، والدرع، وألمحتُ لصلته بمناسبة القصيدة ومضمونها. وانتهيتُ في المبحث الثالث لبيان التشبيهات في قصائد المخضرمين ومما أوردته تشبيه الناقة بالفحل أو القصر، وتشبيه الفرس بالقطار أو العصا وتشبيه المحبوبة بالظبية، وأوردت في ثنايا ذلك كثيراً من الشواهد الشعرية التي تماثل ما ذكره المخضرمون تقويةً وتوضيحاً.

واعتمدت في كل ذلك على كثير من المصادر والمراجع، فمن المعاجم (القاموس المحيط للفيروزآبادي)، و (الصحاح للجوهري)، (ولسان العرب لابن منظور)، و(أساس البلاغة للزمخشري)، ومن كتب التراجم الأدبية : (معجم الأدباء لياقوت الحموي) و(نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري)، و(إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي)، و(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطِي) ومن كتب التاريخ والأخبار (الأنساب للسمعاني)، و(الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر)، و(تاريخ الأمم والملوك للطبري)، و(جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي)، و(نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي) و(الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني) ومن مصادر الشعر اعتمدتُ على (ديوان المفضليات شرح ابن الأنباري)، و(شرح اختيارات المفضل للتبريزي)، و(شرح القصائد العشر لابن الأنباري)، و(شرح ديوان الحماسة للمرزوقي)، و(حماسة ابن الشجري). وكذلك استفدت كثيراً من (الشعر والشعراء لابن قتيبة)، و(نهاية الأرب للنويري)، و(جمهرة أشعار العرب للقرشي). وكثيراً ما لجأت لكتاب (الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني)، و(العقد الفريد لابن عبد ربه)، و(خزانة الأدب للبغدادي)، و(الأشباه والنظائر للخالديين). ومن دواوين الشعر التي استندت عليها: (ديوان لبيد بن أبي ربيعة)، و(ديوان النابغة الذبياني)، و(ديوان عنترة بن شداد)، ومن تفاسير القرآن الكريم التي بنيتُ عليها أحكامي (الكشاف للزمخشري)، و(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي). ووجدت إفادات كثيرة في (المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة لابن جني) و (الاشتقاق لابن دريد)، و (مقدمة ابن خلدون)، و (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة). ومن مصادر البلاغة والنقد التي اعتمدت عليها: (العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق)، و (فحولة الشعراء لأبى حاتم السجستاني) و (الموشح للمرزباني) و(خاص الخاص للثعالبي)، و(عيار الشعر لابن طباطبا)، (والصناعتين للعسكري)، و(الايضاح في علوم البلاغة للقزوينى) و (نقد الشعر لقدامة بن جعفر) و أوردتُ شواهد كثيرة من (الأصمعيات للأصمعي)، ومن (البيان والتبيين، والحيوان، والبرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ)، وغيرها من

المصادر والمراجع التي أعانتني على كتابة هذا البحث. ومن الصعوبات التي واجهتني:

- قلّة المصادر والمراجع التي تحوي أخبار المخضرمين كاملة، مما جعلني أقف حائراً أمام بعض جوانب حياتهم.
- اضطراب الروايات في التأكد من خضرمة كثير منهم، ونسبة بعض قصائدهم إليهم.
- لم أجد من الدراسات السابقة دراسة تناولت شعر المخضرمين في كتاب المفضليات على نحو ما فعلت مما جعلني أتردد كثيراً في الاهتداء لطريقة مناسبة تجمع البحث، ولكنّني استفدت من دراسة يحيى الجبوري (شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه) واختلفت دراستي عنه حيث قصرتها على شعراء المفضليات فقط بينما كانت دراسته على عموم المخضرمين.

الفَصلُ الأولُ

كتابُ المُفضليات

المبحثُ الأولُ: المُفَضل الضبي

اسمُهُ ونسبُهُ:

عرف الإمام أبو سعيدٍ عبدالكريم السمعاني[1] باسم المفَضل ونسبهِ فقـال: ((الضبي بفتح الضاد المعجمةِ، والباء المكسورة المشددة المنقوطة بواحـدة. هـذه النسبةُ إلى "بني ضبة" وهم جماعةٌ، ففي مضر: ضبةُ بن أد بن طابخة بن إليـاس بن مضر بن نِزار بن ربيعة بن معد بن عدنان. وفي قُريشٍ : ضبةُ بن الحـارث بن فهر بن مالك. وفي هذَيل : ضبة بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بـن هذَيل. وجماعة ينْسبون إلى كل واحدٍ من هؤلاء)). وبعد ذلك ذكر اسمه ولم يثْبتْ له كُنيةً فقال[2]: ((والمفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم بن أبي سلمى بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة بن ذُؤَيب بن السيد بن مالك بن بكر ابن سعد بن ضبة الضبي الكُوفي من أهل الكوفة)). وقصر أبو البركات الأنباري[3] اسمه على ما اشتهر به مع ذكر كُنْيته في قوله: ((وأما المفضل بن محمد الضَبي فكنيته أبـو عبدالرحمن)). وأغفل ياقوت الحموي[4] اسمه، وذكر كُنْيته ونسبته لبنـي ضـبة فقال: ((أبو عبدالرحمن الضَبي)) بينما فصل الخطيب البغدادي والقفطي في نسبه ولم يوردا كُنْيته، فقال البغدادي[5] عندما تكلم عن تاريخ بغداد مترجماً لمن اسـمه المفضل : ((المفضل بن محمد بن يعلى الضَبي الكوفي)). ويقول[6] بعـد ذلـك: ((أخبرنا عبدالكريم بن محمد بن أحمد المحاملي، أخبرنا علي بن عمر الحافظ قال: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم بن أبي سلمى بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضـبة)). وقـال

---

1) الأنساب جـ 8 ص 144، تحقيق محمد عوامة، مطبعة محمد الهاشم الكتبي بدمشق (د.ت.ط).

2) المصدر السابق جـ 8 ص 144.

3) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص 51، تحقيق د. إبـراهيم الـسامرائي، مكتبـة المنـار الأردن ط3 1405هـ - 1985م.

4) معجم الادباء جـ 19 ص 164، دار الفكر (د.ت.ط).

5) تاريخ بغداد جـ 13 ص 121، دار الكتبة العلميه بيروت لبنان (د.ت.ط).

6) المصدر السابق جـ 13 ص 121.

القفطي[7]: ((المفضل بن محمد بن يعلى الضبي الكوفي)) ويضيف بعد ذلك: ((قال علي بن عمر الحافظ الدارقطني: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم بن أبي سلمى بن ربيعة بن زياد بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن أبي بكر بن سعد بن ضبة)) ونلحظ اختلاف الروايتين في ذكر جده "زبان" في رواية البغدادي، و"زياد" في رواية القفطي ولعل هناك تصحيفاً في إحدى الروايتين لا سِيما الثانية لكثرةِ ورودِهِ على الرواية الأولى، ويقول القفطي[8] في موضع آخر: ((وذكره أبوعبيد ا المرزباني في كتابه فقال: المفضلُ بن محمد الضبي أبو العباس وقيل أبو عبدالرحمن، هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم بن أبي الريان من بني ثعلب بن السيد بن ضبة)) ومضى السيوطي[9] على غرار القفطى بأن نسب له كُنْيتين مختلفتين لم يرجح بينهما، وخالف في إيراد جده فذكر "معلى" في قوله: ((المفضل محمد بن معلى الضَبي الأديب أبو العباس وقيل أبو عبدالرحمن)).

ولكن ابن الجزري[10] زاد على ذلك فقال: ((المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر ويقال: محمد بن سالم بن أبي المعالي بن يعلى بن سالم بن أبي بن سليم بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة)).

وقدم ابن النديم[11] كُنْية أبي العباس على أبي عبدالرحمن عندما قال:((أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم بن أبي الريان ويكنّى أبا عبدالرحمن)). ولعل الرواةَ متفقون على نسبة المفضل الضَبي للكوفة،

---

[7]) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ3 ص 298، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط1 1406هـ - 1986م.

[8]) المصدر السابق جـ3 ص 301.

[9]) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة جـ2 ص 297 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر ط2 1399هـ – 1979م.

[10]) غاية النهاية في طبقات القراء جـ2 ص 307، دار الكتب العلمية بيروت، نشر برجستراسر ط3 1402هـ – 1982م.

[11]) الفهرست جـ1 ص 116، تحقيق د. سفيان خليفة، وليد محمد العوزة، دار العربي للنشر القاهرة 1991م.

بل يعد من أكابر علمائها، يروي ابن الأنباري[12]: "كان ثقةً من أكابر الكـوفيين" ويقول بذلك ابن حجر العسقلانِي[13] أيضاً: ((المفضل بن محمد الضَبي الكـوفي". وجد المفضل (يعلى بن عامر) كان على خراج الري وهمدان والماهين، ذكـره البغدادي[14] فقال: ((جده يعلى بن عامر كان على خراج الري وهمدان والماهين)) وزاد القفطي[15] بأن نسب رؤيا لجده: ((رأى جدي يعلى بن عامر في المنام كأن على بابه حبشيةً عوراء يلوح عليها سواد، فأصبح فَزِعاً، قال : فما أمسيتُ حتـى بعث الحجاج إلي فولاني الري)).

شيوخُهُ وتلاميذُهُ :

ذكر الخطيب البغدادِي[16] بعضاً من شيوخ المفضل فقال: ((سمع سـماك بن حرب وأبا إسحق السبيعي، وعاصم بن أبي النجود، ومجاهـد بـن رومـي، وسليمان الأعمش، وإبراهيم بن مهاجر، و مغيرة بـن مقـسم)). ويـضيفُ[17] موضحاً: ((يروي المفضل عن عاصم بن أبي النّجود القراءات والحديث، وعـن أبي إسحق السبيعي وسماك بن حرب وغيرهم))، ولعلّ شيوخَ المفضل السابقين هم أشهر شيوخه فكثيراً ما يرد ذكرهم في ثنايا تراجم المفضل مثل قول أبـي سـعيد السمعاني[18]:((سمع سماك بن حرب وأبا إسحاق السبيعي، وعاصـم بـن أبـي النّجود، وسليمان الأعمش)) وقول القفطي[19]: ((سمع سماك بـن حـرب، وأبـا إسحاق السبيعي، وعاصم بن أبي النجود، ومجاهد بن رومي، وسليمان الأعمـش،

---

12) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص 51.

13) لسان الميزان جـ6 ص 81، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ط2 1390هـ -1971م.

14) تاريخ بغداد أو مدينة السلام جـ3 ص 121.

15) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ3 ص 301.

16) تاريخ بغداد أو مدينة السلام جـ13 ص 121.

17) المصدر السابق جـ13 ص 122.

18) الأنساب جـ8 ص 144.

19) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ3 ص 298.

وإبراهيم بن مهاجر ومغيرة بن مقسم)). ولكن ابن حجر العسقلاني[20] شكّك في تلمذته على بعض شيوخه قال: ((المفضل بن محمد الضَبي الكوفي المقْريء صاحب عاصم يروي عن أبي رجاء العطاردي - في ما قيل - وما أظنه أدركه وروى عن أبي إسحق وسماك)) وابن الجزري[21] يخالفُ ابن حجر بأن أثبتَ روايةَ المفضل عن أبي رجاء العطاردي: قال: ((أخذ القراءة عرضاً عن عاصم بن أبي النجود، والأعمش ...)) ويقول[22] أيضاً: ((وروى عن أبي رجاء العطاردي، وأبي إسحق، وسماك بن حرب)). تتلمذ على يد المفضل كبار الأئمةِ والعلماءِ يقولُ الخطيب البغدادي[23] معدداً من روى عنه: ((روى عنه أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، ومحمد بن عمر القصبي، وأبو كامل الجحدري، وأبوعبدا محمد بن زياد بن الأعرابي، وأحمد بن مالك القشيري وغيرهم)) ويقولُ[24] بعد ذلك: ((روى عنه علي بن حمزة الكسائي ويحي بن زياد الفراء وغيرهما)) ويتسقُ ماحكاه البغدادي عن تلاميذ المفضل مع قول القفطي[25] والإمام أبي سعيد السمعانِي[26] إذْ قالا: ((روى عنه أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، ومحمد بن عمر القصبي، وأبو كامل الجحدري، وأبوعبدا محمد بن زياد الأعرابي وغيرهم)). وكذلك من العلماء الذين أخذوا عن المفضل أبوزيد الأنصاري، قال السيوطي[27]: ((روىعنه أبوزيد شِعراً كثيراً)) ويشهد على ذلك قول أبي زيد[28] عن كتابه: ((قال أبوحاتم: قال لي أبوزيد: وما كان فيه من شِعر القصِيد فهو سماعي عن

---

[20]) لسان الميزان جـ6 ص 81.

[21]) غاية النهاية في طبقات القراء جـ2 ص 307.

[22]) المصدر السابق جـ2 ص 307.

[23]) تاريخ بغداد أو مدينة السلام جـ13 ص 121.

[24]) المصدر السابق جـ13 ص 123.

[25]) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ 3 ص 298.

[26]) الأنساب جـ 8 ص 148.

[27]) المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ2 ص 406، المكتبة العصرية صيدا بيروت 1406هـ – 1986م.

[28]) النوادر في اللغة ص 141، تحقيق د. محمد عبدالقادر حسن ط1 منشورات جامعة الفاتح د. ت.ط.

المفضل بن محمد الضَبي الكوفي"، وقال الذهبي[29]: ((تلا عليه الكِسائي، وأبوزيد الأنصاري، وجبلةُ بن مالك، وروى عنه المدائِني، وأبو كامل الجحدري، وجماعةٌ)) وفصلَ ابن الجزري[30] في أخبار من أخذَ عنه قائلاً: ((روى القراءةَ عنه علي بن حمزةَ الكسائي، وجبلةُ بن مالك، وسعيد بن أوس، وروى عنه أبوالحسن المدائِني، وقيل إن ابن الأعرابي أدركه وحملَ عنه، وآخِر أصحابِهِ موتاً أبوكامل الفضل الجحدري)).

عِلْمُهُ وثِقَةُ روايتِهِ:

عظُم قدر المفَضل الضَبي لِرسوخِهِ في شتى العلُوم والفنون و الآداب، فقد أجمع الرواةُ على ثِقَتِهِ وسعةِ علمِهِ، يصِفُه ابن الأنباري[31]: ((كان ثقةً من أكابر الكوفيين))، ويعرفُه ياقوت الحموي[32]: ((أبو عبدالرحمن الضبي، الراوية الأديب، النحوي اللغوي، كان من أكابر علماءِ الكوفةِ، عالماً بالأخبار والشعر والعربية)) ويقول عنه[33]: ((وكان ثقةً ثَبتاً))، ويروي البغدادي[34] أنّه: ((كان علامةً راويةً للآدابِ والأخبار وأيامِ العربِ موثُوقاً في روايتِهِ)). وقد بلغ المفضل مكانة في العلم جعلت البصريين - على تَشددهم – يقدمونه ويعترفُون له قال ابن سلام الجمحِي[35]: ((أعلم من ورد علينا بالشعر وأصدقُه من غير أهل البصرةِ، المفضل بن محمد الضبي الكوفي. وقال جهم بن خلف: قَدِم المفضل الضبي البصرةَ وكان عالماً بالنحو والشعر والغريبِ وأيام الناس)). وأحسب أن

---

[29]) ميزان الاعتدال في نقد الرجال جـ5 ص 295. دار الفكر العربي تحقيق علي محمد البجاوى، وفتحية علي البجاوي د.ت.ط.

[30]) غاية النهاية في طبقات القراء جـ2 ص 307.

[31]) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص 51.

[32]) معجم الأدباء جـ 19 ص 164.

[33]) المصدر السابق جـ19 ص 164.

[34]) تاريخ بغداد أو مدينة السلام جـ13 ص 122.

[35]) طبقات الشعراء الجاهلين والإسلاميين ص 16 تحقيق الشيخ محمد سويد، د.ت.ط.

السيوطي[36] أخذ ذلك فقال: ((الأديب أبو العباس، وقِيلَ أبو عبـدالرحمن، كـان عالِماً بالنحو والشعر والغريب وأيام الناس)). وعندما تحدثَ أبوالطَيب اللغَوي[37] عن النحويين تَطَرقَ لعلماء الكُوفة فبدأ بالمفضل قائلاً: ((وكان للكُوفيين بإزاءِ من ذكرنا مِن علماءِ البصرة المفضلُ بن محمد الضبي، وكان عالماً بالشعر وهو أَوثَقُ من روى الشعر من الكُوفيين)). ولكنه قصر علْمه على الشِعر عندما قـال بعـد ذلك[38]: ((ولم يكُن أعلَمهم بالنحو واللغَةِ، وإنّما كان يخْتَص بالـشعر)). وعـضد ذلك بخبرٍ يقُولُ فيه[39]: "((أخبرنا جعفر بن محمدٍ قال: أخبرنا إبراهيم بن حميـد قال: أخبرنا أبو حاتم قال: كان أوثَقَ من بالكُوفةِ في الشعرِ المفضلُ الضبي. قال: وكان يقولُ: إني لا ُأحسِن شيئاً من الغريب، ولا من المعانِي، ولا تفسير الـشعر. وإنّما كان يروِي شِعراً مجرداً ولم يكُن بالعِلم بالنحو ولا كان يشْدو منه شـيئاً)). فأمانَةُ المفضل تبدو في شهادتهِ على نفسِهِ بِعدمِ إحسانِهِ ِللْغريبِ، أو المعـانِي أو تفْسير الشعر وذلك ما جعلَه موثُوقَ الروايةِ.

لم يعد الذهبِي[40] الصواب عِنْدما نَفَى عنه القِراءةَ والحدِيثَ وأفرده كأحـدِ علماءِ الشعر المخْتصين فيه بقوله: ((قال الخطيب : كان إخبارياً علامةً موثُوقـاً، وأما أبوحاتم فقال: متْروك القراءةِ والحديثِ. وقال أبوحاتم السجستَانِي: هو ثِقـةٌ في الأشْعار غير ثِقةٍ في الحروف)) ومما يدالُ على غَيرتِهِ على الشعر وصـدق روايتِهِ اتهامه لحمادٍ الرواية بإفْسادِ الشعر، وأورد ذلك ياقُوتٌ الحموي[41] حيـث قال عن المفضل ((وكان ثِقةً ثَبتاً)) وقال بعد ذلك[42]: ((قـال ابـن الأعرابِـي: سمِعتُ المفضلَ الضبي يقُولُ: قد سلطَ على الشعرِ مِن حماد الراوية ما أفْسده فـلا يصلُح أبداً فَقِيلَ له: وكيفَ ذلك؟ أَيخْطِيء في روايتِهِ أو يلْحن؟ قال: ليتَـه كـان كذلك، فإن أهلَ العِلْمِ يردون من أخْطَأ إلى الصوابِ، ولكنه رجـلٌ عـالِم بلُغَـاتِ

---

36) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة جـ 2 ص 297.

37) مراتب النحويين ص 116. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة دار الفكر د.ت.ط.

38) المصدر السابق ص 116.

39) المصدر السابق ص 116.

40) ميزان الاعتدال في نقد الرجال جـ 5 ص 295.

41) معجم الأدباء جـ 19 ص 164.

42) المصدر السابق جـ 19 ص 164.

العرب وأشْعارها ومذاهِبِ الشعراءِ ومعانِيهم، فلا يزالُ يقولُ الشعر يشبه به مذْهب رجلٍ ويدخِلُه في شِعرِهِ ويحملُ ذلك عنْه في الآفاق فتَخْتَلِطُ أشْـعار القُـدماءِ ولا يتَميز الصحِيح مِنْها إلا عِنْد عالِمٍ ناقِدٍ، وأين ذلك؟)) والمفضلُ الضبي كان يتوخى صِدقَ النقْل، ودِقةِ الروايةِ، فلا عَرو أن يصِلَه الخليفَةُ المهدِي بخمسين ألْفِ دِرهِمٍ لأمانَةِ روايتِهِ، ويبطِلَ روايةَ حمادٍ لِزيادتِهِ في أشْعار الناسِ ما ليس مِنْها وحكى[43] خبراً تَضمن ذلك قال: ((عن إبراهيم بن المهدِي قال: حدثِني السعِيدِي الراويةُ وأبو إيادٍ المؤدب قالا: كُنا في دار أمير المؤمِنين المهدِي بعيساباذ، وقد اجتمع فيهـا عدد مِن الرواةِ والعلماء بأيامِ العربِ وآدابِها وأشْعارِها ولُغاتِها إذْ خـرج بعـض أصحاب الحاجِبِ فدعا المفضلَ الضبي الراويةَ، فدخلَ فمكثَ ملِياً ثُم خـرج إلينـا ومعه حماد والمفضلُ جمِيعاً، وقد بان في وجهِ حمادٍ الانكِسار والغَم، وفي وجـهِ المفضل السرور والنشاطُ، ثُم خرج حسين الخادم فقال: يا معشَر من حضر مِـن أهل العلم، إن أمير المؤْمنين يعلِمكُم أنه قد وصلَ حماداً الشاعِر بعِـشْرين ألْـفِ دِرهمٍ لجودةِ شِعرِهِ، وأبطَلَ روايتَه لِزيادتِهِ في أشْعار الناسِ ما ليس مِنْها، ووصلَ المفضلَ بخَمسين ألفاً لِصدقِهِ وصِحةِ روايتِهِ، فمن أراد أن يسمع شِعراً جيداً محدثاً فليسمع من حمادٍ، ومن أراد روايةً صحِيحةً فليأخُذها عن المفضل. فـسألْنا عـن السببِ فأخبرنا أن المهدِي قال لِلمفضل لما دعا بِهِ وحده : إني رأيت زهيراً بـن أبي سلْمى افتَتَح قصيدتَه بأن قال: ((دع ذا وعد القولَ في هرِمٍ)) ولم يتقدم له قبل ذلك قول، فما أمر نفسه بتركه؟ فقال له المفضل: ما سمِعتُ يا أمير المؤْمنين فـي هذا شيئاً إلاّ إني توهمتُه، كان يفكر في قولٍ يقُولُه أو يروي في أن يقولَ شِـعراً، فعدل عنه إلى مدح هرم وقال: دع ذا، أو كان مفكراً في شَيءٍ مِن شـأنِهِ فتركـه وقال: دع ذا فأمسك المهدِي عنه، ثُم دعا بحمادٍ فسأله عن مِثْل مـا سـأل عنـه المفضل فقال: ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين قال: فكيف قال؟ فأنْشَد:

لِمن الديار بقُنّةِ الحِجر

أقوين مذْ حِججٍ ومذ دهــر

قَفْر بِمنْدفع النحائِبِ مِن

---

[43]) معجم الأدباء جـ 19 ص 167.

ضوى أولاتِ الضال والسدر

دع ذا وعد القولَ في هرمٍ

خير البداةِ وسيدِ الحضـــر

قال: فأطْرقَ المهدي ساعةً ثم أقبل على حمادٍ فقال لـه: قـد بلـغَ أميـر المؤمنين عنْك خبر لابد من استحلافك عليه، ثم استحلفه بأيمان البيعةِ وكل يمـينٍ محرجةٍ ليصدقن عن كل ما يسألُه عنه، فحلف له بما توثقَ منه، فقال له: أصدقْني عن حال هذه الأبياتِ ومن أضافها إلى زهيرٍ؟ فأقر له حينئذٍ أنّه قائلُها، فأمر لـه وللمفضل بما أمر به من صلةٍ وشُهرةِ أمرهما وكشفِهِ)).

وكان المفضلُ مع علْمِهِ بالشعر لا ينْظِمه، وأحسب أن هذا مما قوى ثقتَـه لدى العلماءِ يقُولُ القفطي[44]: ((وقيلَ للمفضل: لِم لا تقولُ الشعر وأنتَ أعلم الناسِ به؟ فقال: عِلمِي به يمنَعنِي مِن قولِهِ، وأنشَد عقِب هذا القولَ:

أبى الشعر إلاّ أن يفيئَ رديئُه

علي ويأْبى منْه ما كان محكمـا

فيا ليتَنِي إذْ لم أجِد حوك وشْيِهِ

ولم أك مِن فُرسانِهِ كُنْتُ مفْحمـا

أخْبارُهُ مع الخُلفاءِ:

صِدقُ المفضل في روايته للشعر أذاع صيتَه بين الناسِ، ورفع قدره لـدى الخُلفاءِ الذين كانُوا يمتحون مِن نبعِهِ، ويهتَدون برأْيِهِ فكثِيراً ما يدعوه الخليفةُ ليجلُو ما غمض، ويبين ما أشْكلَ يقُولُ القفطي[45] ((وللمفضل أخبار مع المهدي، وأخبار مع الرشيد ومع جماعةٍ من الشعراءِ)) ولكثرةِ أخبار المفضل مع الخلفاءِ والشعراءِ قال بعد ذلك[46]: ((ليس هذا موضِع استقْصائها، وإن أخر ا في الأجل استقصيتُ أخباره في مصنفٍ مفْردٍ أسمِيه (المفصلُ في أخبار المفضل) إن شاء ا تعـالى،

44) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ 3 ص 300.

45) المصدر السابق جـ 3 ص 305.

46) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ 3 ص 305.

لأني أذكُر فيه أخباره مفصلةً مفنّنةً، مع كُل من له خبر)). ومِـن أخبـارِهِ مـع المهدِي ما رواه إسماعيلُ بن القاسم القَالِي البغْدادِي[47]: ((حدثنا أبو حاتم عن أبي زيدٍ عن المفضل الضبي قال: دخلْتُ على المهدي فقال لي قبلَ أن أجلِس: أنشدِني أربعةَ أبياتٍ لا تَزد عليهن – وعنْده عبدا بن مالكٍ الخُزاعِي – فأنشدتُه:

وأَشْعثَ قَد قَد الشِفار قَمِيصه
يجر شِواء بالعصا غير منْضـجِ

دعوتُ إلى ما نَابنِي فأجابنِي
كريم من الفِتْيان غير مزلـ ـ ـجِ

فَتًى يملأُ الشيزى ويروي سِنَانَه
ويضرب في رأْسِ الكمِي المدججِ

فَتًى ليس بالراضِي بأَدنى معِيشَةٍ
ولا في بيوتِ الحي بالمتَولـ ـجِ

فقال المهدِي: هو هذا – وأشار إلى عبدِا بن مالك – فلما انْصرفْتُ بعثَ إلي بألْفِ دينارٍ. ومِن أَخْبارِهِ مع الخليفةِ الرشيدِ والتي تدل على سعةِ عِلْمِـهِ مـا رواه القفطي[48] عن المفضلُ أنه: ((قَدِم بغداد في أيامِ الرشيدِ. قال الرشيد لِلْمفضل الضبي: ما أحسن ما قِيلَ في الذئْبِ؟ ولك هذا الخاتَم في يدِي وشِراؤُه ألفٌ وستمائةِ دِينارٍ فقالَ قولُ الشاعِرِ:

ينَام بإحدى مقْلَتَيهِ ويتقِي
بِأُخْرى المنَايا فَهو يقْظَان هاجِع

فقالَ: ما أُلْقِي هذا على لسانِك إلاّ لِذَهابِ الخَاتَمِ.

---

[47]) الأمالي جـ 1 ص 266 لجنة إحياء التراث العربي دار الجيل بيروت لبنـان ط 2 - 1407هـ ـ - 1987م.

[48]) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ 3 ص 303.

وحاقَ بِهِ إليهِ، فاشْتَرتْه أُم جعفرٍ بألفٍ وستمائة دينارٍ وقالَتْ: كُنْـتُ أَراك تُعجب بِهِ، فألْقاه إلى الضبي وقال: خُذْه وخُذِ الدنَانِير، فما كُنا نَهب شيئاً ونرجِـع فيه))[49].

نِسبتُهُ لِلشيعةِ:

نَسب القفطي[50] المفضلَ الضبي للتشيُعِ في خبرٍ أورده ولم يطْمئن إليهِ لذَا قال: ((ويقَالُ: إن المفضلَ بن محمدٍ خرج مع إبراهيم بن عبدِا بن حـسن بـن حسنٍ، فظفر بِهِ المنْصور وعفا عنْه، وألزمه المهدِي)). ولكنه يورد بعد ذلـك أَن إبراهيم بن عبدا استتر عند المفضل: ((وكان إبراهيم بن عبدِا بن حسن استَتَر عندِي)) ويؤَكد أبو الفَرجِ الأصفهانِي[51] ما أورده القفطي حيـثُ قـال: ((كـان إبراهيم بن عبدا بن الحسن متوارياً عندى)) ويزيد في موضعٍ آخر[52]: ((حدثنا أحمد بن سعيدٍ، قالَ حدثنا يحي بن زكريا بن شَيبان، قال حدثنا يحي بـن صـالحٍ الجريري، قال: سمعتُ يونُس بن أَرقم العنْزي، وكان مِن أصحابِ إبـراهيم بـن عبدا ، يقُولُ: كان المفضلُ بن محمد الضبي له غاشيةٌ على التشيعِ، وكان إبراهيم بن عبدا بن الحسن إذا اجتمعنا إليه يجمعنَا عند المفضل. حدثنا أحمد بن سـعيدٍ، قال: حدثنا عبدالملك بن محمدٍ الرقَاشِي، قال: حدثنا أبي قال: سمعتُ يزيـد بـن ذَريعٍ يقُولُ: وأما المفضلُ الضبي فكان أكثر إقامةِ إبراهيم عنده حتى خرج، فكان لا يزالُ يدس ويحتالُ لِكُل من أمكنه أَن يحوزه إلي مذْهبِهِ)). والغَريب أَن تـشيع المفضل لم يفْشُ بين العلماءِ لا سِيما من ترجموا له، فلم أَجِد في ما تيسر لِي مـن قال بذلك غير القفطي وأبو الفرج الأصفهاني وإن كان ذلك صحِيحاً فلماذا أغْفَـلَ الذين ترجموا له الإشارةَ لِمذْهبِهِ؟ ووجدتُ أَن أكثر العلماءِ يشِيرون لِورعِهِ بل كان يكْتُب المصاحِفَ ويقِفُها في المساجدِ تكْفِيراً لما يكْتُبه مِن هجاءِ الناس وبذلك قـال

---

[49]) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ 3 ص 303.

[50]) المصدر السابق جـ 3 ص 303.

[51]) مقاتل الطالبيين ص 373، تحقيق أحمد صقر دار المعرفة بيروت د.ت.ط.

[52]) المصدر السابق ص 378.

القفطي[53] عنه: ((قال عمر الجرجاني عن المفضل الضبي: إنّه كان يكتب المصاحف ويقفها في المساجد، فقُلْتُ له: ما هذا؟ فقال أُكفر ما كتبتُه بيدي من هجائي الناسَ)) وروى[54] له بيتين يدلان على ورعِهِ أنشدهما على باب الهادي: قال أبو الجواب الأعرابي كُنا على بابِ الهادِي وقد مات فلم يبقَ ببابِه أَحد، فإذا شيخٌ طويلٌ جميلُ الوجهِ ينْشِد:

خَلَتْ إلا مِن الذِئْبِ البِلاد
تَحملَ أهلُها عنْها فبادوا
فكانتْ أُمةً بلغَتْ مداها
لِكُلِ زروعِ مزرعةٍ حصاد

فقلْتُ: مِن هذا؟ قِيلَ: المفضلُ الضبي.

مُؤلفاتُهُ :

ترك المفضلُ الضبي كثيراً من الكُتِب أفضلُها الأشْعار المخْتارةُ المسماةُ بالمفضلِياتِ يقُولُ أبو البركاتِ الأنْباري[55]: ((وللْمهدي جمع الأشْعار المخْتارةَ المسماةُ المفضليات)) ويقُولُ[56]: ((وله من الكُتُبِ كِتاب الأمثال، وكِتاب معاني الشعر، وكِتاب العروض)) ويذكُر له ياقُوتٌ الحموي[57] تصانِيفَ أُخْرى: ((وللْمفضل من التصانِيفِ كتاب الاخْتِياراتِ، كتاب معانِي الشعر، كتاب الأمثال، كتاب الألْفاظِ، كتاب العروض، المفضليات)) والملاحظُ أَن مؤلفاتَه انحصرتْ في الشعر أو في ما يخدم الشعر، ويكاد العلماء يتفِقُون في نِسبة كل الكُتُبِ السابِقَةِ له لِذَا عنْدما تَطرقَ ابن النديم[58] لِمؤلفاتِهِ قال مفصلاً: ((وله من الكُتُبِ الاختياراتُ مطبوعةٌ نَشَرها أبوبكر عمر الداغستاني المدني، القاهرةُ، وكتاب الأمثالُ مطْبوع

---

[53]) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ 3 ص 302.

[54]) المصدر السابق جـ 3 ص 302.

[55]) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص 51.

[56]) المصدر السابق ص 51.

[57]) معجم الادباء جـ 19 ص 165.

[58]) الفهرست جـ 1 ص 116.

بمطبعةِ الجوائب بإستانبول، وكتاب العروض، وكتاب معـانِي الـشعر، وكتـاب الألْفاظِ)).

وفاتُهُ :

اخْتلفَ الرواةُ في السنةِ التي ماتَ فيهـا المفـضلُ علـى قـولَين: الأولُ: أكْثرهما وأرجحهما وهو الذي يقُولُ إن وفاتَه كانتْ سنةَ ثمانٍ وستين ومائة لِلْهجرةِ وبذلك قال ابن حجر العسقلانِي[59]: ((ولما بلَغَ ابن المبارك موتُ المفضل هذا أو الذي يليه (يعنِي ابن مهلْهل) أنْشد:

نُعِي لِي رجالٌ والمفضلُ مِنْهم

وكيفَ تقَر العين بعد المفضل

ماتَ هذَا في سنةِ 168هـ))، وأيضاً ذهب إلى ذلك أبو عبـدا عثمـان الذهبِي[60]: ((ولما بلغ ابن المبارك موتُ المفضل هذَا أو الذي يليه أنْشد:

نُعِي لِي رجالٌ والمفضلُ مِنْهم

وكيفَ تقَر العين بعد المفضل

مات هذا سنة 168هـ))، وكذلك ابن الجزري[61] يقول: ((ولما بلغَ ابـن المبارك موتُه أنْشد:

نُعِي لي رجالٌ والمفضلُ مِنْهم

فَكيف تقَر العين بعد المفضل

قلْتُ تلَوتُ بِروايتِهِ القُرآن مِن كِتابي المستَنِير لابن سِوار والكِفايـة لأبـي العِز وغيرِهما مع شُذُوذٍ فيهما وماتَ سنة ثمانٍ وستين ومائة)).

وأما القولُ الثانِي فهو ليوسف بن تَغْري بردِي[62] الأتابكِي ولم أجِـد مـن قالَ بِهِ غيره، أرخَ لِما وقَع مِن الحوادث سنة 171هـ فقال: ((وفيها تُوفِي المفضلُ بن محمد بن يعلَى الضبي)).

---

59) لسان الميزان جـ6 ص 81.

60) ميزان الاعتدال في نقد الرجال جـ 5 ص 295.

61) غاية النهاية في طبقات القراء جـ2 ص 307

المبحثُ الثاني: كِتَابُ المُفضلِيات

أهمِيةُ المُفضلِياتِ:

تُعد المفضلِياتُ مِن أوثَقِ ما خَلّفَ المفضلُ الضبي، وأَنْفس ما جمع مِن شِعر، يقُولُ الخَطِيب التبريزي[63] في بدءِ شرحِهِ لها: ((سألتَنِي أدام الله توفيقك، أن أشْرح لك القصائد المفضلِيات بعد فَراغِي مِن شرح كتابِ الحماسةِ، لاتفاق الناسِ على أنّه ليس فيما اخْتِير مِن المقصداتِ أحسن مِما اختاره المفضلُ بن محمدٍ الضبي، كما أنه ليس في المقطعاتِ أحسن مِن اختيار أبي تَمامٍ حبيب بن أوسٍ الطائي في الحماسةِ)) والمفضلياتُ أقدم اخْتيارٍ للشعر العربي بعد المعلقاتِ السبع، قال أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون في تحقِيقِهما لها[64]: ((نستطِيع أن نقُولُ: إن هذه المجموعةَ الشعريةَ العظيمةَ، نَعنِي المفضلِيات أقدم مجموعةٍ صنِعتْ في اختيار الشعر العربي، فكان الرواةُ قبلَها يصنعون أشْعار القَبائل، يضمون أشْتاتَ شِعر المنْتمِين إلى قبيلةٍ واحدةٍ، ويجعلُون كُلاً منها كتاباً)) واستطْردا في مقدمةِ الكِتابِ مبينَين فَضلَ قِدمِها وسبقَها فقالا[65]: ((ولا نعلَم أحداً قبلَ المفضل الضبي أقدم على أن يصنع لِلناسِ اخْتِياراً من الشعر، إذْ كان جل هم الرواةِ أن يقْتنِصوا هذه الثَروةَ الفنيةَ التي وصلتْ إليهم)). وكما وضحا ما اخْتِير قبلَها من الشعر[66]، ((ولم يؤْثر عنهم شيء مِن الاختيار، فيما نعلَم، إلاّ ما يروى مِن تَنازعِهم على أفْخر بيتٍ للعربِ، وأهجاه، وأغزله، ومن مجادلتِهِم في أشْعر الشعراءِ وأجودِهِم قولاً، وإلا ما يروى من اخْتيار العربِ في جاهليتهم لِلْقصائدِ المعلقاتِ)).

أورد ناصر الدين الأسد[67] شبه ما سبق عنْدما تكلّم عن الاختياراتِ: ((أما مخْتاراتُ الشعر العربِي فأقدم ما وصلَ إلينا المجموعةُ التي اختارها المفضلُ بن

---

62) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ2 ص 69، تحقيق د. إبراهيم علي طرفان، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر د. ت. ط.

63) شرح اختيارات المفضل جـ1 ص 91، تحقيق د. فخر الدين قباوة – دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2 1407هـ – 1987م.

64) المفضليات ص 9 تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ط8 دار المعارف د.ت.ط.

65) المصدر السابق، ص 9.

66) المصدر السابق ص 9.

67) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص 573. دار الجيل بيروت ط 7 ، 1988م.

محمدٍ الضبي – رأس علماءِ الكُوفةِ في عصره – والتي عرِفَتْ بالمفضليات. ولـم يبلغْنا أن أحداً قبلَ المفضل اختار شيئاً مِن الشعر وجمعه في مجموعةٍ مـستقِلّةٍ إلا ما قدمناه من أمر المعلقات)). وتنجلي للمفضليات قمةٌ سامقةٌ، ودرجـةٌ جليلـةٌ، ولذلك نجد شوقي ضيف[68] قد استعظم ما فيها من نُصوصٍ شِـعريةٍ تَنْـأى عـن الشك: فعنْدما تحدثَ عن المفضل الضبي ذكرها فقال: ((وقد خلفَ مجموعةً كبيرةً من أشْعار الجاهليين، هي الملقبةُ بلقَبِ المفضليّاتِ، وهي أروع مـا بأيـدينا مـن نُصوصِ الشعر الجاهلي ووثائقِهِ التي لا يرقى إليها الشّك)). فهذا الوصفُ الدقيقُ، والحكْم الكاملُ أجمله عبدالحميد الشلْقامي[69] عنْدما ترجم له قائلاً: ((وهذا لُغَـوي آخر كانتْ همتُه جمع الشعر وظهرتْ أولُ مجموعةٍ كبيرةٍ في الشعر علـى يديـهِ وسميتْ بالمفضليات)).

ولِقِدمِ المفضليات وأوليتِها، ذاع صيتُها، وارتبط ذكْرها بذكْر المفضل، بلْ غلَب سائر كُتُبِهِ ومصنفاتِهِ، ومِن ذلك أن ياقوتاً الحموي[70] قال عن مصنفاتِهِ بعد أن ترجم له: ((ولِلْمفضل من التصانيفِ كِتاب الاخْتِيارات)) يعنـي المفـضلياتِ. وثبتَ ذلك عنْد الأقْدمين ومضى على نَسقِهِ المحدثُون، مِثل عبدالباقِي بن عبدالحميد اليماني[71] في ترجمتِهِ لِلنحاةِ واللغويين، قال بعـد أن عـرفَ المفـضلَ منوهـاً بالمفضليات: ((ومِن تصانِيفِهِ الأشْعار المخْتارةُ المعروفةُ بالمفضلياتِ)).

عددُ قصائدُها:

رغْم وثُوق روايةِ المفضل والاستيقان بكل ما روى مِن شِعرٍ؛ فقد تـسرب الشك لِلْمفضليات بطريقَين، **الأولُ**: عدد القصائدِ الذي تَضمنتْه، فقد وجدتُ اختِلافاً عِنْد العلماءِ في عددِ قصائدِها حتى قبِلُوا في ذلك – على اخـتِلافِهم – الاحتمـالَ

---

[68]) تاريخ الأدب العربي ص 153، دار المعارف ط11 د. ت. ط.

[69]) مصادر اللغة ص 395، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس ط1 1977م.

[70]) معجم الأدباء جـ 19 ص 165.

[71]) إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ص 352 تحقيق د. عبدالمجيد دياب، شركة الطباعة العربية السعودية ط1 1406هـ – 1986م.

والرجحان، يقول عنْها القفطي[72]: ((وهي مائةٌ وثمانيةٌ وعشْرون قَـصِيدةً وقـد تزيد وتنقُص))، ومِثْلُ ذلك قالَ ابن النَدِيم[73]: ((وهي مائـةٌ وثمانيـةٌ وعـشْرون قصيدةً))، و يذْهب حاجِي خليفة[74] إلى أن عددها مائةٌ وأربع وعشْرون قَـصِيدةً ((وهي مائةٌ وأربعةٌ وعشرون قصيدةً)) خِلافاً لِما سبقَ؛ بينما انْتَهى ناصر الـدين الأسد[75] في حديثِهِ عن المفضليات إلى أن عددها مائةٌ وست وعـشرون قـصيدةً زيدتْ عليها أربع قصائِدٍ بعد ذلك في قولِهِ: ((وتحتوي المفضلياتُ التي بين أيدينا على مائةٍ وستٍ وعشرين قصيدةً. أُضِيفَ إليها أربع قصائِدٍ وجِدتْ فـي إحـدى النسخ)). وطابقه أحمد محمد شاكر وعبدالـسلام هـارون فـي تحقيـقِ راجـحٍ للمفضليات، قالا[76] فيه ((هذه المفضلياتُ في يـدِنا 126 قـصيدةً)) وقـالا بعـد ذلك[77]: ((يضافُ إليها أربع قصائِدٍ أُلْحِقَتْ بها وجِدتْ في بعضِ النُسخ فتأْلك 130 قصيدةً)). **والثاني**: عدد القصائِدِ التي ينْسب اختيارها لِلْمفـضل: وكمـا اختلاف العلماء في عددِ قصائد المفضلياتِ اختلفُوا أيضاً في عددِ القـصائِدِ التـي يعـزى اختيارها لِلْمفضل مِنْها، ومن ذلك ما رواه أبو الفرج الأصبهانِي[78] أن إبراهيم بن عبدا بن الحسن اختار مِنْها سبعين قصيدةً وصدر بها المفضلُ بعد ذلك اختيـار الشُعراءِ ((حدثنِي أحمد بن عبدا بن عمارة، قال: حدثنِي ميسرةُ بن حسان، قـال حدثنِي ابن الأعرابِي، عن المفضل وحدثنِي محمد بن الحسن بن دريدٍ، قال حـدثنا أبو حاتِمٍ، عن أَبِي عثْمان اليقطري، عن المفضل. وحدثنا يحي بن علي بن يحي، وعمرو بن عبدا ، وأحمد بن عبدالعزيز، قالُوا : حدثنا عمر بـن شُـبة، قـال : حدثنِي عبدالملك بن سليمان، عن عِلِي بن أبي الحسن، عـن المفـضل الـضبي، وراويةِ ابن الأعرابي واليقطري عن المفضل، وسائر من ذكرتُ يأْتِي بـشَيءٍ لا

---

72) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ 3 ص 302.

73) الفهرست جـ 1 ص 116.

74) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون جـ6 ص 468. تحقيق لطفي عبدالبديع مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر 1382هـ -1963م.

75) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص 573.

76) المفضليات ص 10.

77) المصدر السابق ص 10.

78) مقاتل الطالبيين ص (372 – 373).

يأتي به الآخر قالَ: كان إبراهيم بن عبدا   بن الحسن متَوارياً عِنْدِي، فكُنْتُ أَخْرِج وأَتْركُه، فقال لِي: إنك إذا خرجتَ ضاقَ صدري، فأخرج إلي شيئاً من كُتُبِك أتفرج بهِ، فأخرجتُ إليهِ كُتُباً مِن الشعر، فاخْتار مِنْها السبعِين قصيدةً التي صدرتُ بها اختيار الشّعراءِ ثم اتممتُ عليها باقي الكِتابِ)). ويرى أبو علي القالي[79] أن المفضلَ أخرج منها ثمانِين قصيدةً للمهدِي، وقُرِئَتْ بعد على الأصمعِي فصارتْ مائةً وعشْرين يقُولُ: ((قال أبو الحسن علي بن سليمان: حدثنِي أبوجعفَرٍ محمد بن الليث الأصفهانِي قال: أملَى علينا أبوعِكْرمةَ الضبي المفضليات مِن أولها إلى آخِرِها، وذكر أن المفضلَ أَخْرَج منها ثَمانِين قصيدةً للمهدِي، وقُرِئَتْ بعد على الأصمعِي فصارتْ مائةً وعشْرين)). وكثُر الاضطِراب حول ذلك حتى صرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون قائلَين[80]: ((وهذه أخبار كما ترى فيها اختلافٌ وفيها اضطِراب، وفي ترجِيحِ بعضِها على بعضٍ عسر وحرج، بل لعلّه غير مستطاعٍ)) ولكنهما فسرا سبب ذلك الاضطرابِ بقولهما[81]: ((إذْ أكثر رواتِها مِن رجال الأدبِ الذين لم تُنْقَد تَراجِمهم وأَخْبارهم ورواياتِهم بالنقْدِ العِلْمِي الدقيقِ الذي سار عليه رواةُ السنّةِ في نقْدِ رواةِ الحديثِ)).

اعتَرف العلماء بأن عدد القصائدِ قد يزيد وقد ينقُص ويتقدم ويتأخر ولكِنهم اتفقُوا على أن أصح ما يروى مِنْها هو ما ورد عن ابن الأعرابِي قال ابن النديم[82] بعد أن ذكر أن عدد قصائدِها مائةٌ وثمانٍ وعشْرون قصيدةً: ((وقد تزيد وتنقُص، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسبِ الروايةِ عنْه والصحِيحةُ التي رواها عنْه ابن الأعرابِي)) وأيضاً جرى القفطي[83] على مثْل ذلك فقال: ((وقد تزيد وتنقُص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسبِ الروايةِ عنْه، والصحيحةُ التي رواها عنْه ابن الأعرابِي)) وأحسب أن أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون قد وفقَا في

---

[79]) ذيل الأمالي والنوادر ص 130، دار الجيل، بيروت لبنان ط2 1407هـ –1987م.

[80]) المفضليات ص 13.

[81]) المصدر السابق ص 13.

[82]) الفهرست جـ 1 ص 116.

[83]) إنباه الرواة إلى أنباه النحاة جـ 3 ص 300.

تَخْرِيجِهما لِجملةِ الآراءِ المضطربةِ، ووصلا لرأْيٍ توسطًا فيه وبيناه بقولهما[84] ((ولكنا نُحاوِلُ أن نُخْرِج مِن بينِها رأْياً وسطاً يصدقُها في جملتِها ومجموعِها، وإن خالفَ بعض تفاصيلها وجزئياتِها ولعله أقرب الآراءِ إلى الصواب إن شاءِ الله)).

وشرحا ذلك مؤكدين أن أصلَ المفضليات السبعون التي اختارها إبراهيم بن عبدالله بن حسن[85]: ((ونرى أن أصلها السبعون التي اختارها إبراهيم بن عبدالله بن حسن، والتي يقُولُ المفضلُ فيها: ((صدرتُ بها اختيار الشعراءِ، ثُم أتممتُ عليها باقي الكتاب وأنه زادها بعد عشْراً حين تقدم إليه المنْصور في اختيار قصائدٍ للمهدِي، فصارتْ ثمانِين وأن هذه الثمانِين هي أصلُ الكِتابِ عن المفضل، لم يتجاوزها، ثُم قُرِئتْ على الأصمعِي فأقرها وزادها قصائد وزاد في بعض قصائدِها أبياتاً، واختار قصائد أُخَر. ثم جاء من بعد الأصمعِي وزادوا في القصائد – أصلِها ومزيدِها- أبياتاً دخلتْ في روايتَى المفضل والأصمعِي حتى اختلطتْ كُلها فلم يكن ميسوراً أن يجزم جازم بما كان أصلاً وما كان مزيداً)).

ووجدتُ اختلافاً أيضاً حول نسبةِ المفضليات لِلْمفضل نفسه، وحول سبب جمعِها فقد نَقلَ القفطي[86] روايةً – على لسان المفضل يعزي اختيارها لإبراهيم بن عبدالله بن حسن – يقُولُ: ((وقال العباس بن بكار الضبي: قلْتُ لِلْمفضل الضبي: ما أحسن اختيارك للأشعار! فلو زدتَنا مِن اختيارك فقال: والله ما هذا الاختيار لي، ولكن إبراهيم بن عبدالله بن حسن، استَتَر عنْدِي فكُنْتُ أُطَوفُ وأعود إليه بالأخبار، فيأمرنِي ويحدثنِي، ثُمَ حدثَ لي خُروج إلى ضيعتِي أياماً، فقال لي: اجعلْ كُتبك عِنْدِي لاستريح إلى النظر فيها، فجعلْتُ عنْده قمطِرين فيهما أشْعار وأخبار، فلما عدتُ وجدتُه قد علم على هذه الأشعار، وكان أحفظَ الناسِ للشعر، وأعلمهم فجمعتُه وأخرجتُه، فقال الناس: اختيار المفضل)).

---

[84]) المفضليات ص 13.

[85]) المصدر السابق ص 13.

[86]) إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ 3 ص 305.

بينما روى أبو الفرج الأصبهاني[87] القصةِ السابقةِ وزاد عليها قوله: ((إن المفضلَ صدر بها اختيار الشعر وأتم عليها باقي الكتاب فاختـار منهـا الـسبعين قصيدةً التي صدرتُ بها اختيار الشعراءِ ثم اتممتُ عليها باقي الكتاب))، وفي خبرٍ آخر ينسِب اختيار المفضليات لِلمفضل الضبي أورد أبو علي القالي البغـدادي[88] قصةَ مرور المنصور بالمهدي وهو ينْشد المفضلَ: ((قال أبوعكرمة الضبي: مـر أبو جعفرٍ المنصور بالمهدي وهو ينْشِد المفضلَ قصيدةَ المسيبِ التي أولُها: أرحلت وهي هذه :

أرحلْتَ مِن سلْمى بِغَيرِ متَاعِ

قبلَ العطَاسِ ورعتها بِوداعِ

فلم يزلْ واقِفاً بحيثُ لا يشعر به، حتى استْوفى سماعها ثُـم صـار إلـى مجلسٍ له وأمر بإحضارهِما. فحدثَ المفضل بوقُوفِهِ واستِماعِهِ لقـصيدةِ المـسيبِ واستِحسانِهِ إياها، وقال له : لو عمدتَ إلى أشْعار الشعراءِ المقِلين واخترتَ لفتـاك لكُل شاعرٍ أجود ما قال لكان ذلك صواباً، ففعل المفضلُ)). وهذا ما وجدتُ عليـه أكثر رأْي العلماء القائلين إن المفضل الضبي وضعها للمهدِي وهذا مِثلُ قول أبـي البركات الأنْباري[89]: ((وللمهدِي جمع الأشعار المختارةَ المسماه المفـضليات)) و ياقوت الحموي[90]: ((وهي أشّعار مختارةٌ جمعها للمهدِي)) وزاد القفطي[91] على ما سبق بقولهِ بخُروج المفضل مع إبراهيم بن عبدا بن حسن وعفْـو المنـصور عنه: ((ويقَالُ : إِن المفضلَ بن محمد خرج مع إبراهيم بن عبدا بن حسن، فَظَفَر به المنصور وعفا عنْه، وألْزمه المهدِي، وِللْمهدِي عمِلَ الأشعار المختارةَ المسماه (المفضليات). وزعم حاجي خليفة[92] أن المفضلَ وضعها للرشيدِ ولم أجد من قال

---

[87]) مقاتل الطالبيين ص 373.

[88]) ذيل الأمالي والنوادر جـ 3 ص 130.

[89]) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص 51.

[90]) معجم الأدباء جـ 19 ص 165.

[91]) إنباه الرواة إلى أنباه النحاة جـ3 ص 299.

[92]) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون جـ 6 ص 468.

بذلك غيره، قال عندما تكلم عنها: ((وهي مائةٌ وأربع وعشرون قـصيدةً جمعهـا للرشيد الخليفة العباسي)).

شُرُوحُ المُفضلياتِ:

يقُولُ الخطيب التبريزي[93] في تقديمِهِ لشرحِها: ((فعرفْتُك أَنها قد شُرِحتْ، وفيما شرحه العلماء المتقدمون كفايةٌ وفيه مقنع)) وهذا يدل على جودة شُـروحها قبله، إذْ أَن المفضلَ لم يشرحها قال ناصر الدين الأسد[94]: ((ولم يشْرحِ المفـضلُ الضبي هذِهِ المخْتارات، إذْ أن المعروفَ عنه ((إنما كان يروي شِعراً مجرداً، ولم يكن بالعالم بالنحوِ ولا كان يشْدو منه شيئاً، وكان يقول: إني لا أُحسن شـيئاً مِـن الغريبِ، ولا من المعاني ولا تفسير الشعر)). وثبتَ أن أقْدم شرحٍ هو لأبي محمدٍ القَاسم بن بشار قال أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون[95]: ((وأقدم شرحٍ عرفَ هو شَرح أبي محمدٍ القاسم بن بشار ورواه عنه ولده أبوبكْرٍ محمد بن القاسم بـن محمدٍ بن بشارٍ))، وفصلَ ناصر الدين الأسد[96] ذلك قـائلاً: ((ومـا فـي هـذه المفضليات من شرحٍ إنما صنعه أبو محمدٍ القاسم بن محمدٍ بن بـشارٍ الأنْبـاري (المتوفي سنة 304هـ) وقد أخذها إملاء مجلِساً مجلِساً عن أبي عِكْرمة عامر بن عمران الضبي (المتوفى سنة 250هـ) وأخذها أبوعكرمة عـن ابـن الأعرابـي (المتوفي سنة 232هـ)، ولم يكْتفِ أبو محمد بذلك، وإنما كان يرجِع إلى علمـاءٍ آخَرِين مثل أبي عمرو بنْدار الكرخِي، وأبي بكْرٍ العبدِي، وأبي عبدا محمدٍ بـن رستُم، وأبي الحسن علي بن سِنان الطُوسِي، ويقُولُ مستطرداً[97]: ((وقد فصلَ ذلك كله تفصيلاً دقيقاً في مطْلع النسخةِ التي بين أيدينا، وهذا نصه: ((أخبرنا أبـوبكْرٍ أحمد بن محمد الجراح الخزاز قراءةً عليه، قال: حدثنا أبوبكْرٍ محمد بـن القاسـم

---

[93]) شرح اختيارات المفضل جـ 1 ص 91.

[94]) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص 573.

[95]) المفضليات ص 23.

[96]) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص 574.

[97]) المصدر السابق ص 574.

الأنْباري، قال: قَرأْتُ على أبي هـذا الكتـاب: الـشعر والتفْـسير)). وعـضد التبريزي[98] شرحه بأن جعلَه لغرضٍ وهو الإيجاز والاقتصار قال: ((فذكرتُ أن بعض الشروح قد طالَ لِكثْرةِ ما ذُكِر فيه مِن اللغةِ الغريبةِ، والاستِشهادات عليها، ومع طُولِهِ فكثير مِن معاني الشعر غير معلُومٍ منْه وبعض الشروح يذْكَر فيه البيتُ ما يتعلقُ بهِ وما لا تَعلقَ له بهِ)) فكأن التبريزي نَظر بعين الناقِدِ البصير للـشروح التي سبقتْه وأراد منْهجاً يعمد للفائدةِ والإدراكِ ولذا قال بعد ذلك[99]: ((وإيراد ما لا يحتاج إليه البيتُ يطُولُ به الكتاب، والغَرض من شرح هـذه القـصائد الإيجـاز والاقتصار على ما يعرفُ به ما في الشعرِ مِن الغَريبِ والإعرابِ والمعـاني دون ما يتشعب من اللُغةِ والإعرابِ، لئلا يشْغَلَ القاريء منْه والناظر فيه عن الغَـرض المقْصودِ)).

وممن شرحها قبلَه[100]:(أبو جعفرٍ أحمد بن محمدٍ بن إِسـماعيل النحـوِي المصري المعروفُ بابن النحاس (-338))، ويلِيهِ[101] (أبو علي أحمد بن محمدٍ المرزوقِي (-421))، وبعده (أبو الفضل أحمد بن محمدٍ بن أحمـد بـن إبـراهيم الميدانِي صاحِب مجمع الأمثال (-518))).

---

98) شرح اختيارات المفضل جـ 1 ص 91.

99) المصدر السابق جـ1 ص 91.

100) المفضليات ص 23.

101) المصدر السابق ص 23.

الفَصلُ الثانِي

المُخَضرمُون

المبحثُ الأولُ: المُخَضرمُ لُغَةً

معنَى (مُخَضرم) في معاجمِ اللغةِ العربيةِ:

توسعتْ معاجم اللغةِ العربيةِ في شرحِها لِكلمةِ (مخَضرم) توسـعاً شَـمِلَ اختِلافاً في ضبطها ومعنَاها واصطِلاحِها. ويمكن حصر ذلك في الآتِي:

معانِيها في معاجِمِ اللغةِ العربيةِ:

فمِن المعاني التي حوتْها:

أولاً: (معنى الكثرة) قال الفيروزابادِي[102]: ((الخِضرم: كزبرج البِئْر الكثيرةُ الماءِ والبحر الغَطَمطم والكثير مِن كل شيءٍ)) وكذلك قال ابن منْظُورٍ[103]: "خِضرم: بئْر خِضرم: كثيرةُ الماءِ، وماء مخَضرم وخُضارم كثِير وخرج الحجاج يريد اليمامةَ فاستقْبله جرير بن الخَطَفَى فقال: أين تُريد؟ قال: أُريد اليمامةَ، قال تَجِد بها نَبِيذاً خِضرماً، أَي كثِيراً. والخِضرم الكثِير مِن كُل شيءٍ، وكُلُّ شيءٍ كثِيرٍ واسعٍ خِضرم)) وبهذا المعنَى شرح قولَ الفيروزآبادِي أن معنى خضرم: ((الواسع والجواد والمِعطاء) بقولهِ[104]: ((والخِضرم بالكسر الجواد الكثير العطِيةِ، مشبه بالبحر الخِضرم وهو الكثِير الماءِ)) ولكنه أثبتَ إنكار الأصمعِي لذلك فقال[105]: ((وأَنْكر الأصمعِي الخِضرم في وصفِ البحر، وقِيلَ السيد الحمولُ))، وأورد الجوهري[106] ذلك المعنَى قائلاً: ((والخِضرم بالكسر الكثير العطِيةِ، مشبه بالبحر الخِضرمِ، وهو الكثير الماءِ، وأنكر الأصمعِي الخِضرم في وصفِ البحر. وكُل شيءٍ كثيرٍ واسعٍ خضرم والجمع خُضارم قال جرير لِلعجاجِ: ((تجِد فيها نبيذاً خِضرماً)).

---

[102]) القاموس المحيط جـ4 ص 109، دار الجيل بيروت لبنان د. ت.ط.

[103]) لسان العرب جـ4 ص 124، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ط1 1408هـ ـ – 1988م.

[104]) المصدر السابق جـ 4 ص 124.

[105]) المصدر السابق جـ4 ص 124.

[106]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية جـ 5 ص 1914، تحقيق أحمد عبـدالغفور عطـار. دار العلـم للملايين بيروت ط3 1984م.

وَأَثْبتَ الزمخْشَري[107] ما أنكره الأصمعي فقال: ((خِضرم: وبحر خِضرم كثير الماءِ وبئْر خِضرم ورجلٌ خِضرم كثير العطاءِ))، ووافَقَ ابن رشِيق[108] ما ذهب إليهِ الزمخْشري فقال: ((قال أبو الحسن الأخْفشُ: ماء خِضرم كزبرج، إذا تَناهى في الكثْرةِ والسعةِ)) وكما وقَفَ ابن السكيت[109] على المعنى السابق بقولهِ: ((الخِضرم والخِضم: الكثير العطيةِ ومِثلُه كل شيءٍ كثيرِ))، وذكر بعد ذلك خبر جريرٍ مع العجاجِ، وأضاف[110] : ((ويقالُ بئْر خِضرم إذا كانتْ غزيرةَ الماءِ)). وجمع ابن منْظُور[111] الكلمةَ على خُضارمٍ وخَضارمةٍ في صورةِ جمع التكْسير، و(خِضرمون) في صورةِ جمعِ المذكر السالمِ في قوله: ((والجمع خُضارم، وخَضارمةٌ، الهاء لتأْنيثِ الجمعِ، وخِضرمون، ولا تُوصفُ به المرأةُ والخُضارم كالخِضرمِ)). وزاد بطْرس البستانِي[112] في شرحهِ لذاك متَمثلاً ببيتَي المتَنبيء قائلاً: ((الخِضرم البئْر الكثيرةُ الماءِ والبحر الغَطَمطَم والكثير مِن كُل شيءٍ ومِنْه قولُ أبي الطيبِ يمدح عمر بن سليمان الشرابِي:

محاك مقْصود وشَانِيك مفْحم

ومِثْلُك مفْقود ونَيلُك خِضـ ـ ـ ـرم

وقولُه أَيضاً يمدح سيفَ الدولةِ:

يكَلِفُ سيفُ الدولةِ الناس همه

وقَد عجِزتْ عنْه الجيوش الخَضارم

ثانياً: معنَى (القطْع لاحدى الأذُنين). قال ابن منْظُور[113]: ((والخَضرمةُ قطْع احدى الأذُنين، وهي سِمةُ الجاهليةِ. فخضرم الأذْن : قطع من طرفِها شيئاً

---

107) أساس البلاغة ص 166، دار صادر بيروت 1399هـ – 1979م.

108) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 115، تحقيق د. محمد قرقزان، مطبعة الكاتب العربي، دمشق ط2 1414هـ – 1994م.

109) الألفاظ ص 146، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون ط1 1988م.

110) المصدر السابق ص 146.

111) لسان العرب جـ 4 ص 124.

112) محيط المحيط. ص 238، مكتبة لبنان د. ت. ط.

113) لسان العرب جـ 4 ص 124.

وتركه ينُوس، وقيل: قطعها بِنصفْين، وقِيلَ المخضرمة مِن النوق والشاء المقْطُوعةُ نِصفَ الأذن، وفي الحديثِ: خَطَبنا رسولُ اللهُ صلّى اللهُ عليه وسلم يوم النحر على نَاقةٍ مخضرمةٍ، وقِيلَ المخضرمةُ التي قُطِع طَرفُ أُذْنِها، ومِن تَوسع العرب في هذا المعنى أنه يعِني المرأةَ المخْتُوضة ولكنه بالنسبةِ للرجل يعِني الرجلَ غَير المخْتون، يقُولُ ابن منْظُورٍ[114]: ((وامرأةٌ مخَضرمةٌ أي مخْتُوضةٌ ورجلٌ مخضرم: لم يخْتَتَن)) واقْتصر الفيروزآبادِي[115] مع الضبط فقال: ((والمخَضرم بفتْحِ الراءِ من لم يخْتَتَن ونَاقةٌ مخَضرمةٌ قُطِع طَرفُ أُذْنِها وامرأةٌ مخَضرمةٌ مخْتُوضةٌ))، وكذلك قال الأزهري[116]: ((وناقةٌ مخضرمةٌ قُطِع طَرفُ أُذْنِها. وامرأةٌ مخَضرمةٌ أي مخْتُوضةٌ)).

ثالثاً: معنَى (خلط) قال ابن منْظُورٍ[117]: ((وقال ابن خَالَويهِ: خَضرم خَلّطَ)) ولكن ابن رشيقٍ[118] ذكر المعنَى السابقَ والكلمةُ عنده حضرم بدلاً عن خضرم قال: ((يقَالُ شَاعر محضرم – بحاءٍ غير معجمةٍ – مأْخُوذٌ من الحضرمةِ وهي الخلْطُ)) وصدر أحمد رضا[119] شرحه لِلْكلمةِ بالمعنَى السابق قائلاً: ((خَضرم : خلطَ)).

رابعاً: معنَى (الزبد المتفرقُ في البردِ) يقُولُ ابن منْظُورٍ[120]: ((والمتَخَضرم من الزبدِ الذي يتفرقُ في البردِ ولا يجتمع)) وأيضاً قال أحمد رضا[121]: ((تَخضرم الزبد: تَفرقَ ولم يجتمِع من البردِ فهو متخضرم)) وقال ((والمتخضرم الزبد المتفرقُ بالبردِ ولا يكاد يجتمع)).

---

114) المصدر السابق جـ 4 ص 124.

115) القاموس المحيط جـ4 ص 109.

116) الصحاح جـ5 ص 1914.

117) لسان العرب جـ 4 ص 124.

118) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 115.

119) متن اللغة جـ2 ص 291، مطبعة دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ط 1377هـ – 1958م.

120) لسان العرب جـ 4 ص 124.

121) متن اللغة جـ 2 ص 291.

خامساً: جاء المعنَى (لصفاتِ نقْصٍ مختلفةٍ تُطْلقُ على الرجل) وفَصلَ ذلك ابن منْظُورٍ[122] فقال: ((ورجلٌ مخضرم أبوه أبيض وهو أسود، ورجلٌ مخضرم ناقِص الحسبِ. وقِيلَ هو الذي ليس بكريمِ النسبِ. ورجلٌ مخضرم النسبِ أي دعِي، وقد يتْرك ذِكْر النّسبِ فيقالُ المخضرم: الدعِي، وقِيلَ: المخضرم في نَسبهِ المخْتِلطُ مِن أطْرافهِ. وقِيلَ : هو الذي لا يعرفُ أبواه، وقِيلَ هو الذي ولَدتْه السراري وقوله:

فقُلْتُ : أذاك السهم أهون وقْعةً

على الخَضرِ، أم كف الهجِين المخضرمِ

إنّما هو أحد هذه الأشْياءِ التي ذكرناها في الحسِبِ والنّسبِ)). وجمع الفيروزآبادِي[123] ما سبق من صفاتٍ بقوله: ((والمخضرم أسود أبوه أبيض والناقِص الحسبِ والدعِي ومن لا يعرفُ أبوه أو ولَدته السراري)) بينما لم يوردِ الأزهري[124] مِن الصفاتِ السابِقةِ غير (الدعِي) قال: ((ورجلٌ مخضرم النّسبِ أي دعي))، وكذلك أورد الزمخْشري[125]: ((ورجلٌ مخضرم : دعِي)). وسرد بطرس البستانِي[126] كُلَّ الصفات السابقةِ مع تمثيلٍ وتشْبيهٍ يوضحها: ((والمخضرم أسود أبوه أبيض كخُفافٍ بن ندبة السلَمِي والمخضرم الناقِص الحسبِ والمخضرم الدعِي ومن لا يعرفُ أبوه كزيادٍ بن أبيهِ أو ولَدتْه السراري كالمأْمون بن الرشيد)).

سادساً: معنَى (اللحمِ المجهول النسبة لذَكرٍ أم لأنْثَى) قال ابن منْظُورٍ[127]: ((ولحم مخضرم، بفتْحِ الراءِ: لا يدرى أمِن ذَكرٍ هو أم مِن أُنْثَى)) وقال الجوهري[128] بذلك أيضاً: ((خِضرم : لحم مخضرم بفتْحِ الراءِ لا يدرى مِن ذَكرٍ هو أو أُنْثَى)).

---

122) لسان العرب جـ 4 ص 125.

123) القاموس المحيط جـ 4 ص 109.

124) الصحاح جـ5 ص 1914.

125) أساس البلاغة ص 166.

126) محيط المحيط ص 238.

127) لسان العرب جـ 4 ص 125.

128) الصحاح جـ 5 ص 1914.

سابعاً: معنَى (الطعام الذي ليس بحلْوٍ أَو مر) روى ابن منْظُورٍ[129]: ((طعام مخَضرم حكاه ابن الأعرابِي ولم يفسره، قال ابن سِيده: وعِنْدي الذي ليس بحلْوٍ ولا مر وفي التهذِيبِ بين الثقيلُ والخفيفِ)).

ثامناً: معنَى (الماءِ غيرِ العذْبِ) قال ابن منْظُورٍ[130]: ((وماء مخضرم غير عذْبٍ. وماء خِضرم عن يعقُوب بين الحلْوِ والمِلْحِ))، ولكن الفيروزآبادِي[131] زاد صفاتاً أخْرى لِلْماءِ بقولهِ ((الخِضرم الماء بين الثقِيل والخفيفِ)).

تاسعاً: معنَى (فرخ الضب) وذلك عنْد ابن منْظُورٍ[132]: ((والخُضرم مِثالُ: العلِطِ: فرخُ الضب يكُون حِسلاً ثُم خُضرماً، قال ابن دريدٍ: وهو حِسك ثُم مطَبخٌ ثُم خُضرم ثُم ضب، ولم يذْكُر الغَيداقَ وذَكره أَبوزيدٍ))، وإلى ذاك سبقَ الجوهري[133] عنْدما أورد : ((والخُضرم مِثْلُ : العلِطُ: ولَد الضب. قال ابن دريد: أولُه حِسك ثُم مطبخٌ، ثُم خُضرم، ثُمّ ضب، ولم يذْكُر الغَيداقَ وذكره أَبوزيدٍ)).

عاشراً: معنَى (قومٍ بالشام) روى ابن منْظُورٍ[134]: ((والخُضارمةُ: قوم بالشّام، وذلك أَن قوماً من العجمِ خرجوا في أَول الإسلامِ فتفرقُوا في بلادِ العربِ، فمن أقَام منْهم بالبصرةِ فَهم الأساورةُ، ومن أَقام منْهم بالكُوفةِ فَهم الأحامِرةُ، ومن أَقام مِنْهم بالشام فهم الخَضارمةُ، ومن أَقام مِنْهم بالجزيرةِ فهم الجراجِمةُ، ومن أقام منهم باليمن فهم الأبناء، ومن أقام مِنهم بالموصل فهم الجرامِقَةُ، وا أَعلم)). وأَورد الفيروزآبادِي[135] المعنى السابق موضحاً بالمثال: ((والخَضارمةُ قوم مِن العجمِ، خرجوا في بدءِ الإسلام فسكنُوا الشام الواحِد مِنهم خِضرمِي بالكسرِ مِنهم عبدالكريم بن مالكٍ، وهبار بن عقِيلٍ والعباس بن الحسن الخِضرميون)).

---

129) لسان العرب جـ 4 ص 125.

130) المصدر السابق جـ 4 ص 125.

131) القاموس المحيط جـ 4 ص 109.

132) لسان العرب جـ 4 ص 125.

133) الصحاح جـ 5 ص 1914.

134) لسان العرب جـ 4 ص 125.

135) القاموس المحيط جـ 4 ص 109.

معنَى مُخضرم في اصطِلاح أَهل اللغةِ:

وجدتُ أن علماء اللغةِ قد اختلفُوا في تَعريفهم للمخضرمِ اصطِلاحاً، ويرجع ذلك – في رأْي – لاخْتلافِهم في أَصل معناها اللغوي. فابن سلام الجمحِي[136] عنْدما تطَرق لِحقَب الشعراءِ رأى أن المُخَضرم هو من كان في الجاهِلية وأدرك الإسلام قال: ((ففصلنا الشّعراء مِن أهل الجاهلية والإسلامِ، والمخضرمِين الذين كانوا في الجاهلية وأدركُوا الإسلام)). وأيضاً قال ابن منْظُور[137] بذلك مفرقاً بين الشعر وغيره: ((ورجلٌ مخضرم إذا كان نِصفُ عمرِهِ في الجاهلَية ونصفُه في الإسلام)) وقال عن الشاعر[138]: ((وشاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام مثْل لَبيدٍ وغيره مِمن أدركها قال الشاعر:

إِلَى ابنِ حصانٍ، لم تُخضرم جدوده

كثِير النّثا والخَيم والفَرعِ والأصل

وكذلك عرفَ الجوهري[139] المخضرم: ((والمخضرم أيضاً الشاعر الذي أَدرك الجاهِليةَ والإسلام مِثْلُ لبيدٍ)). ولكن البغدادِي[140] يرى أَن المصطلح يطْلقُ على الشاعر وغيرِهِ مع كثَرةِ ارتباطهِ بالشاعرِ قال: ((المخضرم بالخَاء والضاد المعجمتَين على صيغَةِ اسم المفْعول، ونقلَ السيوطِي في شرح تقريبِ النووي عن بعض أْهل اللغةِ كسر الراءِ أيضاً. قال صاحب القاموسِ: هو الماضي نصفُ عمرِهِ في الجاهلية ونِصفُه في الإسلامِ، وقِيلَ من أدركهما. وهذان القولان يعمان الشاعر وغيره. وقِيلَ الشاعر الذي أدركهما، وهذا هو المشْهور وعليهِ اقْتَصر صاحب الصحاح)). فالاخْتلافُ قائم من جهتين الأْولَى: هل المخضرم هو من مضى نِصفُ عمرِهِ في الجاهلية ونصفُه الآخَر في الإسلام، أَم أَن المخضرم هو

---

136) طبقات فحول الشعراء جـ 1 ص 23 – 24.

137) لسان العرب جـ 4 ص 125.

138) المصدر السابق جـ 4 ص 125.

139) الصحاح جـ 5 ص 1914.

140) خزانة الأدب جـ 1. ص 268. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. مكتبة الخانجى. القاهرة 1400هـ - 1981م.

من أدركهما؟، وثانياً: هل يخُص ذلك الشاعر وحده أم يشْملُ غيره؟ ونقلَ أقْوالاً لغيرِهِ عندما عرفَ المخضرم اصطِلاحاً فأضافَ بعد ذلك[141]: ((وقال السيوطِي في شرح التقريب: المخضرم في اصطِلاحِ أهل اللغةِ هو الذي عاشَ نصفَ عمرِهِ في الجاهلية ونصفَه في الإسلام)) ثُم شرح ذلك بقوله[142]: ((والمراد بإدراكِ الجاهليةِ ما قبلَ البعثةِ)) وزاد بعد ذلك قائلاً[143]: ((فسميّ كُل من أدرك الجاهليةَ والإسلام مخضرماً)). وعرفَ النّويري[144] المخضرمين: ((المخضرمون هم الذين أدركُوا الجاهِليةَ والإسلام)) ولعل التعريفَ السابقَ هو أقْوى تَعريفٍ وأشهرِهِ لِلمخضرمين.

تُوسع في مصطلح مخضرمٍ حتى أُطلِقَ على كُل من أدرك قرنين أو دولتين قال البغْدادِي[145]: ((ثُم تُوسِع حتى أُطلِقَ على من أدرك دولتين كرؤْبة بن العجاج وحماد عجردٍ، فإنهما أدركا دولةَ بنِي أُمية ودولة بنِي العباس)). وتَمثّلَ بذلك المحدثُون قال إمِيل بديع يعقُوب[146] معرفاً بالمخضرم: ((المخضرم هو في الأدبِ العربِي الشاعر أو الأديب الذي عاشَ جانِباً مِن عمرِهِ في العصر الجاهِلي وجانِباً آخر في العصر الإسلامِي)) وقال بعد ذلك[147]: ((ويطْلقُ تجوزاً اليوم على كُل من يعايِشُ عصرين أو مرحلتَين)) وكذلك قال مجدي وهبة[148] ممثلاً لشُعراءٍ مخضرمين: ((يطْلقُ هذا المصطلح على الشاعر العربِي الذي أدرك الجاهليةَ والإسلام)) ويقُولُ[149]: ((ومِن مقدمِي الشعراءِ المخضرمين حسان بن ثابتٍ، وكعب بن مالكٍ، وعبدا بن رواحةٍ)).

---

141) خزانة الأدب جـ1 ص 268.

142) المصدر السابق جـ 1 ص 268.

143) المصدر السابق جـ1 ص 269.

144) نهاية الأرب في فنون الادب جـ3 ص 70، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القـومي المؤسـسة المـصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. د. ت. ط.

145) خزانة الأدب جـ1 ص 268.

146) المعجم المفصل في اللغة والأدب جـ2 ص 26. دار العلم للملايين بيروت د. ت. ط.

147) المرجع السابق جـ2 ص 26.

148) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص 343، مكتبة لبنان بيروت ط2 1984م.

149) المرجع السابق ص 343.

الاخْتِلافُ في الأصل اللغوي لكلمة مُخضرم الاصطلاحية:

اخْتِلِفَ في الأصل اللغَوي لكلمة مخضرم، وأجملْتُ ذلك في ثلاثة آراءٍ هي:

أولاً: قطْع الأذْن، أي أن مصطَلح مخضرمٍ مأْخوذٌ مِن الخَضرمةِ وهي قطْع الأذن قال ابن منْظُور[150]: ((وكان أهلُ الجاهليةِ يخضرِمون نَعمهم، فلما جاء الإسلام أمرهم النبي صلّى الله عليه وسلم أن يخضرِموا مِن غير الموضعِ الذي يخضرم منه أهلُ الجاهليةِ)) وخاص لسببِ اطْلاقِ المصطلح بقولِهِ[151]: ((ومنْه قِيلَ لكُل من أدرك الجاهليةَ والإسلام: مخضرم لأنه أدرك الخَضرمتَين)). ولكنه قال في موضعٍ آخر[152]: ((قال إبراهيم الحربي: خَضرم أهلُ الإسلام أي قَطعوا مِن آذانها (أي من نَعمهم) في غير الموضع الذي يخضرم فيه أهلُ الجاهلية، فكانتْ خَضرمةُ أهل الإسلامِ بائنةً عن خَضرمةِ أهل الجاهليةِ. وقد جاء في حديثٍ: أن قوماً مِن بني تميم بيتوا ليلاً وسِيقَ نَعمهم، فادعوا أنهم خَضرموا خَضرمةَ الإسلامِ، وأنَهم مسلِمون، فَردوا أموالُهم عليهم، فقِيلَ هذا المعنَى لكُل من أدرك الجاهليةَ والإسلام: مخضرم لأنه أدرك الخضرمتين خَضرمةَ الجاهليةِ وخَضرمةَ الإسلامِ))، وأضاف[153] ((قال ابن بري: أكثَر أهل اللغةِ على أنّه مخضرِم بكسر الراء، لأن أهلَ الجاهليةِ لما دخلُوا في الإسلامِ خضرموا آذان إبلهم ليكون علامةً لإسلامهم إن أُغَير عليهم أو حوربوا، ويقالُ لمن أدرك الجاهليةَ والإسلام مخضرم)). وفرقَ بين كسر الراء وفتْحِها لمعنَى الكلمة فقال[154]: ((وأما من قال مخضرم بفتْحِ الراءِ، فتأْويلُه عنْده أنّه قُطِع عن الكُفْر إلى

---

150) لسان العرب جـ 4 ص 124.

151) المصدر السابق جـ 4 ص 124.

152) المصدر السابق جـ 4 ص 124.

153) لسان العرب جـ 4 ص 124.

154) المصدر السابق جـ 4 ص 124.

الإسلامِ)). وكذلك روى الزمخْشري[155] أَن أصلَ مخضرم ينْحدِر مِن معنَى القَطْعِ: ((ومنْه المخضرم: الذي أدرك الجاهليةَ والإسلام كأنه قُطِع نِصفُه حيثُ كان في الجاهليةِ)) وتطرقَ البغْدادِي[156] لذاتِ المصطلح فقال: ((ويقالُ أُذن مخضرمةٌ، إذا كانتْ مقْطوعةً، فكأنه انقطَع عن الجاهليةِ إلى الإسلامِ)) وحكى عن ابن قُتيبةَ أصلَ المصطلح بعد ذاك[157]: ((وحكِي عن ابن قُتيبةَ عن عبدالرحمن عن عمهِ قال: أسلم قوم في الجاهليةِ على إبلٍ فقطعوا آذانَها، فسمي كُل من أدرك الجاهليةَ والإسلام مخضرماً)).

ثانياً: خَلَّطَ: قال ابن منْظُور[158]: ((وقال ابن خالَويهِ: خَضرم خلطَ، ومِنه المخضرم الذي أدرك الجاهليةَ والإسلام))، وقال البغْدادِي[159] بقَبول هذا الأصل: ((وحكى علي بن الحسن كُراع: يقَالُ شاعِر محضرم – بحاءٍ غير معجمةٍ مأخوذٌ من الحضرمةِ، وهي الخلْطُ لأنه خلَطَ الجاهليةَ والإسلام، وحكى ابن خلكان مع الحاء المهملة كسر الراءِ أيضاً)) وجملةُ الخِلافِ في هذا الأصل هي أن أكْثَر أهل اللغةِ على أن مخضرمٍ بكسر الراءِ، ومن قال مخضرم بفتح الراء فكأنه قُطِع عن الكفْر إلى الإسلامِ، وأما من قال محضرم فهو من الخَلْطِ، هذا ويجوز محضرم وبهذا نقُولُ مخضرم، ومخضرم، ومحضرم ومحضرم. وبدأ أحمد رضا[160] بهذا الأصل في شرحه لها فقال: ((خضرم: خلطَ، وخضرمه جعلَه بين بين والاسم الخضرمةُ وهو الأصل في المعنى)).

---

[155]) أساس البلاغة ص 166.

[156]) خزانة الأدب جـ 1 ص 269.

[157]) المصدر السابق جـ 1 ص 269.

[158]) لسان العرب جـ 4 ص 125.

[159]) خزانة الادب جـ 1 ص 269.

[160]) متن اللغة جـ 2 ص 291.

ثالثاً: الكثَرةُ والسعةُ: قال ابن رشيقٍ[161]: ((قال أبو الحسن الأخفَش : يقَالُ ماء خِضرم، إذا تَنَاهى في الكثَرةِ والسعةِ، فمِنْه سمي الرجلُ الذي شهد الجاهليةَ والإسلام مخضرماً كأنه استوفَى الأمرين معاً)).

معنَى مُخضرم في اصطِلاح أَهل الحديثِ:

يقُولُ البغْدادِي[162]: ((وقال السيوطِي في شرح التقريب: المخضرم في اصطِلاح أهل الحديثِ هو الذي أدرك الجاهليةَ وزمن النبِي صلى ا ُ عليه وسلم ولم يره)) وقال[163] بعد ذلك مفَرقاً بين التعريفَين الاصطِلاحِي واللغوِي: ((فبين الاصطِلاحين عموم وخُصوص مِن وجهٍ فحكِيم بن حزام مخضرم باصطِلاح اللغةِ لا الحديثِ، وبِشْر بن عمرو مخضرم باصطِلاح الحديثِ لا اللغةِ)) وعقّب بعد ذلك[164] ((وفي تعريفِ اصطِلاح اللغةِ نظَر وتأملٌ)) وذلك لأنه سبب الاختلافات. ووضح بعد ذلك[165]: ((والظاهِر إدراك قومِهِ أو غيرهم على الكُفْر قبلَ فتْح مكة)) وفند ذلك قائلاً[166]: ((وقد ذكر مسلِم في المخضرمين بشِيراً بن عمر، وإنما ولِد بعد الهجرةِ)) وعرض الفاروقِي التهانَوِي[167] لذلك في قوله: ((المخضرم على صِيغةِ اسم المفْعول مِن الرباعِي المجردِ وقِيلَ على صِيغَةِ اسم الفاعِل منه فهو إما بفتْحِ الراء المهملة أو بِكسرها، وقبلها ضاد معجمةٌ والمخضرمون الجمع، وهو عند المحدثين من أدرك الجاهليةَ صغِيراً كان أو كبِيراً في حياتهِ صلى ا ُ عليه وسلم، والإسلام في حياتهِ صلى ا ُ عليه وسلم، أو بعده ولم ير النبِي صلى ا ُ عليه وسلم، أو رآه، لكنه غير مسلمٍ، وخصه ابن قُتيبة بمن أدرك الإسلام في الكِبر

---

161) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 115.

162) خزانة الأدب جـ 1 ص 268.

163) المصدر السابق جـ 1 ص 268.

164) المصدر السابق جـ1 ص 268.

165) خزانة الأدب جـ 1 ص 269.

166) المصدر السابق جـ1 ص 269.

167) كشاف اصطلاحات الفنون جـ 2 ص 241 تحقيق لطفي عبدالبديع مطبعة وزارة الثقافـة والإرشـاد القومى والمؤسسه المصريه العامه للتأليف والترجمه والطباعة والنشر 1382هـ – 1963م.

ثُم أسلم بعد النبي صلى ا ُ عليه وسلم، وبعضهم بمن أسلم في حياته كزيدٍ بن وهب)). ونفَي كون المخضرمين صحابةَ بقوله[168]: ((والمخضرمون ليسوا من الصحابةِ ولم يذهب ابن عبدالبر إلى كونهم صحابة وإن توهم بذلك بعض)).
وشرح بعد ذلك اشْتِقاق المصطلح[169]: ((تَم اشْتِقاقُه إما من قولهم لحم مخضرم لا يدرى مِن ذَكَرٍ أو ُأنْثى لترددِهم بين الطبقتين، أي بين الصحابةِ لِلْمعاصرةِ، وبين التابعِين لِعدمِ الرؤْيةِ لا يدرى مِن أيتهما هم، أو من خضرموا آذان الإبل)).

---

168) المرجع السابق جـ 2 ص 241.

169) المرجع السابق جـ 2 ص 241.

المبحثُ الثاني : الإسلام والشعر

رأيُ الإسلامِ في الشعر:

شُغِلَ الباحثُون كثيراً برأي الإسلام في الشعر والشعراء؛ فذهبوا مذاهب شتّى فمنهم من اعتدل، ومنهم من غالى في نظرتِهِ متعصباً أو متحاملاً؛ وأحسب أن ذلك يرجع لشيئين:

أولهما: رأي الإسلامِ في الشعر:

تطرقَ القُرآن الكريم للشعر، ونَزه النبي صلى ا ُ عليهِ وسلم عن روايتِهِ أو قوله قال تعالى ((وما علّمناه الشعر وما ينبغِي له إن هو إلا ذكْر وقُرآن مبين))[170]، يقولُ القرطبي[171] في شرحه للآية السابقة ((وكذلك كان رسول ا صلى ا عليه وسلّم لا يقول الشعر ولا يزنُه وكان إذا حاول إنشاد بيتٍ قديمٍ متمثلاً كسر وزنَه وإنّما كان يحرز المعاني فقط من ذلك أنه أنشد يوماً قول طرفة:

ستُبدي لك الأيام ما كنْتَ جاهلاً

ويأتيك من لم تُزوده بالأخبار)

ونفْي روايةِ الشّعر عن النبي صلّى ا ُ عليه وسلم لا يحِط من قيمة الشعر، ذهب إلى ذلك ابن رشيق[172] عندما أورد الآية السابقة فقال: ((أي ِلتقُوم عليكُم الحجة ويصِح ِقبلكم الدليلُ ويشد ذلك روايةُ يونس عن الزهري أنّه قال: معناه ما الذي علمناه شِعراً وما ينبغِي له أن يبلغَ عنّا شعراً. وقال غيره : أراد وما ينْبغِي له أن يبلغَ عنا ما لم نعلمه، أي ليس هو مِمن يفعلُ ذلك لأمانتِهِ ومشهورِ صدقِهِ. ولو أن كون النبي صلّى ا عليه وسلّم غير شَاعِرٍ غض من الشعر لكانتْ أميتُه غضاً مِن الكتابةِ وهذا أظهر مِن أن يخفى على أحدٍ)).

---

170) سورة يس آية 69.

171) الجامع لأحكام القرآن جـ 13 ص 19، تحقيق عماد زكي البارودي وخيرى سعيد. المكتبة التوفيقيـة د.ت.ط.

172) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 75.

وقد عد النبي صلى ا ُ عليه وسلم الشعر بِمنْزلةِ الكلامِ يقول القُرطُبي[173]: ((وروى عبدا بن عمرو بن العاص قال: قال رسولُ ا صلى ا ُ عليهِ وسلم: ((الشعر بِمنْزلةِ الكلامِ حسنُه كحسن الكلامِ وقبيحه كقِبيح الكلامِ)) ويعضد ذلك قولُ ابن رشِيق[174] في بابٍ (الرد على من يكْره الشعر): (روي عن النبي صلّى ا عليه وسلّم أنّه قال: إنّما الشعر كلام مؤلّفٌ فما وافقَ الحق منْه فهو حسن، وما لم يوافق الحق فلا خير فِيهِ)، فالنبي صلّي ا عليه وسلّم قسم الشعر لنوعين: شعر موافقٌ للحقِ فهو حسن، وشعر مخالفٌ له فهو شر لا خير فيهِ لِذلك دعا للأخْذِ بالحسن وتَركِ القَبيحِ ويقولُ بعد ذلك[175]: (وقال عليه الصلاةُ والسلام: الشعر كلام فيه حسن وقبيح فخُذِ الحسن ودِعِ القِبيح). ويطّرد ذلك بجلاءٍ عندما أجملَ القُرشِي[176] موقف النبي صلّى ا عليه وسلم مِن الشعر قائلاً: (ولم يزلْ النبي صلى ا ُ عليهِ وسلم يعجِبه الشِعر ويمدح به، فيِثيب عليهِ، ويقول: هو دِيوان العرب؛ وفي مِصداق ذلك ما حدثنا به سنَيد بن محمدٍ الأزدي، عن أبيهِ، قال: قال رسولُ ا ُ صلى ا ُ عليهِ وسلم: إن مِن الشعر لحكمةً إن مِن البيان لَسِحرا). ومِما مدِح به النبي صلّى ا عليه وسلم فأعجبه ما أورده الألُوسِي[177] من شعرٍ لحسان بن ثابت رضِي ا ُ عنه:

إذا ما الأشرباتُ ذكِرن يوماً
فهن لِطيبِ الراحِ الفِداء
ونشْربها فتتْركُنا ملُوكاً
وأُسداً ما ينهنِهها اللّقاء

ولما أَنشدها رسولَ ا ُ صلّى ا ُ عليه وسلّم وانْتَهى إلى قولِهِ:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنْه وعِنْد ا في ذَاك الجزاء

---

173) الجامع لأحكام القرآن جـ 13 ص 123.

174) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 85.

175) المصدر السابق جـ 1 ص 85.

176) جمهرة أشعار العرب جـ 1 ص 51، تحقيق خليل شرف، دار ومكتبة الهلال بيروت – لبنان ط2 1991م.

177) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب جـ 3 ص 135، دار الشرق العربي بيروت لبنان د.ت. ط.

قال النبي صلّى الله عليهِ وسلّم: (جزاؤُك على الله الجنّةُ) فلما انتهى إلى قوله:

فإن أبي ووالده وعِرضي ... لِعِرض محمدٍ منكم وقاء

قال عليه الصلاةُ والسلام (وقاك اللهُ هولَ المطْلع) فلما انْتهى إلى قولهِ:

أتهجوه ولستَ له بكُفْءٍ ... فشَركما لخيركُما الفِداء

قال من حضر: هذا والله أنصفُ بيتٍ قالتْه العرب).

ومِما يدل على احترام النبي صلى الله عليهِ وسلّم للشعر أنه بنَى لِحسان بن ثابتٍ مِنْبراً في المسجدِ ينْشد عليه قال ابن رشيقٍ[178]: (ويروى عن هشام بن عروةَ عن أبيهِ عن عائشةَ رضي اللهُ عنها: أن النبي صلّى الله عليه وسلم بنَى لحسان بن ثابتٍ في المسجد مِنْبراً ينْشِد عليه الشعر). وكذلك ثناؤُه على النابغَة الجعدِي وإعجاب النبي صلّى اللهُ عليه وسلّم بشعرهِ ودعائِه له قال ابن قُتيبة[179]: (وأتى رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم وأنشده:

أتيتُ رسولَ الله إذْ جاء بالهدى
ويتْلُو كِتاباً كالمجرة نيـ ـرا
بلغْنَا السماء مجدنا وجدودنا
وإنّا لَنرجو فَوقَ ذلِك مظْهرا

فقال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلم: إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنّةِ، فقال رسولُ اللهُ صلّى اللهُ عليه وسلم: إن شاء اللهُ، وأنْشده:

ولا خير في حِلْمٍ إذَا لم تكُن لَه
بوادِر تحمِي صفْوه أن يكدرا

ولا خَير في جهلٍ إذا لم يكُن له
حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

---

178) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ1 ص 86.

179) الشعر والشعراء جـ1 ص 280. تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة 1423هـ – 2003م.

فقالَ له رسولُ ا ِ صلّى ا ُ عليه وسلّم: (لا يفْضضِ ا ُ فاك) قال: فبقي عمره لم تنقَض له سِن). فالنبي صلّى ا ُ عليهِ وسلم كَرِه قبيح الشعر وتَنَقصه ومنَعه، يروي ابن رشيقٍ[180] عن النبي صلّى ا ُ عليه وسلّم: (من قال في الإسلامِ هجاء مقْذعاً فلسانُه هدر) ولذلك أهدر دم كُل شاعرٍ نال منْه أو مِن أعراضِ المسلمين مثل كعبٍ بن زهير قبلَ إسلامِهِ، أو مِثْل شاعر يهود كعب بن الأشرف الذي قُتِل بأمرِهِ.

وأما حديثُ النبي صلى ا ُ عليهِ وسلّم الذي أخبر به القُرطُبي[181] وفُهِم منْه أنّه غض ِللشعر فقد فسره القُرطُبي موضحاً أنه لا يحِط مِن قَدرِ الشعر بقوله: (روى مسلِم عن أبي هريرةَ رضي ا ُ عنه قال: قالَ رسولُ ا ِ صلّى ا ُ عليهِ وسلم: (لأن يمتلِيء جوفُ أحدِكُم قَيحاً حتّى يريه خير مِن أن يمتلِئَ شِعراً) وقال[182] بعد ذلك وهذا المعنى هو الذي أشار إليهِ البخاري في صحيحِهِ لما بوب على هذا الحديث (باب ما يكْره أن يكون الغَالب على الإنْسان الشعر) وعلى ذاتِ المعنَى استطْرد ابن رشيقٍ[183] في شرح مرادِ الحديثِ، ومثّل لشرحِهِ قائلاً: (وأما قولُه عليه الصلاةُ والسلام : (لأن يمتلِيء جوفُ أحدكم قَيحاً حتّى يريه خير له مِن أن يمتلِيء شِعراً) فإنّما هو فيمن غلب الشعر على قلْبه، وملك نفْسه حتّى شَغَلَه عن دينِهِ، وإقامة فُروضِهِ، ومنعه مِن ذِكْرِ ا تعالى، وتِلاوة القُرآن وغيرِهِ – مِما جرى هذا المجرى مِن شِطْرنْج وغيرِهِ – سواء. وأما غير ذلك فمن يتّخِذُ الشّعر أدباً وفكاهةً، وإقامةَ مروءةٍ فلا جناح عليهِ.) ِلذا كان النبي صلّى ا عليه وسلّم يعجب بالشعر الذي يظهر فيه الإيمان، أو يدعو لمحمدةٍ أو مروءةٍ مِثل إعجابه ببيتِ لبيدٍ روى القُرطُبي[184]: (روى أبو هريرة قال: سمعتُ رسولَ ا صلّى ا ُ عليه وسلم على المِنْبرِ يقُولُ: أصدقُ كلمةٍ أو أشعر كلمةٍ قالتْها العرب قولُ لبيدٍ: ألا كل شيءٍ ما خَلا ا باطِلُ). بلْ نجِد النبي صلّى ا عليه وسلّم استغل الشعر

---

180) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 170.

181) الجامع لأحكام القرآن جـ 13 ص 123.

182) المصدر السابق جـ 13 ص 124.

183) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 92.

184) الجامع لأحكام القرآن جـ 13 ص 122.

كإحدى آلات الحربِ الفَعالةِ في ذلك الزمان يقُولُ القُرشِي[185]: (أخبرنا محمد بن عثمان الجعفري عن عبدالرحمن بن محمدٍ عن الهيثم بن عدي عن مجاهدٍ عن الشّعبي، قال: أتى حسان بن ثابتٍ إلى النبي صلّى ا عليهِ وسلّم فقال: يا رسولَ ا ؛ إن أبا سفيان بن الحارث هجاك، وأسعده على ذلك نوفلُ بن الحارثُ وكُفّار قُريشٍ، أفتأْذَن لي أن أهجوهم يا رسول ا ؟ فقال النبي صلّى ا عليهِ وسلّم : فكيفَ تَصنَع بي؟ فقال: أَسلك مِنهم كما تُسل الشّعرةُ من العجِين! فقال له: اهجهم وروح القدسِ معك واستَعِن بأبي بكْرٍ فإنّه علامةُ قريشٍ بأنساب العرب). وواضح أن النبي صلّى ا ُ عليهِ وسلم أراد للشعرِ أن يسمو وأن يتخلقَ بسمتِ الإسلام، بل أن يصبح ضرباً من أبواب الجهادِ ينُص على ذلك ما نقله القُرطُبي[186]: (وقالَ كعب يا رسولَ ا ِ! إن ا َ قد أنزلَ في الشعرِ ما قد علمتَ فكيفَ ترى فيهِ؟ فقال النبي صلّى ا عليه وسلّم: (إن المؤمن يجاهِد بِنفسهِ وسيفِهِ ولسانِهِ والذي نفْسِي بيدِهِ لكأن ما ترمونَهم به نضح النبل). وحقّقَ النبي صلّى ا عليه وسلّم اهتمامه بدورِ الشعر في نُصرةِ الحق، فلم يشجع الشعراء فحسب، بل أثْنَى على حسن صنِيعِهم في نُصرة الحق، وجميل أيادِيهم في كبتِ الباطل وروى في ذلك[187]: (وقال كعب:

جاءتْ سخِينةُ كي تُغالِب ربها

ولَيغلَبن مغالِـب الغـلابِ

فقالَ النبي صلى ا ُ عليه وسلم: (لقد مدحك ا ُ يا كعب في قولـك هـذا) ولكن الجمحِي[188] عندما تحدثَ عن كعب قال: (قال رسول ا صـلى ا عليـه وسلم لكعب بن مالك: أترى ا نَسِي لك قولك:

زعمتْ سخينةُ أن ستغلِب ربها

وليغلبن مغَـالِب الغـلابِ)

---

185) جمهرة أشعار العرب جـ1 ص 35.

186) الجامع لأحكام القرآن جـ 13 ص 126.

187) المصدر السابق جـ13 ص 126.

188) طبقات الشعراء جـ1 ص 222 تحقيق محمود محمد شاكر دار المدني جدة د.ت.ط.

وأحسب أن هذا ما يفَسر قولَ الخليل بن أحمد: إن الـشعر كـان أحـب للرسول مِن كثيرٍ مِن الكلامِ، قال القُرطُبي[189]: (وعن الخليل بـن أحمـد: كـان الشعر أحب إلى رسول ا صلى ا ُ عليهِ وسلم من كثيرٍ مِن الكلام ولكن لا يتأَتى له). وقد اعتمد عليه النبي صلّى ا عليه وسلّم لقوتِهِ وبيان حجتِهِ عندما بلغَـه أن قوماً نالوا من أبي بكرٍ الصديق يقُولُ القُرشِي[190]: (وأخبرنا أبو العباس، عن أبي طلحة، عن بكر بن سليمان يرفع الحديث إلى عبدا بن مسعودٍ، قال: بلغ النبِـي صلّى ا ُ عليه وسلم أن قوماً نالُوا أبابكرٍ بألسنتهم؛ فَـصعد المِنبـر، فحمـد ا َ وأَثْنَى عليهِ، ثُم قال: أيها الناس ليس أحد منكم أَمن علي في ذات يدِهِ ونفسِهِ مـن أبي بكرٍ، كُلكم قالَ لي : كذبتَ، وقال لي أبوبكرٍ صدقْتَ، فلو كُنْتُ متخِذاً خَلِـيلاً لاتخذْتُ أبابكرٍ خَليلاً. ثُم التفتَ إلى حسان فقال: هاتِ ما قُلْتَ في وفي أبي بكـرٍ؛ فقال حسان : قُلْتُ يا رسولُ ا :

إذَا تَذَكرتَ شَجواً مِن أخي ثقَةٍ
فاذكُر أخاك أبابكْرٍ بِما فَعـ ـلا
التالِي الثانِي المحمود شِيمتُه
وأولَ الناسِ طُراً صدقَ الرسلا
والثانِي اثْنين في الغارِ المنيفِ وقَد
طَافَ العدو به إِذْ صعد الجبلا
وكان حِب رسول ا ِ قد عِلموا
مِن البرِيةِ لم يعدِلْ بهِ رجلا
خير البريةِ أتْقاها وأرأفُها
بعد النبي وأوفَاها بِما حملا

فقال صلّى ا ُ عليه وسلم صدقْتَ يا حسان، دعوا لِي صـاحِبي – قالهـا ثلاثاً).

---

[189]) الجامع لأحكام القرآن جـ 13 ص 43.

[190]) جمهرة أشعار العرب جـ1 ص 53.

موقفُ الصحابةِ رضوان الله عليهم من الشعر:

ظلّ موقفُ الصحابةِ مِن الشعرِ على هدي النبي صلّى الله عليه وسلّم، ومما يدلُّ على مكانة الشعرِ عِندهم أن ابن رشيقٍ[191] عقد باباً بعنوان (باب في أشعارِ الخُلفاءِ والقُضاةِ والفُقهاءِ)، ونسب أبياتاً لسيدنا أبي بكرٍ الصديق فقال: (مِن ذلك قولُ أبي بكْرٍ الصديق رضوان الله عليه قالوا: واسمه عبدالله بن عثمان – قال في غزوة عبيد بن الحارثِ، رواه ابن إسحقٍ وغيره:

أمِن طَيفِ سلْمى بالبطَاحِ الدمائِثِ
أرِقْتَ وأمْرٍ في العشِيرةِ حادِثِ

تَرى مِن لُؤَيٍ فِرقةً لا يصدها
مِن الكُفْرِ تَذْكِير، ولا بعثُ باعِثِ

رسولٌ أتاهم صادِقٌ فتكذبوا
عليهِ وقالُوا: لستَ فينا بِماكِثِ

ويبرز القُرشي[192] مكانةَ الشعرِ لدى الخلفاءِ الراشدين، بل أفرد العنوان (عمر والشعر) ومِما قاله بعد ذلك: (أخبرنا المفَضلُ عن أخيهِ عن جده قال عمر بن الخطابِ رضي الله عنْه لابنهِ عبدالرحمن: يا بني: صِلْ رحِمك، واحفَظْ محاسِن الشعرِ يحسن أدبك؛ فإنه من لم يعرفْ نسبه لم يصِلْ رحِمه، ومن لم يحفظْ محاسِن الشعرِ لم يؤدِ حقاً ولم يقْترفْ أدباً.) فالشعر عنده مزين للأدبِ ومتمم للمكارمِ ومِما ينْسب إليه أيضاً[193]: (أرووا مِن الشعرِ أعفهِ، ومن الحديثِ أحسنِهِ، ومن النسبِ ما تُواصلُون عليهِ، وتُعرفُون به فرب رحِمٍ مجهولةٍ قد عرِفَتْ فوصِلَتْ، ومحاسِن الشعر تدل على مكارمِ الأخلاقِ وتنْهى عن مساويها.) وفي كثرةِ اهتمامِهِ بالشعرِ يقُولُ أيضاً[194]: (ولكثرةِ ما روي عن عمر رضِي الله عنه في ذلك قال ابن سلام عن بعض أشْياخه: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا

---

191) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 94.

192) جمهرة أشعار العرب جـ 1 ص 41.

193) جمهرة أشعار العرب جـ 1 ص 41.

194) المصدر السابق جـ 1 ص 41.

يكاد يعرض له أمر إلا أنْشَد فيه بيتَ شِعرٍ)، وهذا ما جعل ابن رشيقٍ[195] يقـولُ عنه: (وكان مِن أنْقدِ أهل زمانِهِ لِلشعر، وأنْفَذِهِم فيه معرفةً).

لخّص القُرطُبي[196] صورةَ الشعر بعد النبي صلّى ا عليه وسلم بقولـهِ: (قال أبو عمر ولا ينْكِر الحسن مِن الشعر أحد مِن أهل العِلمِ، ولا من أُولي النهى، وليس أحد مِن كبار الصحابة وأهل العلمِ وموضِعِ القُدوةِ إلا وقد قـالَ الـشعر أو تمثّل بِهِ أو سمعه فرضيه ما كان حكمةً أو مباحاً، ولم يكُن فيه فُحشٌ ولا خَنَا، ولا لِمسلِمٍ أذى) ويقرر ابن رشيقٍ معمماً[197]: (وليس في بنـي عبـدالمطلب رجـالاً ونساء من لم يقُل الشعر حاشا النبي صلّى ا عليهِ وسلم.) وحسبنا قولُ ابن عبـد ربه[198]: (وقال سعيد بن المسيب: كان أبوبكْرٍ شاعراً، وعمر شـاعراً، وعلـي أشعر الثلاثةِ) ويمكنُنا القول إن الشعر في عهد الخلفاءِ قد وضح له نهج ثابـتٌ، وسياسةٌ متَوارثةٌ تَقُوم على تفْضِيل ما حسن منه واستزراءِ ما قبح

---

[195]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ1 ص 95.

[196] الجامع لأحكام القرآن جـ 13 ص 121.

[197]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ1 ص 100.

[198]) العقد الفريد جـ6 ص 133 تحقيق د. عبدالمجيد الترجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1401هـ – 1984م.

ثانيهُما: رأْيُ الإسلامِ في الشعراءِ:

كما ارتضى الإسلام الشعر الذي يوافِقُ تعاليمه ويدعو إلى الفضِيلةِ؛ كذلك امتدح الشُعراء الذين يذُودون عن حِماه، ويتمسكُون بأخلاقه بلْ شرفهم بأن ذكرهم الله في كتابه: (والشعراء يتبِعهم الغاوون ألم تر أنّهم في كل وادٍ يهيمـون وأنهـم يقُولُون مالا يفعلون إلا الذين آمنُوا وعملُوا الصالِحاتِ وذكروا الله كثيراً وانتصروا مِن بعدِ ما ظُلِموا وسيعلم الذين ظلموا أي منْقلَبٍ ينقلبون.)[199] يقُولُ القُرطُبي[200] في شرحِهِ: (وقال أبوالحسن البراد لما نزلت (والشعراء) جاء حسان وكعـب بـن مالكٍ وابن رواحة يبكُون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالُوا: يا نبي الله ! أنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ وهو تعالى يعلم أنّا شُعراء؟ فقال اقرءوا ما بعدها (إلا الـذين آمنوا وعملوا الصالحات) – الآية - أنتُم (وانتصروا من بعد ما ظُلِموا) أنْـتُم أي بالرد على المشركين قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: (انتصِروا ولا تقولُوا إلا حقّاً ولا تذكروا الآباء والأمهات.) فقد وضح القُرآن الكريم وشرح النبي صلّى الله عليه وسلم وظيفةَ الشاعر الإسلامِي وهي أن ينتصِر للحق، وأن ينزه شعره عن الباطل والفُحش. قال القُرطُبي[201] عن أولئك الشعراء شارحاً قوله تعالى: (ألم تَر أنهم في كل وادٍ يهيمون): (نزلتْ في عبدالله بن الزبعرى ومسافِع بن عبدِ مناف وأُمية بن أبي الصلت، ثم استثْنَى شعراء المؤمنين : حسان بن ثابتٍ وعبدالله بـن رواحـة وكعبٍ بن مالك وكعب بن زهير). ومما يؤكد أن الآياتِ لا تحط من أقـدار الشعراءِ عموماً، وإنّما تستهدِفُ شُعراء الشركِ بدليل استثنائها للمؤمنين منهم تفسير الزمخشري[202] حيثُ يقولُ: (وقيل هم شُعراء قُريشٍ عبدالله بن الزبعرى وهبيـرةَ بن أبي وهبٍ المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبوعزة الجمحِي ومن ثقيفٍ أميةَ بن أبي الصلتِ. قالُوا نحن نقولُ مثلَ قولَ محمدٍ وكانوا يهجونَه ويجتمِـع إلـيهم

---

[199]) سورة الشعراء (224 – 225-226-227).

[200]) الجامع لأحكامالقرآن جـ 13 ص 125.

[201]) المصدر السابق جـ 13 ص 125.

[202]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جـ3 ص 131 دار المعرفة بيروت لبنان د. ت. ط.

الأعراب من قومهم يستمِعون أشعارهم وأهاجِيهم) وقال[203] بعد ذلك عن شُعراءِ المؤْمنين : (استثْنَى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكْثرون ذكْـر ا ِ وتـلاوةَ القرآن وكان ذلك أغلب عليهم في الشعر، وقيلَ المراد بالمـستثنِين عبـدا بـن رواحة وحسان بن ثابتٍ والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير.) لـذلك أدنَـى النبي صلّى ا عليه وسلّم مكانتهم عنْده، وقربهم إليهِ.

قضِيةُ ضعفِ شِعرِ الإسلامِيين أو المُخَضرمِين:

شاع بين الباحِثين منذُ القِدم رأي يقُولُ بِضعفِ الشعر وفُتُـورِهِ فـي ظـل الإسلامِ، بعد قوتِهِ في العصر الجاهلي، وتوسع ذلك الرأي بعد أن تناقله العلمـاء والنقاد.

برزتْ قَضِيةُ ضعفِ شِعرِ الإسلامِيين أو المخَضرمِين بدءاً منـذُ القـرن الثانِي الهجري، وأولُ من قال بذلك مِن القُدماءِ الأصمعِي، وروى عنه ذلك ابـن قُتيبة[204] عندما تحدث عن حسان بن ثابتٍ فقال معلقـاً علـى شِـعره: (وقـال الأصمعي: الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخلَ في الخير ضعفَ هذا حسان بن ثابـتٍ فحلٌ مِن فُحول الجاهليةِ فلما جاء الإسلام سقَطَ شِعره.) فالأصمعي يـشدد علـى ضعفِ الشعر الإسلامي يدل على ذلك استشهاده بحسان بن ثابتٍ الأنصاري رغْم أن ابن سلام[205] عندما تحدث عن شُعراءِ القُري العربيةِ قال عنـه: (أشـعرهم حسان بن ثابتٍ وهو كثير الشعر جيده.) وكذلك يضِيفُ ابن قُتيبـة[206]: (شـعر حسان في الجاهلية مِن أجودِ الشعر، فقُطِع متْنُه في الإسلامِ، لحال النبي صلّى ا ُ عليه وسلّم). وكأن الأصمعي يرجِع سبب ضعفِ شعر حسان لطبيعةِ موضوعاتِ الشعر الجاهِلي التي يحسن بها الشعر بينما موضوعاتِ الشعر الإسلامي لا يحسن معها الشعر وذلك لأنه نكد بابه الشر على حد قولِهِ، وتبع ابن سلام[207] الأصمعِي

203) الكشاف جـ 3 ص 131.

204) الشعر والشعراء جـ 1 ص 296.

205) طبقات فحول الشعراء جـ 1 ص 215.

206) الشعر والشعراء جـ1 ص 296.

207) طبقات فحول الشعراء جـ1 ص (24 – 25).

في قضيةِ ضعفِ شعرِ المخضرمِين، ولكنه عزا ذلك لانـشغال العـربِ بالجهـادِ والغزو: (فجاء الإسلام فتشاغلتْ عنه العرب، وتشاغلُوا بالجهادِ وغـزوِ فـارسِ والروم، ولهتْ عن الشعرِ وروايتِهِ)، ويرى أن ذلك قاد لِذهاب كثيرٍ مـن الـشعرِ وسقوطهِ يقول :(فلما كثر الإسلام، وجاءتْ الفُتُوح، واطمأنت العرب بالأمـصار، راجعوا روايةَ الشعرِ، فلم يؤُولُوا إلى ديوان مدون، ولا كتابٍ مكتوبٍ، وألفَوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقلّ ذلك وذهب عليهم منـه كثير.) وعدد المرزباني[208] أبواباً من الشعرِ مفسراً بها ضعفَ شِعرِ المخَضرمِين وكأنّه يشرح رأي الأصمعي السابق قال: (طريقُ الشعرِ إذا أدخلْته في بابِ الخيرِ لان ألا ترى أن حسان بن ثابتٍ كان فَحلاً في الجاهليةِ والإسلامِ فلما دخل شـعره في باب الخيرِ – من مراثِي النبي صلّى ا عليه وسلّم، وحمزةَ وجعفرِ رضـوان ا عليهما – لان شعره.) وأضاف[209] معللاً سبب ضعفِ شعرِ حسان : (وطريقُ الشعرِ هو طريقُ شعرِ الفُحول مثل امريء القيس وزهير والنابغة مِـن صِـفات الديار والرحلة والهجاءِ والمديح والتشبيبِ بالنساءِ، وصفةِ الخَمرِ والخَيل والحروبِ والافتخار فإذا ادخلتَه في بابِ الخيرِ لان.).

أخذتْ قضيةُ ضعفِ شعرِ المخَضرمين منحى جديداً عند ابن خلدون[210]، فقد قال بِضعفِه متبعاً بذلك نظرةَ الأصمعي، ولكنه ربط ذلك بسببين أولُهما مشابه لرأي ابن سلامٍ السابق وهو انْشغالُهم بأمرِ الدين وثانيهما مخالفٌ لكل مـا ذكـره القدماء من أسبابٍ لضعفِ شِعرهم وهو دهشتُهم من أسلوبِ القـرآن الكـريمِ، ولا أحسب أن ذلك سبب يتَيقن منه بلْه الحكْم بِهِ على شعرِ المخَضرمين يقولُ[211]: (ثم انصرفَ العرب عن ذلك أول الإسلامِ بما شغلَهم من أمرِ الدين والنبوةِ والـوحي وما أدهشهم من أسلوبِ القرآن ونظْمِهِ فأُخرِسوا عن ذلك وسكَتُوا عن الخوضِ في النظمِ والنثرِ زماناً)، ويربطُ رجوع المخَضرمِين للشعرِ بهدايةِ الدين لهم، وعـدم

---

[208]) الموشح مآخذ العلماء على الشعراء ص 79، تحقيق علي البجاوي، دار الفكر العربي د. ت. ط.

[209]) المصدر السابق ص 79.

[210]) مقدمة ابن خلدون ص 581، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان د.ت. ط.

[211]) المصدر السابق ص 581.

تحريمِهِ للشعر، إضافةً لاستماع النبي صلى الله عليه وسلم له وتشْجِيعهم عليه فأضاف[212] بعد ذلك: (ثم استقر ذلك وأُونِس الرشْد من المِلةِ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظْره وسمِعه النبي صلّى الله عليه وسلّم وأثاب عليه فرجعوا حينئذٍ إلى ديدنهم منه.)

مضى الرأي القائلُ بضعفِ شعر المخَضرمِين حتى خاض فيه المحدثُون معِيدين آراء القدماء مرةً، ومعتمدين آراءهم واستنباطَهم مرة أخرى مثل الجبوري[213] في قوله: (جاء الإسلام ثورةً على عهدٍ جاهلي، فغير كثيراً من نُظِمِهِ ومثُله، وأقام مقامها مثلاً ونُظُماً تخْتلفُ عنها اخْتلافاً كبيراً وكان الشعر قبل الإسلامِ يستمد عواطِفُه وقِيمه من تلك المثُل والنظمِ، وقد أبطلَ الإسلام دواعِي الجاهلية ونزعاتها فصار على الشعر أن يستمد معانيه وأغراضه من طبيعة الظرف الجديد، فوفقَ حيناً وخاب في أكثر الأحايين) وهذا ما دعاه أن ينتهي للقول[214] بضعفِهِ بعد ذلك: (وقد كان لتلك الخَيبةِ أثرها في خُمول الشعر وضعفِهِ إذا ما قيس بشعر العصر الجاهلي).

انفرد شوقي ضيف[215] باستبعاده قضيةَ ضعفِ شِعر المخَضرمين حيث قال مدافعاً عنه: (فالشعر لم يتوقفْ ولم يتخلفْ في هذا العصر، وهذا طبيعي لأن من عاشوا فيه كانوا يعيشون من قبله في الجاهليةِ.) وقد أضعفَ حجتَه عندما قال[216]: (وكانوا قد انحلّتْ عقدةَ لسانهم، وعبروا بالشعر عن عواطِفهم ومشاعرِهم، فلما أتم الله نعمةَ الإسلامِ ظلُوا يصطِنعونه وينظمونَه)، فحاول الرد على ابن خلدون فقال[217]: (وليس بصحيحٍ أنّه توقف أو ضعفَ كما ظن ذلك ابن خلدون وتابعه فيه بعض المعاصِرين) ويمضي راداً عليهِ في موضع آخر[218]:

[212]) مقدمة ابن خلدون ص 581.

[213]) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ص 45. مؤسسة الرسالة. د. ت. ط.

[214]) المصدر السابق ص 45.

[215]) تاريخ الأدب العربي. العصر الإسلامي ص 42.

[216]) المرجع السابق ص 42.

[217]) تاريخ الأدب العربي . العصر الإسلامي ص 42.

[218]) المصدر السابق ص 42.

(وكأنّه يجعلُ تَوقفهم عن الشعر مدة نُزولَ الوحي لعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وواضح أن هذا لا يصدقُ على المشركين لأنّهم لم يشغَلُوا بالدعوةِ.) وزعم أنه متأثر بابن سلام فقال[219]: (ولعل الذي دفع ابن خلدون إلى كلامهِ السابق ما جاء عند ابن سلام وتناقله الرواةُ بعد ذلك) وانتقد رأي ابن سلامٍ قائلاً[220]: (أما قولُه بأن العرب لهتْ عن الشعر وشُغِلتْ عنه بالجهادِ فينقُضه ما تحملُه كتب الأدب والتاريخ من منظوماتهِ الكثيرةِ ومن أسماءِ ناظميهِ.) ومن مظاهر قوة الشعر في ظل الإسلامِ – كما يرى شوقي ضيف – إزدهاره في مكةَ قال[221]: (فإذا بنا نجد مكّةَ التي لم تُعرفْ في الجاهليةِ بشعرٍ كثيرٍ يكثر شُعراؤُها، وإذا بنا إزاء عشراتٍ من الشعراءِ في الفُتُوح لم يشْتهروا بالشعر ونَظْمِهِ قبلها وهم يسمون جميعاً مخَضرمين.)

ومهما يكن من شيءٍ فقضيةُ ضعفِ شعر المخَضرمين تعتمد على طبيعة الشعر المعروفةِ قبل الإسلامِ بمستوى ثابت وأبوابٍ معينةٍ يحكم بها عليهِ، ولما جاء الإسلام وأحدثَ ثورةً بتقديرهِ للشاعر الذي يعبر شعره عن الحق – وكان ذلك غير مألوفٍ – فطَن الأقدمون لذلك، وقالُوا بضعفِ الشعر في صدر الإسلامِ).

---

219) المصدر السابق ص 42.

220) المصدر السابق ص 42.

221) المصدر السابق ص 42.

الفصل الثالث

الشعراءُ المُخَضرمُون في المفَضلِيات

المبحثُ الأول: عددهم ونسبُهم

الشعراءُ المُخَضرمُون في المفَضلِيات:

أحصيتُ الشعراء المخَضرمِين في كتاب المفضلِيات، فوجدتُهم ستَةَ عشَر شاعِراً، وعندما تتّبعتُ نسبهم، وسِيرهم، وأخبارهم وقارنْتُ ذلك بما في شرح ابن الأنباري والتبريزي خَلَصتُ إلى عشرةِ شُعراء أجمع عليهم العلماء، وأمكن – من ما حصلْتُ عليه – التيقّن بِخضرمتهم دون شك أو خلاف؛ لذا قصرت دراستي عليهم لأنني أردتُ معرفة سماتِ شِعرهم، ولأن الذين ثبتَتْ خضرمتُهم يغْنُون في الدراسة عمن اضطرب العلماء في أمرهم. وأحسب أن ذلك العدد لا يتعارض مع ما ذكره ناصر الدين الأسد[222] عندما قسم شعراء المفضليات فقال إنهم : (سبعة وستون شاعراً، منهم ستةُ شعراءٍ إسلاميون، وأربعة عشر مخضرمون، والباقون وهم سبعة وأربعون شاعراً جاهليون لم يدركوا الإسلام.) لأنه قسمهم تقسيماً عاماً وليس تقسيم دراسةٍ خاصةٍ. وأوردتُ الشعراء المخضرمين – الذين لا شك في خضرمتهم وهم عشرة – حسب قبائلهم تسهيلاً لذكرهم، وتوضيحاً لمعرفتهم وهم :

أولاً: الشعراء المخضرمون الذين ينتمون لقبيلة تميم: وهم أربعة شعراء:

أولهم : مُتمم بن نُويرة اليربُوعي:

لم يختلف العلماء في اسمه ونسبِهِ ولكنّهم اختلفوا في جديهِ الأول (جمرةُ)، والثالثُ (عبيد). ترجم له المرزباني[223] فأورد الأول (جمرة)، والثالث (عتيد) قال: (متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عتيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.) وذكره ابن سلام[224] وسمى جده الثالث (عبيدة) قال: (متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيدة بن ثعلبة بن يربوع)، بينما سمى

---

[222]) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص 573.

[223]) معجم الشّعراء ص 432، تحقيق عبدالستار أحمد فراج. مطبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة د. ت. ط.

[224]) طبقات الشعراء ص 97، تحقيق الشيخ محمد سويد، دار إحياء العلوم بيروت ط1 1418هـ – 1998م.

التبريزي[225] جده الأول (حمزة) والثالث (عبيد) في قوله: (هو متمم بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر.) وأحسبني أرجح – لكثرة الذكر – أن جده الأولَ (جمرة)، والثالث (عبيد)، يقول البغدادي[226] معرفاً به : (ومتمم هو ابن نويرة بن جمرة (بالجيم) بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.) ووافق أبو الفرج الأصبهاني[227] ما سبق في إيراد نسبه وزاد عليه قائلاً: (هو متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن مضر بن نزار.) واكتفي القرشي[228] بذكر ما اشتُهر به من نسبه قال: (هو متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي).

اختُلِفَ في كُنْيته، فمن العلماء من قال إنّه يكنّى أبا نهشل مثل ابن سلام[229]: (ويكنى أبا نهشل)، والقرشي[230]: (أبو نهشل) أيضاً، بينما قرن أبو الفرج الأصبهاني[231] كنيته بكنية أخيه مالك فقال (ويكنى متمم بن نويرة أبا نهشل، ويكنى أخوه مالك أبا المِغوار). ومن العلماء من شك في كنيته هل هي ثلاث كُنى مختلفة أم واحدة منهن؟ مثل التبريزي[232] الذي جمعها قائلاً: (ويكنّى أبا نهشل وأبا تميم وأبا فجعان)، والمرزباني[233] الذي أبان أن كنيته أبو نهشل (ويكنى أبا نهشل)، ولكنه أضاف له كُنْيتين بعد ذلك فقال[234]: (ويقال: أبو تميم، ويقال: أبو إبراهيم.) وينتهي نسبه لقبيلة تميم قال ابن حزم الأندلسي[235] في

---

225) شرح اختيارات المفضل جـ 3 ص 1166.

226) خزانة الأدب جـ 2 ص 24.

227) الأغاني جـ 15 ص 239، دار الثقافة بيروت 1958م.

228) جمهرة أشعار العرب ص 341، دار الكتب العلمية. بيروت لبنان ط3 2004م – 1424هـ.

229) طبقات الشعراء ص 97.

230) جمهرة أشعار العرب ص 341.

231) الأغاني جـ 15 ص 239.

232) شرح اختيارات المفضل جـ 1 ص 242.

233) معجم الشعراء ص 432.

234) المصدر السابق ص 432.

235) جمهرة أنساب العرب ص 224، دار الكتب العلميه بيروت لبنان ط1 1403هـ – 1983م.

حديثه عن بني يربوع بن حنظلة: (وهؤلاء بنو يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم: فمن بني ثعلبة بن يربوع مالك ومتمم ابنا يربوع بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع)، وقال التبريزي[236] (شاعر يربوعي من تميم). كان ذا قدر رفيع، ومكانة عِليةٍ بين قومه شُهد له بذلك، قال الجمحِي[237] مورداً بعض صفاته: (صحابي من أشراف قومه اشتهر في الجاهلية والإسلام وكان قصيراً أعور)، وكذلك يقول عنه القرشي[238]: (صحابي من أشراف قومه اشتهر في الجاهلية والإسلام وكان قصيراً أعور)، وأكد المرزباني[239] ذلك مثبتاً خضرمته بقوله: (وكان أعور، وأدرك الإسلام وأسلم فحسن إسلامه). وكأن التبريزي[240] أراد أن يشرح علو منزلته بين قومه، ويعلل اشتهاره في الجاهلية والإسلام عندما قال عنه: (وقد أدرك الإسلام، وكان له صحبةٌ واشتهر في الجاهلية بردا فِتهِ الملوك، وفي الإسلام برثائه أخاه مالكاً.) ومما يؤكد صحبتَه قول ابن حجر[241]: (ذكره الطبري وقال: أسلم هو وأخوه مالك)، وأثبت ابن عبدالبر إسلامه مستثنياً أخاه مالك الذي اختُلِفَ في إسلامه قال: (قال الطبري مالك بن نويرة بن حمزة التميمي، بعثه النبي صلّى ا عليه وسلم على صدقة بني يربوع وكان قد أسلم هو وأخوه متمم. قال أبو عمر أما مالك فقتله خالد بن الوليد، واختلف فيه هل قتل مرتداً أم مسلماً، وأما متمم فلم يختلف في إسلامه.) أي أجمع علماء السيرة على خضرمته وصحبته قال ابن الجزري[242]: (ولم يختلف في إسلامه) ووصفه البغدادِي[243] قائلاً: (وكان متمم من الصحابة رضوان ا

---

[236]) شرح اختيارات المفضل جـ 1 ص 242.

[237]) طبقات الشعراء ص 97.

[238]) جمهرة أشعار العرب ص 341.

[239]) معجم الشعراء ص 432.

[240]) شر ح اختيارات المفضل جـ1 ص 242.

[241]) الإصابة في تمييز الصحابة جـ 5 ص 763، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة د. ت. ط.

[242]) أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ 5 ص 58، تحقيق محمد صبيح د. ت.ط.

[243]) خزانة الادب جـ 2 ص 24.

عليهم.) ويشهد على ذلك خبر مقتل أخيه مالك، يقول أبو الفرج الأصبهاني[244]: (أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا محمد بن الحكم البجلي، عن الأنصاري قال: صلّى متمم بن نويرة مع أبي بكر الصديق – رضوان ا عليه – الصبح ثُم أنشد قوله:

نِعم القتيلُ إذا الرياح تناوحتْ
خاف البيوت قَتلْتَ يابن الأزور
أَدعوتَه با ثُم قتلْتـ ـ ـ ـَه
لو هو دعاك بِذِمةٍ لم يغْـ ـدِر

فقال أبوبكر (رضي ا عنه): وا ما دعوتُه ولا قتلتُه فقالَ:

لا يضمِر الفحشاء تَحتَ ردائِهِ
حلو شمائلُه عفيفُ المِئـ ـزر
ولَنِعم حشْو الدرع أنْتَ وحاسِراً
ولنعم مأْوى الطارق المتنور

قال: ثُم بكى حتّى سالتْ عينُه، ثُم انخرط على سِيةِ قوسه متّكِئاً يعني مغْشِياً عليه.) فالخبر يرينا مكانة متمم الإسلامية إذْ جاء منتقداً قتْل أخيه ومدافعاً عنه، يقول البغدادي[245]: (قولهم فتًى ولا كمالك (هو مالك بن نويرة سيد بني يربوع، قتله خالد بن الوليد، وقام متمم بذكر غدر ضرار بمالك، ثُم أورد الأبيات السابقة.) و لخّص المرزباني[246] ذلك قائلاً (وقدم أخوه متمم بن نويرة على أبي بكر الصديق رضِي ا عنه فأنشده مراثي أخيه مالك، وناشده في دمه وفي سبيهم، فرد أبو بكرٍ السبي إليه، وأغاظ عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد رضِي ا عنه في أمر مالك وعذره أبوبكر).

مُتمم وسيدنا عمر بن الخطّاب رضِي ا عنهما:

---

[244]) الأغاني جـ 15 ص 245.

[245]) خزانة الأدب جـ 2 ص 24.

[246]) معجم الشعراء ص 260.

كان متمم بن نويرة محبباً لسيدنا عمر بن الخطّاب الذي كان يواده ويؤانسه ليس من باب أخوة الإسلام فحسب، بل لأن سيدنا عمر بن الخطّاب كان يحِب الشعر والشعراء ويعد من أعلام أهل زمانهِ بالشعر قال عنه ابن رشيق[247] في (باب في أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء): قال: (وكان من أنقد أهل زمانه للشعر) لذلك كان كثيراً ما يسأل متمماً معزياً له أو مستأنساً به عندما يذكر أخاه زيداً قال الجمحِي[248]: (ومن أحسن ما سمعت من عذر خالدٍ ما ذكروا أن عمر قال لمتمم بن نُويرة: ما بلغ من حزنك على أخيك؟ – وكان متمم أعور – قال: بكيت عليه بعيني الصحيحة حتّى نَفد ماؤها فاسعدتْها أختها الذاهبة. فقال عمر : (لو كنتُ شاعراً لقُلْتُ في أخي أجود مما قلت. قال: يا أمير المؤمنين، لو كان أخي أُصِيب مصاب أخيك ما بكيته. فقال عمر: ما عزاني أحد عنه بأحسن مما عزيتني.) ومن نحو ما سبق قول أبي الفرج الأصبهاني[249]: (قيل لمتمم: ما بلغ من وجدك على أخيك؟ فقال أصِبتُ بإحدى عيني فما قطرت منها دمعة عشرين سنةً، فلما قُتِلَ أخي استهلَتْ فما ترقأُ.) ومن سؤال عمر لمتمم ما ينُم عن مودة واستئناس ويروى أيضاً[250]: (إن متمماً بن نويرة دخل على عمر بن الخطّاب فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلك! فقال يا أمير المؤمنين، أما وا إني مع ذلك لأركب الجمل الثفال، وأعتقل الرمح الشطُون، وألبس الشملة الفلوت، ولقد أسرتْنِي بنو تغلب في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالكاً فجاء ليفديني منهم، فلما رآه القوم أعجبهم جماله، وحدثهم فأعجبهم حديثه فأطلقوني له بغير فداء.) وأورد قصة زواجه مثبتاً أن سيدنا عمر بن الخطّاب رضِي ا عنه هو الذي حثه على ذلك قال: (إن عمر بن الخطاب رضي ا عنه قال لمتمم بن نُويرة: إنكم أهلَ بيت قد تفانيتم، فلو تزوجتَ عسى أن تُرزقَ ولداً يكون فيه بقية منكم، فتزوج امرأة

---

[247]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه جـ1 ص 95.

[248]) طبقات الشعراء ص 100.

[249]) الأغاني جـ 14 ص 248.

[250]) المصدر السابق جـ 15 ص 248.

بالمدينة، فلم ترض أخلاقه لشدة حزنه على أخيه وقِلّة حفْلِهِ بها فكانت تماظه وتُؤْذيه فطلّقها وقال:

أقولُ لهنْدٍ حين لم أرض فِعلَها
أهذا دلالُ الحب أم فعلُ فَارِك

أَم الصرم ما تَبغِي، وكلّ مفَارقٍ
يسِير علينا فَقْده بعد مالِـكِ

ورث ابنا متمم إبراهيم، وداؤود شاعريةَ أبيهما وخطابتَه قال ابن قتيبة[251]: (وكان لمتمم ابنان: إبراهيم وداؤود، وكانا شاعرين خطيبين) واستشهد على ذلك بأن ساق قصةَ أحدِهما وهو إبراهيم مع الخليفة عبدالملك بن مروان يقول عنه[252]: (دخل إبراهيم على عبدالملك بن مروان، فقال له: إنّك لَشِنْخفٌ. فقال: يا أمير المؤمنين إني من قومٍ شِنْخِفين (والشنخف الجسيم من الرجال) قال: وأراك أحمر قرفاً، قال: الحسن أحمر يا أمير المؤمنين.) ولم يكن متمم محبوباً لدى سيدنا عمر بن الخطاب وحده، بل كان كُل الصحابة يحبونه و يحبهم يقول أبو الفرج الأصبهاني[253]: (بينا طلحة والزبير يسيران بين مكة والمدينة إذْ عرض لهما أعرابي فوقفا ليمضِي، فوقف ، فتعجلا ليسبقَاه فتعجل، فقالا: ما أثقلك يا أعرابي، تعجلنا لنسبِقك فتعجلْتَ، فوقفنا لتمضِي فوقفْتَ، فقال: لا إله إلا ا ! هباني أعذِر النّاس، أأعذِر أصحاب محمد صلّى ا عليه وسلّم، هباني خِفْتُ الضلال، فأحببتُ أن استدلّ بكما، أو خِفْتُ الوحشةَ، فأحببتُ أن أستأنس بكما. فقال طلحةُ: من أنت؟ قال: أنا متمم بن نويرة، فقال طلحة واسوأتاه لقد مللْنا غير مملول، هات بعض ما ذكرتَ في أخيك.)

---

[251]) الشعر والشعراء جـ1 ص 327.

[252]) المصدر السابق جـ 1 ص 327.

[253]) الأغاني جـ 15 ص 249.

ولم أقف على خبرٍ لمكان موته سوى أن أرجح مكان إقامته بالمدينه، وأما زمانه فقد قال القرشِي[254] إنّه (مات نحو ثلاثين للهجرة، أي ستمائة وخمسين للميلاد.)

وثانيهم: المُخَبَلُ السعدِي:

المخبل لقب له قال التبريزي[255]: (والمخبلُ لقبه)، وكذلك قال البغدادي[256]: (المخبل لقب)، وفسره قائلاً[257]: (والمخبل بفتح الباء المشددةِ في الأصل اسم مفعول من خبله تخبيلا أي أفسد عقله. ورجل مخبلٌ كأنه قطِعتْ أطرافه)، وأيضاً قال ابن دريدٍ[258] في شرحه: (ومخبل: مفعل من الخبل والخبلُ استرخاء المفاصل من ضعف أو جنون. والخبال الهلاك والخابل الجن)،ويبدو أن المخبل السعدي كانت به لوثة ولذا لقب بالمخبل يقول عنه ابن قتيبة[259]: (المخبلُ: المجنون وبه سمي المخبلُ الشاعر.) وبعد أن أوضح البغدادِي[260] لقبه ذكر عدداً من الشعراء مِمن لُقب بالمخبل فقال: (وفي الشعراء من يقال له المخبل غير هذا ثلاثة وهم: المخبل الزهري، والمخبلُ الثّمالي، وكعب المخبل.) أما اسمه فقد اختُلِفَ فيه كثيراً، وعندما ترجم له المرزباني[261] أورد له عدة أسماء محتملة قال: (المخبل السعدِي: الربيع بن ربيعة بن عوف بن قنان، ويقال ربيعة بن كعب ويقال كعب بن ربيعة، ويقال ربيعة بن مالك، ويقال الربيع بن مالك، ويقال ربيعة بن عوف.) واستطرد أبو الفرج الأصبهاني[262] في إيراد الخلاف حول اسمه

---

[254]) جمهرة أشعار العرب ص 341.

[255]) شرح اختيارات المفضل جـ 1 ص 533.

[256]) خزانة الأدب جـ 6 ص 93.

[257]) المصدر السابق جـ 6 ص 93.

[258]) الاشتقاق جـ 1 ص (256-257) . تحقيق عبدالسلام محمد هارون مكتبة الخانجي مصر د. ت. ط.

[259]) الشعر والشعراء جـ 1 ص 410.

[260]) خزانة الأدب جـ 6 ص 95.

[261]) معجم الشعراء ص 283.

[262]) الأغاني جـ 13 ص 190.

فقال: (قال ابن الكلبي : اسمه الربيع بن ربيعة، وقال ابن وأب: اسمه كعب بن ربيعة. وقال ابن حبيب وأبو عمر: اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتّال بن أنف النّاقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم.) ولكن ابن قتيبة[263] اختصر نسبه دون الإشارة لخلافٍ فيه قال: (قال أبو عمرو : اسمه ربيعة بن مالك وهو من بني شماس بن لأي بن أنف النّاقة.) بيد أن البغدادي[264] حكى خلافاً بقوله : ((واسمه ربيع بن ربيعة بن عوف بن قِتَال بن أنف النّاقة. وقِتال بكسر القاف بعدها مثناةٌ فوقيةٌ بعد لام، كذا في مختصر أنساب الكلبي. وقال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي: وهو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف أحد بني أنف النّاقة.)) وفي شرح مفضليته عرفه ابن الأنباري[265] دون إيراد خلاف في اسمه قال عنه (لم يزد أبو عكرمة على اسمه، ولم يرفع في نسبه. قال أحمد: هو أبويزيد والمخبل لقبه واسمه ربيع بن مالك بن ربيعة بن قتّال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر.) وأبان[266] بعد ذلك لقبه واسم جده أنف الناقة فقال: (وأنف الناقة اسمه جعفر وإنّما سمي جعفر أنف الناقة لأن أباه قريعاً نحر جزوراً فأخذ جعفر بأنف الناقة يجر رأسها إلى المنزل فسمي بذلك)، وقصر التبريزي[267] اسمه بقوله: (واسمه ربيع بن مالك بن ربيعة والمخبل لقبه) دون إشارة لأية خلاف فيه، ولكنه أبان نسبه وأنه[268] (من بني سعد بن زيد مناة بن تميم).

لم يختلف العلماء في كنيته (أبي يزيد) قال البغدادِي[269]: (ويكنّى أبا يزيد)، وقال[270] بعد ذلك: (وهو المراد بقول الفرزدق:

---

[263]) الشعر والشعراء جـ 1 ص 410.

[264]) خزانة الأدب جـ 6 ص 91.

[265]) ديوان المفضليات جـ1 ص 207.

[266]) المصدر السابق جـ 1 ص 207.

[267]) شرح اختيارات المفضل جـ 1 ص 533.

[268]) المصدر السابق جـ 1 ص 533.

[269]) خزانة الأدب جـ 6 ص 93.

وهب القصائد لي النوابِغُ إذ مضوا

وَأبو يزيد وذُو القُروح وجرولُ

ويقول ابن قتيبة[271]: (وكنيته أبو يزيد وهو الذي أشار إليه الفرزدق بقوله: (ثم ذكر عجز البيت السابق) وكذلك يقول أبو الفرج الأصبهاني[272]: (ويكنّى أبا يزيد وإياه عنى الفرزدق بقوله: (ثم أورد بيت الفرزدق.) والمخبل من مخضرمي الصحابة ذكره ابن حجر[273] ونقل الخلاف في اسمه وقال بعد ذلك: (وكان مخضرماً نزل البصرة). وأوضح أبو الفرج الأصبهاني[274]: (وعمر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً) وقال[275] عنه قبل ذلك (من مخضرمي الجاهلية والإسلام.) ومما يشهد علي إقامته بالبصرة قول ابن قتيبة[276]: (وهاجر وابنه إلى البصرة، وولده كثير بالإحساء.) وروى أبو الفرج الأصبهاني[277] قصةَ ابنه شيبان وجزعه عليه عندما خرج مجاهداً مع سعد بن أبي وقّاص، قال: (هاجر شيبان بن المخبل السعدي وخرج مع سعد بن أبي وقّاص لحرب الفرس فجزع عليه المخبل جزعاً شديداً وكان قد أسن وضعفَ. وذهب علقمة بن هوذة إلى عمر بن الخطّاب وأنشده قوله:

أَيهلكُني شيبان في كُل ليلةٍ

لِقلْبي مِن خَوفِ الفِراقِ وجِيب

فلما أنشد عمر بن الخطاب القصيدة بكى ورقّ له، فكتب إلى سعد بن أبي وقّاص أن يقفلَ شيبان بن المخبل ويرده على أبيه.)

---

270) المصدر السابق جـ 6 ص 93.

271) الشعر والشعراء جـ 1 ص 410.

272) الأغاني جـ 13 ص 190.

273) الإصابة في تمييز الصحابة جـ 2 ص 455.

274) الاغاني جـ 13 ص 190.

275) المصدر السابق جـ 13 ص 190.

276) الشعر والشعراء جـ 1 ص 410.

277) الأغاني جـ 13 ص 190.

كان خبال عقل المخبل سبباً في منعه الزواج من خُلَيدة، أخت الزبرقان بن بدر وذلك ما أثار بينهما المهاجاة قال أبو الفرج الأصبهاني[278]: (خطب المخبل السعدِي إلى الزبرقان بن بدر أخته خليدة فمنعه إياها ورده لشيءٍ كان في عقله) وروى[279] بعد ذلك: (حدثنا الأصمعي قال: مر المخبلُ السعدي بخليدة بنت بدر أخت الزبرقان بن بدر بعد ما أسن وضعف بصره فأنزلته وقربتْه. واعتذر إليها:

لقد ضلّ حِلْمِي في خُلَيدةَ إنني
سأُعتِب نفْسي بعدها وأتُـوب
وأُقسِم بالرحمن إني ظلمتُها
وجرتُ عليها والهجاء كذُوب

وأورد ابن قتيبة[280]القصة السابقة بطريقة تختلف قليلاً: (وكان المخبل هجا الزبرقان بن بدر وذكر أخته خليدة، ثُم مر بها بعد حين، وقد أصابه كسر، وهو لا يعرفها، فآوتْه وجبرت كسره فلما عرفها قال: (وأنشد البيتين السابقين).

اضطربتِ الأخبار كثيراً في ما يتصل بآخر حياته، وزمان مماته فابن قتيبة[281] يقول: (يقَالُ إنّه مات في خلافة عثمان)، بينما التبريزي[282] يشير لإدراكه خلافة عمر يقول: (أدرك خلافة عمر)، وابن حجر[283] يشك في زمان مماته ويقول: (وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان)، وخَلُص أبو الفرج الأصبهاني[284] لما سبق فقال: (وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان رضِي ا عنهما، وهو شيخ كبير.)

وثالثهم: عمرو بن الأهتم:

---

[278]) الأغاني جـ 13 ص 193.

[279]) المصدر السابق جـ 13 ص 197.

[280]) الشعر والشعراء جـ 1 ص 410.

[281]) المصدر السابق جـ 1 ص 410.

[282]) شرح اختيارات المفضل جـ1 ص 533.

[283]) الإصابة في تمييز الصحابه جـ 2 ص 456.

[284]) الأغاني جـ 13 ص 190.

وقفْتُ على اسمين لأبيه في ترجمة المرزباني(285) له: (عمرو بن الأهتم المنقري، واسم الأهتم سِنان بن سمي. ويقَال سمي بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقَاعِس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم) وكذلك قال ابن قتيبة(286): (هو عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن مِنْقر من بني تميم) أما التبريزي(287) فلم يشِر للخلاف في اسم أبيه عندما قال : (هو عمرو بن سنان بن سمي التميمي السعدي المنقري.) بيد أن ابن قتيبة(288) شرح سبب لقب أبيه بالأهتم فقال: (وسمي أبوه سِنان الأهتم لأن قيساً بن عاصم المنقري ضربه بقوس فهتم فمه)، وذهب ابن عبدالبر(289) لذلك أيضاً فقال: (والأهتم أبوه، واسمه سِنان بن خالد بن سمي، ويقال إنه سِنان بن سمي بن سِنان بن خالد بن منقر بن عبيدٍ بن الحارث وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم) وشرح بعد ذلك فقال(290): (ويقال إن قيساً بن عاصم ضربه بقوس فهتم فمه فسمي بالأهتم) ونقل الحصري القيرواني(291) غير ذلك قال: (وسمي سنان الأهتم لأن قيساً بن عاصم المنقري سيد أهل الوبر ضربه بقوس فهتم فاه. وقيل بل هتِم فَوه يوم الكلاب الثاني، وهو يوم كان لبني تميم على أهل اليمن.).

ينتمي عمرو بن الأهتم لبني منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم قال عن نسبه ابن حزم الأندلسي(292): (وهؤلاء بنو منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تَميم: ومن ولدهم عمرو بن الأهتم بن سمي بن سِنان بن خالد بن منقر)، وأوضح القلقشندي

---

285) معجم الشعراء جـ 1 ص 21.

286) الشعر والشعراء جـ 1 ص 617.

287) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 596.

288) الشعر والشعراء ص 617.

289) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ 3 ص 1163.تحقيق علي محمد البجاوي. مطبعة نهضة مصر. القاهرة. د. ت. ط.

290) المصدر السابق جـ 3 ص 1163.

291) زهر الآداب وثمر الألباب جـ1 ص 39. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل بيروت ط5 1419هـ – 1999م.

292) جمهرة أنساب العرب ص 217. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1403 هـ - 1983م.

نسبه مضبوطاً[293] قائلاً: (بنو مِنقر بكسر الميم وفتح القاف – بطن من تميم من القحطانية، وهم بنو منقر بن عبيد بن مقاعس، واسمه الحارث بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم) قال بعد ذلك (ومنهم عمرو بن الأهتم) وذكرت له كنيتان : فالمرزباني[294] يقول: (ويكنّى أبا نعيم) بينما يقول ابن قتيبة[295]: (وكان عمرو يكنّى أبا ربعي) وكذلك الجزري: (ويكنّى عمرو أبا ربعِي). وكان ذا مكانة بين قومه قال التبريزي[296]: (وهو سيد قومه شريف) وقال المرزباني[297]: (وكان سيداً من سادات قومه) ويعد من كبار الشعراء المخضرمين ومتقدمي الصحابة قال التبريزي[298]: (وأدرك الإسلام ووفد على رسول ا صلّى ا عليه وسلّم مع بني تميم). ولكن ابن الجزري[299] أورد أنه ارتد وتبع سجاح وعاد فأسلم قال: (وكان عمرو ممن اتبع سجاح لما ادعت النبوة، ثم إنّه أسلم وحسن إسلامه.) وقال ابن عبدالبر[300] إنه أسلم سنة تسع من الهجرة : (قدم على رسول ا صلّى ا عليه وسلّم وافداً في وجوه قومه من بني تميم، فأسلم وذلك في سنة تسع من الهجرة) وذكر الطبري[301] أيضاً: (قال الواقدي: قدم على رسول ا صلّي ا عليه وسلم وفد بني تميم) وقال بعد ذلك معدداً لوجهائهم: (قدم على رسول ا صلّى ا عليه وسلّم عطارد بن حاجب بن زراة بن عدس التّميمي في أشراف من تميم منهم: الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر التّميمي ثم أحد بني سعد: وعمرو بن الأهتم، والحتَات بن فلان).

---

293) نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ص 380، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1405هـ - 1984م.

294) معجم الشعراء ص 21.

295) الشعر والشعراء جـ 1 ص 618.

296) شرح اختيارات المفضل جـ2 ص 596.

297) معجم الشعراء ص 21.

298) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 596.

299) أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ 4 ص 197.

300) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ 3 ص 1163.

301) تاريخ الأمم والملوك جـ 3 ص 356. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط1 1407هـ – 1987م.

كان عمرو يلقب بالمكحل لشدة جماله وقال ابن قتيبة[302]: (كان في الجاهلية يدعى المكحل لجماله. وأخبر عنه[303] بعد ذلك أنه: (كان له ابن يقال له نُعيم بن عمرو، من أجمل الناس وفيه تأنيث وله يقول عبدالرحمن بن حسان:

قُلْ لِلذي كاد لولا خَطُّ لِحيتـهِ

يكُون أُنْثَى عليها الدر والمسـك

هلْ أنْتَ إلاّ فتاةُ الحي إن أمِنُوا

يوماً، وأنْتَ إذا ما حاربوا دعك

ومن الغريب أنّه ذكر بعد ذلك بنتاً قبيحة لعمرو تدعى (أم حبيب) طلقتْ لقبحها قال[304]: (وكانت لعمرو ابنةٌ يقال لها أم حبيب تزوجها الحسن بن علي، وقدر أن تكون في جمال أخيها فوجدها قبيحة فطلقها.).

عاش عمرو بن الأهتم إلى زمان سيدنا عمر بن الخطّاب رضِي ا عنه بل ذكر ابن عبد ربه[305] أنّه وفَد عليه: (روى العتبي عن أبيه قال: وفد الأحنف وعمرو بن الأهتم على عمر بن الخطّاب رضِي ا عنه فأراد أن يقرع بينهما في الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم قال الأحنف:

ثوى قَدح عن قومِهِ طَالَما ثَوى

فلما أتاهم قالَ قُوموا تَنَاجزوا

فقال عمرو بن الأهتم: إنا كنّا وأنتم في دار جاهلية فكان الفضل فيها لمن جهلَ، فسفكنا دماءكم، وسبينا نساءكم وإنّا اليوم في دار الإسلام والفضل فيها لمن حلِم فغفر ا لنا ولك. قال فغلب يومئذٍ عمرو بن الأهتم على الأحنف ووقعت القرعة لآل الأهتم. فقال عمرو بن الأهتم:

فلما دعتْني للرياسة مِنْقَر

---

302) الشعر والشعراء جـ1 ص 618.

303) المصدر السابق جـ1 ص 618.

304) المصدر السابق جـ 1 ص 1114.

305) العقد الفريد جـ2 ص 64. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهر ط3 1384هـ – 1965م.

لدى مجلسٍ أضحى بِهِ النجم بادِيا

شَددتُ لها أَزري وقد كُنْتُ قبلها

لأمثالِـ ـها مِما أشُـ ـد إزاريا)

فكلام عمرو يدل على فهم وورعٍ مع مقدرة على البيان، وعلّوٍ في الإيمان.

لم أجد – فيما وقفتُ عليه – خبراً أو إشارةً لموضع أو تاريخ وفاته سوى ما أورده الزركلي[306] أنه مات سنة سبع و خمسين للهجره أي سبع وسبعين وستمائة للميلاد.

ورابعُهُم : عبدةُ بنُ الطبيب

اخْتُلِفَ في اسمه واسم أبيه فالتبريزي[307]: يقول (هو يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبدا بن عبد نُهم بن جشَم بن عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم) وابن الأنباري[308] يقول عنه (هو يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبدا بن عبد نُهم بن جشَم بن عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم) وزاد التبريزي[309] في نسبه شارحاً معنى عبده، ولكنه جعل اسمه (عبدة) وأباه (الطبيب) يزيدا قال: (عبدة واحد العبد، وهو نبت) وبعد ذلك أبان نسبه قائلاً[310]: (وهو من بني عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم): وذهب مفرقاً بينه وبين علقمة فقال[311]: (وعبدة هذا بسكون الباء، وأما علقمه بن عبدة الفحل فبفتحها) وانتهى لاسم أبيه يزيد وأن الطبيب لقب له فقال[312]: (والطبيب اسمه يزيد بن عمر بن وعلة بن أنس بن عبدا بن عبد نُهم بن جشم.) وكذلك ذكر أبو عبيد

---

306) الأعلام جـ 5 ص 78، دار العلم للملايين بيروت لبنان د.ت.ط.

307) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 643.

308) ديوان المفضليات جـ 1 ص 268. تحقيق كارلوس يعقوب لايل. مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت. 1990م.

309) شرح حماسة أبى تمام جـ 2 ص 790 دار الجيل بيروت ط 1، 1411هـ - 1991م.

310) المصدر السابق جـ 2 ص 790.

311) المصدر السابق جـ 2 ص 79.

312) المصدر السابق جـ 2 ص 790.

البكري[313] أن اسمه عبدة في قوله: (عبدة بن الطبيب بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم.) وأضاف بعد ذلك أنّه (ويكنّى أبايزيد). ولكن التبريزي[314] قال: (إن كنيته أبوزيد) وانفرد أبوالفرج الأصبهاني[315] في إطلاقه اسم الطيب على والد عبدة تحت العنوان (أخبار عبدة ونسبه): (عبدة بن الطيب والطيب اسمه يزيد، بن عمر بن وعلة بن أنس بن عبد ا بن عبد تيم بن جشم بن عبد شمس ويقال عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم.) وأكد ابن حزم الأندلسي[316] صلته بقبيلة تميم فقال: (وهؤلاء بنو سعد بن زيد مناة فمن ولد عبشمس بن سعد إياس بن قتادة بن أوفي بن موءلة بن عتبة بن عميرة بن ملادِس بن عبشمس، ابن أخت الأحنف، وهو الذي حمل ديات الأزد أيام حرب مسعود) وقال بعد ذلك (وعبِدة بن الطبيب الشاعر.).

وعبدةُ يعد من متقدمي المخضرمين وكبار الصحابة قال التبريزي[317]: (وهو مخضرم أدرك الإسلام وشهد حرب المسلمين مع الفرس بالمدائن.) وأضاف أبو الفرج الأصبهاني[318]: (وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن) وتتجلى مكانته لدى الخلفاء والقواد الذين كانوا يستنجدون به ويعولون على بلائِه بحسامه ولسانه قال الطبري[319]: (وأرسل سعد الذين انتهى إليهم رأي الناس، والذين انتهت إليهم نجدتهم ...) وقال: (ومن الشعراء الشماخ، والحطيئة، وأوس بن مغراء، وعبدة بن الطبيب ومن سائر الأصناف أمثالهم.).

---

313) سمط اللآلي جـ 1 ص 69 تحقيق عبدالعزيز الميمنى دار الكتب العلمية د.ت.ط.

314) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 143.

315) الأغاني جـ 21 ص 28.

316) جمهرة أنساب العرب ص 215.

317) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 643.

318) الأغاني جـ 21 ص 28.

319) تاريخ الأمم والملوك جـ 4 ص 359.

أورد الزركلي[320] تاريخ وفاته وأنه مات (نحو سنة خمس وعشرين للهجرة، وخمس وأربعين وستمائه للميلاد.).

ثانياً: الشعراء المخضرمُون الذين ينتمون لقبيلة ذبيان: وهما اثنان:

أولهما: الحُصينُ بنُ الحُمام المُري:

لم أجد اختلافاً في اسمه أو نسبه يقول أبو الفرج الأصبهاني[321] (هو الحصين بن الحمام بن ربيعة بن مساب بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.) وأوضح ابن دريد[322] اشتقاق اسمه فقال: (الحصين بن الحمام، واشتقاق الحمام من عرق الخيل إذا حمتْ) وزاد التبريزي[323] في شرح اسمه واسم أبيه وضبطهما فقال: (الحصين بن الحمام بن ربيعة بن مساب بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان) وأضاف[324] بعد ذلك: (الحمام بالضم حمى الإبل والدوابِ. ومساب مفعل من ساب يسيب إذا مشى مسرعاً، وساب الماء، إذا جرى على الأرض وغطفان من الغطف وهو قلة شعر الحاجب وضده الوطفُ) نلاحظ اختلاف ابن دريد والتبريزي في تفسير اشتقاق الحمام، فقد قال الأول إنّها من عرق الخيل، والثاني إنها من حمى الإبل والدواب. وترجم له البغدادي[325] فضبط اسمه واسم أبيه دون إشارة لمعنى أو اشتقاق قال: (وأما الحصين بن الحمام المري فهو جاهلي وهو بضم الحاءِ وفتح الصاد المهملتين. والحمام بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم.) وكذلك فعل ابن الأنباري[326]: (الحصين بن الحمام المري كذا روى أبو

---

[320]) الأعلام جـ 4 ص 172.

[321]) الأغاني جـ 14 ص 3.

[322]) الاشتقاق جـ 1 ص 289.

[323]) شرح اختيارات المفضل جـ 1 ص 321.

[324]) المصدر السابق جـ 1 ص 321.

[325]) خزانة الأدب جـ 3 ص 326.

[326]) ديوان المفضليات جـ 1 ص 100.

عكرمة، لم يزد على هذا النسب شيئاً. قال أحمد: قال هاشم بن محمد بن السائب الكلبي أبو المنذر: هو الحصين بن الحمام بن ربيعة بن مساب بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.).

أشار ابن حزم الأندلسي[327] إلى نسبه لبني سعد بن ذبيان فقال: (بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان: ومن بني سهم بن مرة: الحصين بن الحمام بن ربيعة بن مساب بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة): وشرح البغدادي[328] بعض صلات نسبه فقال: (والمري نسبة إلى مرة وهو أبو قبيلة، وهو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وسهم وصِرمة أخوان، وهما أبنا مرة، ووائلة هو ابن سهم والحصين من بني وائلة.) وقال أبوعبيد البكري[329] إنّه يكنى أبا يزيد، بعد إيراده لبيته:

إذَا ما اجتلى الرانِي إلَيها بِطَرفِهِ

غُروبَ ثنَايَاها أَنار وأظْلمـ ـا

قال: (البيت للحصين بن الحمام بن ربيعة)، وقال: (يكنّى أبا يزيد)، وأفرد له أبو الفرج الأصبهاني[330] العنوان (مكانتُه في قومه) قال بعده: (أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مرة) وأوضح[331] بعد ذلك أمر سيادته لقومه: (وكان خصيلة بن مرة وصِرمة بن مرة وسهم بن مرة أمهم جميعاً حرقفة بنت مغنم بن عوف بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة فكانوا يداً واحدة على من سواهم، وكان حصين ذا رأيهم وقائدهم ورائدهم) وليس أدلّ علىعظم منزلته بين عشيرته غير لقبه (مانع الضيم) وقال[332] أيضاً: (وكان يقال له مانع الضيم)، وأضاف ابن

---

327) جمهرة أنساب العرب ص 254.

328) خزانة الأدب جـ 7 ص 497.

329) سمط اللآلئ جـ 1 ص 177.

330) الأغاني جـ 14 ص 3.

331) المصدر السابق جـ 14 ص 3.

332) المصدر السابق جـ 14 ص 3.

قتيبة[333] مثبتاً له صفة الوفاء: (هو من بني مرة جاهلي ويعد من أوفياء العرب) ومما يدال على رفيع شرفه وعظيم مكانته أن سيدنا عمر بن الخطّاب تمنّى أن يلحق بنسبه، قال ابن الأنباري[334]: (وقد روي عن عمر بن الخطّاب رضِي ا عنه أنّه قال: لو كنت مستلْحِقاً حياً من العرب لاستلْحقْتُ بني مرة لما كُنّا نعرف فيهم من الشرف البين.) ومما يؤكد تقدمه كسيدٍ مطاع، وشريف مهاب امتداد صيته في عقبه وبنيه وإكرام سيدنا معاوية بن أبي سفيان وحفاوته بأحد أبنائه عندما أستأذن عليه قال أبو الفرج الأصبهاني[335]: (وحدثني جماعة من أهل العلم أن ابنه أتي باب معاوية بن أبي سفيان فقال لآذنه: استأذن لي على أمير المؤمنين وقل ابن مانع الضيم، فاستأذن له فقال معاوية ويحك لا يكون هذا إلا ابن عروة بن الورد العبسي، أو الحصين بن الحمام المري، ادخله، فلما دخل إليه قال له: ابن من أنت؟ قال: أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحمام. فقال: صدقت ورفع مجلسه وقضى حوائجه.) شكك التبريزي[336] في إسلامه فقال: (شاعر جاهلي) وقال بعد ذلك: (وزعم أنه أدرك الإسلام، فذكر بعضهم له صحبه) ويشير بقوله زعم لأبي عبيدة الذي روى عنه أبو عبيد البكري[337]: (وزعم أبوعبيدة أنّه أدرك الإسلام) وقال واحتج على ذلك بقوله:

أَعوذُ بِربي من المخْزياتِ
يوم ترى النفْس أَعمالَهـا

وخف الموازين بالكافرين
وزلْزلتْ الأرض زلْزالها

ونادى منادٍ بأهل القُبور
فهبوا لِيبرز أَثْقالَهـ ـ ـا

---

333) الشعر والشعراء جـ2 ص 634.

334) ديوان المفضليات ـ1 ص 100.

335) الأغاني جـ 14 ص 5.

336) شرح اختيارات المفضل جـ1 ص 321.

337) سمط اللآلي جـ 1 ص 177.

وألمح الزركلي[338] لذلك بقوله: (وكان ممن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهليةِ، مات قبيل ظهور الإسلام) وانتهى لاضطراب في إسلامه بقوله: (وقيل أدرك الإسلام) ولكن أبا الفرج الأصبهاني[339] يؤكّد إسلامه ويقول عنه: (أخبرنا ابن دريد قال: حدثنا أبوحاتم عن أبي عبيدة أن الحصين بن الحمام أدرك الإسلام قال ويدل على ذلك قوله: (وأورد له قصيدة من خمسة عشر بيتاً ختمها بالأبيات السابقة مطلعها:

وقافيةٍ غَيرِ إنْسيـ ـةٍ قرضتُ مِن الشعرِ أمثالَها

شَرودٍ تلْمع بالخَافِقَين إذا أُنْشِدتْ قِيلَ من قالَهـا

وذكر بعد ذلك أبياتاً بها دلائل الإيمان وكمال التوحيد ومما يزيد تأكيد إيمانه أن ابن الجزري[340] عده ضمن الصحابة وقال: (ذكروه في الصحابة) وقال بعد ذلك: (وقال الأمير أبو نصر: وحصين بن الحمام له صحبة وهو مري وليس بأنصاري.)

ولا أدري سبب إغفال الرواة لآخر حياة معظم الشعراء المخضرمين! فهم يغضون الطرف ولا يلمحون لزمان وفاة أو مكانها سوى ما تكرر عند الزركلي[341] الذي قال إنه مات نحو (سنة عشرٍ للهجرة، وستمائه وعشر للميلاد.)

وثانيهما: مُزرد بن ضِرار

مزرد لقب له واسمه يزيد بن ضرار: قال عنه ابن الأنباري[342]: (قال أحمد أخبرنا محمد بن عمرو وهشام قالا مزرد لقب له واسمه يزيد بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن أصرم بن إياس بن عبد غُنْم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن

---

338) المصدر السابق جـ 2 ص 262.

339) الأغاني جـ 14 ص 15.

340) أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ 2 ص 25.

341) الأعلام جـ 2 ص 262.

342) ديوان المفضليات جـ1 ص 127.

عيلان بن مضر بن نزار.) ووضح بعد ذلك سبب لقبه فقال[343]: (وإنّما سمي مزرداً ببيت قاله:

ظَلَلْنا نُداجِي أُمنا عن حمِيتِها
كأهل الشموسِ كُلهم يتـ ـ ودد

فجاءتْ بِها تَكْلاء ذاتَ أسِرةٍ
تَكاد عليها ربةُ النحي تَكْمـ ـ د

بِصفْراء مِما يخْبُأ النحي في استِهِ
لها جانِب أحوى وآخر أسـ ـ ود

والبيت الذي لقب به قوله بعد ذلك:

فقُلْتُ تَزردها عبيد فإنّني
لِدردِ الموالِي في السنين مزرد

وأضاف ابن الأنباري[344] أن رجلاً من بني ثعلبة رد عليه، قال: (فرد عليه رجل من بني ثعلبة:

تركْتَ ضِراراً في الحظِيرةِ رازماً
فهلاّ ضِراراً يا يزيد تَزرد

يذكره بأبيه وذلك لعادة كانت للعرب في الجاهلية يقول التبريزي[345] : (مزرد مخنقُ، وكانت العرب في الجاهلية إذا قحطوا عمدو إلى الشيخ الكبير فخنقوه، وقالوا يموت ونحن نراه خير من أن يموت هزالاً، وكانوا أيضاً إذا رحلوا من مكان إلى مكان وفيهم شيخ هِم تركوه حتّى يموت مكانه.) ورأى ابن قتيبة[346] أنّه لقب مزرداً لقوله في زبدة الزق: (وذكر بعد ذلك بيتين من أبياته السابقة ثانيهما شاهده على سبب لقبه. وعرض ابن الجزري[347] لمناسبة لقبه فقال: (واسم مزرد يزيد ولكنه اشتهر بمزرد وإنّما قيل مزرد لقوله (وذكر بعد ذلك بيته

---

343) المصدر السابق جـ 1 ص 127.

344) ديوان المفضليات جـ 1 ص 127.

345) شرح اختيارات المفضل جـ 1 ص 363.

346) الشعر والشعراء جـ 1 ص 304.

347) أسد الغابة في معرفة الصحابه جـ 5 ص 150.

السابق)، وعلل الجاحظ[348] لذاك وقال: (ومن الشعراء من يغلب شيء قاله في شعره على اسمه وكنيته، فيسمى به بشر كثير. ومنهم يزيد بن ضرار التغلبي، غلب على اسمه المزرد لقوله:

فقُلْتُ تَزردها عبيد فإنّني

لِدردِ الموالِي في السنين مزرد

فَسمي المزرد.) كثيراً ما يقرن مزرد بأخيه الشماخ قال أبو الفرج الأصبهاني[349]: (مزرد بن ضرار واسمه يزيد وهو أخو الشماخ) وكذلك قال ابن عبدالبر[350]: (مزرد بن ضرار المري، أخو الشماخ الشاعر، واسمه يزيد، واسم أخيه الشماخ معقل)، وذهب ابن حجر[351] إلى أن اسمه مزرد ولكنه شك في ذلك وقال: (مزرد بن ضرار بن سنان بن عمرو بن جحاش بن بجاله الغطفاني الثعلبي، وقيل في سياق نسبه غير ذلك، يقال اسمه يزيد، ومزرد لقب بذلك لقوله: (وانشد البيت السابق)، وذكر[352] له كنيتين: (كان يكنّى أبا ضرار وقيل أبا الحسن). وأيضاً قال المرزباني[353]: (ويكنّى أبا ضرار وقيل أبا الحسن). ولا خلاف في خضرمته قال التبريزي[354] بعد أن أشار لنسبه لقبيلة ذبيان: (شاعر ذبياني ثعلبي مخضرم جاهلي إسلامي له صحبه.) وروى له ابن قتيبة[355] بيتين انشدهما أمام النبي صلّى ا عليه وسلم قال: (وهو القائل لرسول ا صلّى ا عليه وسلم:

تَعلّم رسولَ ا ـِ أنّا كأننا

أَفَأْنا بأنْمارٍ ثعالِب ذِي غسـ ـل

---

348) البيان والتبيين جـ 1 ص 374. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. دار الفكر. بيروت ط4 د. ت. ط.

349) الأغاني جـ 2 ص 138.

350) الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ 4 ص 1470.

351) الإصابة في تمييز الصحاب جـ 6 ص 85.

352) المصدر السابق، جـ 6 ص 86.

353) معجم الشعراء ص 483.

354) شرح اختيارات المفضل جـ 1 ص 363.

355) الشعر والشعراء جـ 1 ص 304.

تَعلم رسولَ ا ـ لم أر مِثْلهم

أَجر على الأدنى وأحرم لِلفضل

وعلّق على بيتيه قائلاً[356]: (يعني أنمار بن بغيض) وهم رهطه، وهو أحد من هجا قومه، وهو ممن يهجو الأضياف ويمن عليهم بما قراهم به) ويبدو أن ذلك كان منه في الجاهلية قبل إسلامه، ويعضده قول المرزباني[357]: وكان هجاء خبيث اللسان، حلف لا ينزل به ضيف إلا هجاه، ولا يتنكّب بيته إلا هجاه) وقال بعد ما سبق (وأدرك الإسلام فأسلم)، وعده ابن حجر[358] أحد الصحابة فقال بعد أن وصف خلق جاهليته من هجاء وقبح لسان: (ثم أدرك الإسلام فأسلم.) وروى[359] له بيتاً يعلن توبته فيه عن الهجاء: (وأنشد ابن السكيت لمزرد من أبيات:

تبرأْتُ من شَتْمِ الرجال بتوبةٍ

إلى ا مني لا ينادي وليدها

وذكره ابن الجزري[360] ضمن صحابة رسول ا صلّى ا عليه وسلّم قال: (وقدم مزرد على رسول ا صلّى ا عليه وسلم وأنشده: وذكر بعد ذلك بيتيه السابقين). ويمت مزرد لنسب معرق، وشرف مؤثل قال ابن قتيبة[361]: (وأمه وأم الشماخ من ولد الخُرشب، وفاطمة بنت الخُرشب هي أم ربيع بن زياد وإخوته العبسيين الذين يقال لهم الكملة، واسمها معاذة بنت خاف وتكنّى أم أوس.) ولمزرد ابن يقال له الحسين رثاه بعد مماته قال ابن الأنباري[362]: (ولمزرد يقول ابنه الحسين بن مزرد راثياً له:

أعيني جودا بالدموع وبكّيـ ـا

---

356) المصدر السابق جـ 1 ص 304.

357) معجم الشعراء ص 483.

358) الإصابه في تمييز الصحابه جـ6 ص 86.

359) الإصابه في تمييز الصحابه جـ6 ص 86.

360) أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ 5 ص 150.

361) الشعر والشعراء جـ1 ص 304.

362) ديوان المفضليات جـ 1 ص 127.

يزيداً وشَماخاً ولا تنْسياهمـا

سأحمِي ذِمار الماجِدين كليهما

كما حميا قبلي ذِماري كِلاهِما

وأصبحتُ لا أجزيهما غير أنّني

عدو ٍلمن لم ينْتقِلْ عن أذاهما

ثالثاً: الشعراء المخضرمون الذين ينتمون لبني ضبة:

وهما اثنان:

أولهما: ربيعة بن مقرُوم الضبي:

لم أجد خلافاً في اسمه أو حول نسبه، قال ابن الأنباري[363]: (ربيعة بن مقروم: أحد بني غيظ بن السيد. ولم يرفعه أبوعكرمة في النسب. وهو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن غيظ بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر.) وقطع التبريزي[364] نسبه إلى جده (أد) قال: (أحد بني غيظ بن السيد وهو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن غيظ بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد) وشرح ابن دريد[365] اشتقاق اسم أبيه عندما تطرق لقبائل بني ضبة وأبان نسبته لهم فقال: (ومنهم ربيعة بن مقروم الشاعر الجاهلي الإسلامي) وقال[366]: (فأما مقروم فاشتقاقه من قولهم: قرمت البعير أقرمه قرماً، إذا حززتُ أعلى أنفه

---

363) ديوان المفضليات جـ 1 ص 355.

364) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 829.

365) الاشتقاق جـ 1، ص 199.

366) المصدر السابق جـ 1، ص 199.

ثم عطفت الجلدة حتّى تجف فيقع الجرير عليها، فالبعير مقروم، وأما المقْرم والقرم من الإبل فالفحل الذي لم يبتذل ولم يركب، والجمع قروم، وبذلك سمي السيد قرماً، وأصل القرم القطع. قرمت الشيء أقرمه قرماً إذا قطعتُه.) وزاد ابن جنّي[367] على ما سبق، وشرح اسمه واسم أبيه فقال عن اسمه: (الربيعة بيضة الحديد. والربيعة أيضاً الحجر الذي يرتبع أي يشَال.) ومضى لاسم أبيه فقال[368]: (وأما مقروم فمفعول من قولك قرمت الشيء بأسناني فهو مقروم أي مقطوع وقرمتُ البعير أيضاً وهو أن يقشط جلد خطمه فيفتل ويجعل هناك الجريد ليذل وتلك الجليدة هي القَرمة والبعير مقروم.) وعرض لاسم قبيلته (ضبة) وفسره بقوله[369]: (فأمأ ضبة فواحدة ضبات الحديد ونحوه وتكون الضبة الواحدة الأنثي من الضبات، والضبة أيضاً المرة الواحدة من ضبت لثّته تضِب إذا سالت وأنشدنا أبو الحسن:

تَضِب ِلثَاثُ الخيل في حجراتِها

وتسمع مِن تحت العجاجِ لها ازملا

وذُكِر غير ذلك في اشتقاق ضبة وقيل[370]: (واشتقاق ضبة من شيئين: إما من الضبة الأنثى، أو من الضبة الحديد وضبة حي من العرب. وورد في اللسان: الضب الحِقْد في القلب، يقال: في قلب فلان على فلان ضب، أي حِقد والضب: أن يجمع الحالب خَلْفي النّاقة بيديه، ويحلب.

قال الشاعر:

جمعتُ له كفي بالرمحِ طاَعِناً

كما جمع الخِلْفَين في الضب حاِلب

وورد[371] اسمه: (هو ربيعةُ بن مقْرومٍ بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن غيظ بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن

---

[367]) المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسه ص (23 – 24) ، دار الآفاق العربية ط1، 1420هـ – 2000م.

[368]) المصدر السابق، ص 24.

[369]) المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسه ص 24.

[370]) ديوان ربيعة بن مقروم ص 5 تحقيق تماضر عبدالقادر فياض حرفوش. دار صادر بيروت ط1 1999م.

[371]) المصدر السابق ص 11.

إلياس بن مضر بن نزار.) وترجم له أبو الفرج الأصبهاني[372]: (هو ربيعة بن مقروم الضبي بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبدا بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.) وأثبت بعد ذلك خضرمته فقال[373]: (شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان ممن اصفق (أي ممن حبسه في المشقّر) عليه كسرى، ثم عاش في الإسلام زماناً) وأجمع العلماء على أنّه مخضرم، قال ابن الأنباري[374]: (وكان ممن أصفق عليه كسرى، ثم عاش في الإسلام دهراً وهو مسلم وشهد القادسية) وأضاف التبريزي[375] شهوده عدة وقائع قال: (وكان ممن أصفق عليه كِسرى، ثم عاش في الإسلام دهراً وأسلم وشهد القادسية) وقال[376] أيضاً: (شاعر مخضرم أسلم وحسن إسلامه وشهد القادسية وجلولاء وغيرهما من الفتوح.) وأشار لمكانته بين قبيلته فقال[377]: (كان أحد شعراء مضر المعدودين في الجاهلية والإسلام.) وذكره ابن قتيبة[378] فقال: (هو من ضبة جاهلي إسلامي وشهد القادسية وجلولاء، وهو من شعراء مضر المعدودين.)

وثبت أسره مرتين لدى كسرى في المشقّر، وآخر عند عبدالقيس وقال أيضاً[379]: (وكانت عبدالقيس أسرته ثُم منّت عليه بعد دهر) وروى له أبو الفرج الأصبهاني[380] قصة أسر خلّصه منه أحد أصدقائه قال: (قال أبو عمر: وأُسِر ربيعة بن مقروم واستِيقَ ماله، فتخلّصه مسعود بن سالم بن أبي سلْمِي بن ربيعة بن ديان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله:

كفَانِي أبو الأشْوسِ المنْكراتِ ... كفاه الإله الذي يحـ ـذَر

---

372) الأغاني جـ 22 ص 87.

373) المصدر السابق جـ 22 ص 87.

374) ديوان المفضليات جـ 1 ص 355.

375) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 829.

376) المصدر السابق جـ 2 ص 829.

377) المصدر السابق جـ 2 ص 829.

378) الشعر والشعراء جـ 1 ص 308.

379) المصدر السابق، جـ1 ص 308.

380) الأغاني جـ 5 ص 88.

أَغَر من السيد في مَنْصِـبٍ   إليه العزازةُ والمفخَـر

وكما عزتْ علينا أخبار الشعراء المخضرمين السابقين فيما يتصل بآخر حياتهم، عز علينا خبر ربيعة بن مقرم حتّى في ديوانه وهذا ما يتفق مع رأي نوري حمودي القيسي[381] الذي يقول عنه: (وتسكت عن ذكره الكتب إلا عن أخبار قصيرة تقدم بها بعض الأبيات أو المقطّعات أو القصائد، يقف أمامها الباحث وقفة الحائر أو التائه).

وثانيهما: عبدا بن عنَمة الضبي:

عثرت له على أخبار قصيرة قال التبريزي[382] واصلاً نسبه: (عبدا بن عنمة الضبي، وهو من بني غيظ بن السيد) وقال أيضاً[383]: (وهو عبدا بن عنمة بن حرثان بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر.) وعندما ذكر ابن دريد[384] أهله بني ضبة قال عنه: (ومنهم عبدا بن عنمة الشاعر، كان متزوجاً في بني شيبان، نازلاً فيهم، وهو ابن أختهم، فلما قتلت بنو ضبة بسطاماً رثاه بالكلمة التي يقول فيها:

لأم الأرضِ ويحك ما أجنّتْ

بِحيثُ أَضر بالحسن السبِيلُ

وذاك لأنه خاف من بني شيبان أن يقتلوه) وقال[385] بعد ذلك شارحاً اسم أبيه: (والعنم ضرب من النبت له أطراف حمر تُشبه به الأصابع المخضوبة قال الشاعر:

بِمخَضبٍ رخْصٍ كأن بنانَه

عنم يكاد من اللطافة يعقَـ ـد)

وفصل ابن جني[386] في شرحه فقال: (العنمة واحدةُ العنم وهي أطراف الخروب الشامي كذا قال أبو عبيدة، ويقال هو دود حمر يكون في الرمل تشبه به

---

381) شعراء إسلاميون مكتبة النهضة العربية ط 2 1405هـ - 1984م.

382) شرح ديوان الحماسه جـ 3 ص 582.

383) المصدر السابق جـ 3 ص 582.

384) الاشتقاق جـ 1 ص 199.

385) المصدر السابق جـ 1 ص 199.

أصابع النساء، ويقال بل هو أيضاً شيء ينبت ملتفاً على الشجر يبدو أخضر ثم يحمر وأنشد بعضهم قول النابغة: (عنم على أغصانه لم يعقد) يدل على أنّه نبتٌ وقال كثير:

إذَا كانَتَا فوتَ الصفاح وحيتَا

صفَاحاً ومكْراً بِالبنان المعنمِ

أي المخضوب حتّى يصير كأن عليه عنماً.) وضبط البغدادي[387] اسم ابيه فقال[388]: (وعبدا بن عنمة، بفتح العين المهملة والنون والميم والعنمة في اللغة: واحدة العنم وهي قضبان حمر تَنْبتُ في جوف السمرة، تشبه بها البنان المخضوبة، وقيل هى أطراف الخَروب الشامي، ويقال : هو دود أحمر يكون في الرمل يشبه به، ويقَال بل هو شَيء ينبتُ ملتفّاً على الشّجر يبدو أخضر ثُم يحمر).

أثبت التبريزي[389] إسلامه فقال: (وهو شاعر جاهلي مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وشهد القادسية.) وقال[390] في موضع آخر (وهو شاعر إسلامي مخَضرم شهد القادسيةَ.) وقال البغدادي[391] عن صحبِتِهِ: (وفي الشعراء ممن له إدراك: عبدا بن عنمة الضبي. قال ابن ماكولا شَهد القادسية.) ورجح الزركلي[392] أن وفاته (بعد خمس عشرةَ سنة للهجرة، وبعد سنة ست وثلاثين وستمائة للميلاد.

رابعاً:

سويد بن أبي كاهل اليشكري:

---

[386]) المبهج في تفسير أسماء ديوان الحماسة ص 50.

[387]) خزانة الادب جـ 8 ص 471، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة 1400هـ – 1981م.

[388]) المصدر السابق جـ 8 ص 471.

[389]) الأعلام جـ 4 ص 111.

[390]) شرح حماسة أبي تمام جـ3 ص 582.

[391]) خزانة الأدب جـ 8 ص 471.

[392]) الأعلام جـ 4 ص 111.

اخْتلف في اسم أبيه (أبي كاهل) فقيل: غطيف أو شبيب، قال البغدادي[393]: (وسويد هو ابن كاهل واسمه غطيف بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن عدى بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل.) ولكنه نسبه بعد ذلك لشبيب قال[394]: (ويقال اسم والده شبيب)، وأيضاً أورد أبو عبيد البكري[395] اسمين لأبيه فقال: (اختلف في اسم أبي كاهل فقيل اسمه شبيب، وقيل غطيف وهو ابن حارثه بن حسل من يشكر.) وأورد ابن قتيبة[396] نسبه وسمى أباه غطيفاً قال: (هو سويد بن غطيف من بني يشكر)، وترجم له ابن الأنباري[397] دون إشارة لاختلاف في اسم أبيه قال: (ولم يرفعه أبو عكرمة في النسب أكثر من قوله: سويد بن أبي كاهل: ونسبه لي غيره وقال: هو سويد بن أبي كاهل من بني حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جثم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دعمِي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.) وهذا أطول استقصاء لنسب سويد، حيث أوجز التبريزي[398] في إيراد نسبه فقال: (سويد بن أبي كاهل وهو مخضرم).

شذ ورود اسمه (غطيفاً) عند السيوطي[399] قال: (ومنهم من سماه غطيفاً) إذْ إنّه عرف باسم سويد، وكنيته أبو سعد قال التبريزي[400]: (كنيته أبو سعد)، وأكّد أبو عبيد البكري[401] ذلك مستشهداً له ببيتٍ من الشعر فقال: (ويكنّى سويد أبا سعد قال:

أَنا أبو سعدٍ إذا الليلُ دجا

دخلْتُ في سِرِبالهِ ثُم النجا

---

393) خزانة الأدب جـ 6 ص 125.

394) خزانة الأدب جـ 6 ص 125.

395) سمط اللآلي جـ 1 ص 313.

396) الشعر والشعراء جـ 1 ص 411.

397) ديوان المفضليات جـ 1 ص 382.

398) شرح اختيارات المفضل جـ2 ص 867.

399) شرح شواهد المغني جـ 2 ص 740. لجنة التراث العربي. د. ت. ط.

400) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 876.

401) سمط اللآلي جـ 1 ص 313.

وكذلك قال أبو الفرج الأصبهاني(402): (ويكنّى سويد أبا سعد أنشدني وكيع عن حماد عن أبيه لسويد بن أبي كاهل شاهداً بذلك: (وذكر البيت السابق)، وأورد بعد ذلك بيتاً آخر من شعر والده فقال(403): (وكان أبوه أبو كاهل شاعراً وهو الذي يقول:

كأن رحلِي على صقْعاء حادِرةٍ

طَيا قد ابتلّ مِن طَل خَوافِيها

وكانت تغلب عليه نقائص منها كثرة الهجاء، واضطراب النّسب قال التبريزي(404): (كان سويد كثير الهجاء دعِياً مغلّباً ينتقل بنسبه بين يشكر وذبيان.) فمن هجائِه لبني شيبان، يروي أبو الفرج الأصبهاني(405): (وقال يهجو بني شيبان:

لَعمري لَبِئْس الحي شيبان إن علا

عنيزةَ يوم ذُو أَهاِيي أغبر

فلما التقوا بالمشْرفِيةِ ذبذَبتْ

مولّيةً استاه شيبان تَقْطُر

يعني يوم عنيزة، وكان لبني تغلب على بني شيبان.) وبلغ به شَرر هجائه أن حبِس، يقول(406) عنه في موضع آخر: (قال الحرمازي في خبره هذا: وهاجى سويد حاضر بن سلمة العنبري، فطلبهما عبدا بن عامر بن كريز فهربا من البصرة، ثم هاجى الأعرج أخا بني حمال بني يشكر، فأخذهما صاحب الصدقة، وذلك في أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحِي الكوفة، فحبسهما وأمر أن لا يخرجا من السجن حتّى يؤديا مائة من الإبل.) ومما يدل على أنّه كان ضعيفاً مغلّباً إهمال قومه له، قال(407) عنه بعد ذلك : (فخاف بنو حمال على صاحبهم فكفوه،

---

402) الأغاني جـ 13 ص 100.

403) الأغاني جـ 13 ص 100.

404) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 867.

405) الأغاني جـ 13 ص 103.

406) المصدر السابق، جـ 13 ص 105.

407) المصدر السابق جـ 13 ص 105.

وبقي سويد، فخذله بنو عبد سعد وهم قومه.) وحكى هجاء زياد الأعجم له بأبيات كشف فيها عن بعض سوءاته قال[408]: (قال زياد الأعجم يهجو بني يشكر:

إذا يشكُري مس ثوبك ثوبه

فلا تذكرن ا حتى تَطَهرا

فلو أن مِن لُؤْمٍ تَموتُ قبيلةٌ

إذن لأماتَ اللؤْم لا شك يشْكُـ ـرا

قال: فأتت بنو يشكر سويداً ليهجو زياداً فأبى عليهم فقال زياد:

وأنبئْتُهم يستصرخُون ابن كاهلٍ

وللؤْم فِيهم كاهلٌ وسنَـ ـ ـام

فإن يأْتِنَا يرجِع سويد ووجهه

عليهِ الخَزايا غبرةٌ وقتـ ـام

دعِي إلى ذِبيان طَوراً وتارةً

إلى يشْكُرٍ ما في الجمِيع كِرام

فقال لهم سويد: هذا ما طلبتم لى: وكان سويد مغلّباً) ولكن ابن حزم الأندلسي[409] أثبت نسبته لبني يشكر قال: (وهؤلاء هم بنو يشكر بن وائل بن قاسط. ومنهم سويد بن أبي كاهل من بني حارثة بن حِسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر.) وأبان أبو الفرج الأصبهاني[410] شارحاً علةَ نسبه معلقاً على الأبيات السابقة: (وأما قوله: دعِي إلى ذبيان ... فإن أم سويد بن أبي كاهل كانت قبل أبي كاهل عند رجل من بني ذبيان بن قيس بن عيلان فمات عنها فتزوجها أبو كاهل وكانت فيما يقال حاملاً، فاستلاط أبو كاهل ابنها لما ولدته وسماه سويداً واستلحقه، فكان إذا غضب على بني يشكر ادعى إلى بني ذبيان، وإذا رضِي عنهم أقام على نسبته فيهم.)

---

[408]) المصدر السابق جـ 13 ص 101.

[409]) جمهرة أنساب العرب ص (308 – 309).

[410]) الأغاني جـ 13 ص 102.

رغم ما قيل عنه من المذام فقد أدرك الإسلام وأسلم وأحسب أن ما كان من هجائه وتعرضه للذم مضى مع جاهليته بعد إسلامه قال البغدادِي [411]: (مقدم مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام) وقال[412] بعد ذلك: (وعاش سويد في الجاهلية دهراً وعمر في الإسلام وقال ابن قتيبة[413] مشيراً لتاريخ وفاته: (ومات بعد سنة ستين من الهجرة) وبذلك قال التبريزي[414]: (عاش إلى ما بعد سنة ستين من الهجرة)، وألمح البغدادي[415] لإدراكه زمن الحجاج فقال: (وعمر في الإسلام ستين سنة بعد الهجرة إلى زمن الحجاج.).

خامساً : أبوذؤيب الهُذَلي:

لم يخْتلف في اسمه أو نسبه قال البغدادي[416]: (وأبو ذؤيب اسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل، أخو بني مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر)، وضبط بعد ذلك اسمى جديه (محرث) و (زبيد) فقال[417]: (ومحرث بتشديد الراء المكسورة. وزبيد تصغير الزبد وهو العطية، وقيل براء مهملة.) ونسبه أبو الفرج الأصبهاني[418] فقال: (هو خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار.) والملاحظ اضطراد نسبه تسلسلاً وضبطاً، ولكن ياقوتاً الحموي[419] أورد اسم جده الأول (محرز) قال: (خويلد بن خالد بن محرز بن

---

[411]) خزانة الأدب جـ 6 ص 125.

[412]) خزانة الأدب جـ6 ص 125.

[413]) الشعر والشعراء جـ 1 ص 411.

[414]) شرح اختيارات المفضل جـ2 ص 867.

[415]) خزانة الادب جـ 6 ص 125.

[416]) المصدر السابق جـ 1 ص 422.

[417]) المصدر السابق جـ1 ص 422.

[418]) الأغاني جـ 6 ص 250.

[419]) معجم الأدباء جـ3 ص 1275 تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط1 1993م.

زبيد بن أسد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل الهذَلي.) والمرجح أن عموم ما ورد في اسم جده هو (محرث) بكسر الراء المشددة قال ابن عبدالبر[420]: (قيل: اسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهله بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل.) وزاد السيوطي[421] في توضيح نسبه فقال: (وأبوذؤيب هو خويلد بن خالد بن محرث بالتشديد وكسر الراء عند ابن دريد، وفتحها غيره،) وقال[422] بعد ذلك بن (زبيد): (ابن زبيد: مصغّر) بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل.) وكذلك تواتر نسبه في ترجمة ابن الأنباري[423] له: (وهو خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل أخو بني مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار.)

تطرق ابن دريد[424] لشرح كنيته بعد ذكره لبني سعد بن هذيل بقوله: (ومن شعرائهم أبوذؤيب، وأبوخِراش)، وقال[425] عن أبي ذؤيب: (وذؤيب: تصغير ذئب.)

سكن أبوذؤيب المدينة وأدرك الإسلام قال القرشي[426] (أبوذؤيب من بني هذيل بن مدركة من مضر شاعر فحل مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وسكن المدينة) وزاد على ذلك أبو الفرج الأصبهاني[427] فقال: (أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم فحسن إسلامه) وروى البغدادِي[428] خبر وفوده على النبي فقال: (وفد على النبي صلى ا عليه وسلم في مرض موته فمات النبي صلّى ا عليه وسلم قبل قدومه بليلة، أدركه وهو مسجى وصلّى عليه وشهد دفنه

---

[420]) الاستيعاب جـ4 ص 1648.
[421]) شرح شواهد المغني جـ1 ص 29.
[422]) المصدر السابق جـ 1 ص 29.
[423]) ديوان المفضليات جـ 2 ص 849.
[424]) الاشتقاق جـ 1 ص 177.
[425]) المصدر السابق جـ1 ص 177.
[426]) جمهرة أشعار العرب جـ 1 ص 313.
[427]) الأغاني جـ 6 ص 250.
[428]) خزانة الأدب جـ1 ص 423.

صلّى ا عليه وسلّم وحكى عن نفسه قال: بلغنا أن رسول ا صلّى ا عليه وسلم عليل، وأوجس أهل الحي خيفة، واستشعرت حرباً، فبِت بليلةٍ طويلةٍ حتّى إذا كان وقت السحر هتف الهاتِفُ يقول:

خَطْب أجل أناخَ بالإسلامِ

بين النخَيل ومقْعدِ الآطَـ ـامِ

قُبِض النبي محمد فعيونُنا

تَذْري الدموع عليهِ بالتسجامِ

فوثبتُ من نومي فزعاً فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح، فتفاءلتُ به ذبحاً يقع في الإسلام، وعلمت أن النبي صلّى ا عليه وسلم قد قبض. وذكر ياقوت الحموي[429] القصة بخلاف ما سبق قال: (وروي عنه أنه قال: قدِمتُ المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلوا بالإحرام، فقلْتُ: مه؟ فقالوا: توفي رسول ا صلّى ا عليه وسلم) وأضاف ابن عبدالبر[430] ناقلاً عنه (فشهدتُ الصلاة على محمد صلّى ا عليه وسلّم، وشهدت دفنه صلّى ا عليه وسلم، وذكر له بعد ذلك أبياتاً في رثائِه صلى ا عليه وسلم تكشف عن صدق إيمانه وحبه لنبيه محمد صلّى ا عليه وسلم، لما أظهر فيها من جزع المكلوم وحزن المنكوب يقول[431] : (ثم أنشد أبوذؤيب يبكي النبي صلّى ا عليه وسلم:

لما رأيتُ النّاس في عسلانِهم

ما بين ملْحودٍ له ومضـ ـرجِ

متَبادرين لِشَرجعٍ بأَكُفهم

نَص الرقابِ لِفقْدِ أبيض أروحِ

فهناك صِرتُ إلى الهموم ومن يبِتْ

جار الهموم يبيتُ غير مروحِ

---

[429]) معجم الأدباء جـ 3 ص 1275.

[430]) الاستيعاب جـ 4 ص 1650.

[431]) المصدر السابق جـ 4 ص 1650.

كُسِفتْ لِمصرعِهِ النجوم وبدرها

وتزعزعتْ آطام بطن الأبطَحِ

وتَزعزعتْ أجبالُ يثْرب كُلها

ونخِيلُها لحُلول خَطْبٍ مفْـدِحِ

ولخص السيوطي[432] ذلك بقوله: (رحل إلى المدينة والنبي صلّى ا عليه وسلّم في مرضه فمات قبل قدومه بليلة وأدركه وهو مسجى، وصلّى عليه وشهد دفنه.)

وفاته:

اختلف في مكان وفاته، ولكن الثابت أنّه توفي وهو خارج للجهاد في إحدى غزواته، روى أبو الفرج الأصبهاني[433] أنه جاء لسيدنا عمر بن الخطاب يسأله وبعدها نذر نفسه للجهاد قال: (أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا السكن بن سعيد قال حدثنا العباس بن هشام قال حدثني أبوعمرو عبدا بن الحارث الهذَلي من أهل المدينة قال: خرج أبوذؤيب مع ابنه وابن أخٍ له يقال له أبوعبيد، حتى قدموا على عمر بن الخطاب رضِي ا عنه فقال له: أي العمل أفضل يا أمير المؤمنين؟ قال: (الإيمان با ورسوله). قال: (قد فعلت) قال: فإيه أفضل بعده؟ قال: (الجهاد في سبيل ا). قال: ذلك كان علي وإنّي لأرجوَنه ولا أخاف نارا.) وقال[434] عنه بعد ذلك: (إن الموت أدركه وهو راجع من غزو الروم: (فغزا أرض الروم مع المسلمين. فلما قفلوا أخذه الموت) وروى عنه آخر بيتين فقال[435]: (وقال وهو يجود بنفسه:

أَبا عبيدٍ رفِع الكِتاب   واقْترب الموعِد والحِساب

وعنْد رحلِي جملٌ نُجاب   أحمر في حاركِهِ انْصِباب

---

432) شرح شواهد المغني جـ 1 ص 29.

433) الأغاني جـ 6 ص 259.

434) المصدر السابق جـ 6 ص 259.

435) المصدر السابق جـ 6 ص 260.

وعندما ترجم له البغدادِي[436] ذكر خبراً مخالفاً فقال: (وكان هلك لأبي ذؤيب بنون خمسة في عام واحد، أصابهم الطاعون، وكانوا هاجروا إلى مصر، وهلك هو في زمن عثمان رضِي ا عنه في طريق مصر ودفنه ابن الزبير). ولكنه نقل خبراً آخر يقول بموته في طريق إفريقية قال[437] فيه: (وقال أبو عمر الشيباني: مات في طريق أفريقية)، وعضد ياقوت الحموي[438] ذلك قائلاً: (وتوفي في غزوة إفريقيه مع ابن الزبير، وقال وهو يجود بنفسه مخاطباً ابن أخيه أباعبيد: (وذكر بعد ذلك البيتين السابقين) وقال[439] بعد ذلك: (ثم قضى نحبه ودلاه ابن الزبير في حفرته.) وأراد ابن قتيبة[440] ترجيح وفاته بأفريقية فقال: (وخرج مع عبدا بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات فدلاه عبدا بن الزبير في حفرته.) وجمع التبريزي[441] كل الأخبار التي تشير لمكان موته فقال: (ومات أبوذؤيب في زمن عثمان بن عفّان في طريق مصر، ودفنه ابن الزبير وكان معه. وقال أبو عمرو الشيباني : مات في طريق إفريقيه. وقيل إن أبا ذؤيب مات غازياً في بلاد الروم. وقيل مات في طريق مكة). ونقل أبو الفرج الأصبهاني[442] قولاً يستشهد به على موته في بلاد الروم وهو : (فكان يقال: إن أهل الإسلام أبعدوا الأثر في بلد الروم، فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعرف لأحد من المسلمين) وأورد ابن عبد البر[443] كل الخلاف السابق بترتيب مختلف قال: (وتوفي أبوذؤيب في خلافة عثمان بن عفّان رضى ا عنه بطريق مكّة قريباً منها، ودفنه ابن الزبير، وغزا أبو ذؤيب مع عبدا بن الزبير إفريقية ومدحه. وقيل إنه مات في غزوة إفريقية بمصر منصرفاً بالفتح مع ابن الزبير، فدفنه ابن

---

[436]) خزانة الأدب جـ 1 ص 422.

[437]) المصدر السابق جـ 1 ص 422.

[438]) معجم الأدباء جـ 3 ص 1277.

[439]) المصدر السابق جـ 3 ص 1277.

[440]) الشعر والشعراء جـ 2 ص 639.

[441]) شرح اختيارات المفضل جـ 3 ص 1681.

[442]) الأغاني جـ 6 ص 263.

[443]) الاستيعاب جـ 4 ص 1650.

الزبير ونفذ بالفتح وحده. وقيل إن أباذؤيب مات غازياً بأرض الروم، ودفِن هناك وإنّه لا يعلم لأحد من المسلمين قبر وراء قبره.)

ليس غريباً أن يجهل مكان قبره، وقد ندب نفسه لحِمى الدين، والذود عن عرينه، فوهبها وهو لا يعلم أي أرض تضمها، وأي قبر يحويها وكثيراً ما شغله القبر، وأذهلته وحشتُه يقول عنه: أبو عبيد البكري[444]: (قال أبوذؤيب يصف القبر، وما يؤول إليه أمره من إيراده إياه:

وقد بعثُوا فُراطَهم فَتَأَثّلُوا

قَلِيباً سفَاهاً كالإِماءِ القَواعِـ ـدِ

يقُولُون لما جشّتْ البئر أوردوا

وليس بها أَدنَى ذفافٍ لِـ ـواردِ

فَكُنْتُ ذَنُوب البِئْرِ لما تبسلتْ

وسربلْتُ أكْفانِي ووسدتُ ساعِدِي

444) سمط اللآلي جـ 1 ص 255.

المبحث الثاني: شِعرُهُم وأغراضُهُم

حوى كتاب المفضليات عشرين قصيدةً للشعراءِ المخَضرمين السابقين، يختلفُ عدد ما نُسِب منها من شاعر لآخر، دارتْ كُلها حول خمسةِ أغْراضٍ هي (الفخر، والمدح، والهجاء، والغزل، والرثاء)، وبذلك شَملتْ معظم أغراض الشعر العربي. ولتيسير دراستها وعرضها، سأذكر كل شاعر مبيناً منزلته الشعرية وأورد قصائده رابطاً كُل قصيدةٍ بغرضِها:

شعر مُتَمم بن نُويرة:

هو إمام طبقة أصحاب المراثي، ومن المفضلين بينهم قال عنه ابن سلام الجمحِي[445]: (أصحاب المراثي: وهم طبقة واحدة، حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال: قال محمد بن سلام: وجعلنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر طبقات أولهم: متمم بن نُويرة)، وجعل بعده الخنساء، وأعشى باهلة، وكعب بن سعيد الغنوي. و قصر متمم شعره كله على باب الرثاء، باكياً أخاه مالكاً يقول المرزباني[446]: (واستفرغ شعره في مراثي أخيه مالك بن نويرة الجفول. وكان خالد بن الوليد قتله في قتال أهل الردة باليمامة). وأشار ابن عبد البر[447] لجودة رثائه وقال: (وكان شاعراً محسِناً ليس لأحدٍ في المراثي كأشعاره التي يرثي بها أخاه مالكاً.) ومثل ذلك قال ابن الجزري[448] في تفرده بالرثاء: (وكان شاعراً محسناً لم يقُلْ أحد مثل شعره في المراثي التي رثى بها أخاه مالكاً). وأوجز التبريزي[449] بقوله: (شاعر يربوعي من تميم، فضله ابن سلام على طبقة أصحاب المراثي) بينما وصف ابن حجر[450] مراثيه قائلاً: (ومتمم صاحب المراثي الحِسان في أخيه).

---

[445] طبقات فحول الشعراء ص 97.

[446] معجم الشعراء ص 432.

[447] الاستيعاب جـ 4 ص 1456.

[448] أسد الغابة معرفة الصحابة جـ 5 ص 58.

[449] شرح اختيارات ا فضل جـ 1 ص 242.

[450] الاصابة ييز الصحابة جـ 5 ص 763.

قصائِدُهُ:

لمتمم بن نويرة ثلاثُ قصائدٍ من عشرين قصيدة للشعراء المخضرمين في كتاب المفضليات. صدرتْ كلها من باب الرثاء، بل قصرها على رثاء أخيه مالك. عزاء للنّفس، وسلوى للأحزان قال النويري[451]: (والمراثي إنّما جعِلتْ تسليةً لمن عضتْه النوائب بأنيابها، وفرقت الحوادث بين نفسه وأحبابها، وتأسيةً لمن سبق إلى هذا المصرع، ونهل من هذا المشرع، ووثوقاً باللحاق بالماضي، وعلماً أن حادثة الموت من الديون التي لابد لها من التقاضي). وتقدم متمم في هذا الباب، رغم أن الرثاء من عسير الشعر قال ابن رشيق[452]: (قال بعض النقاد: أصعب الشعر الرثاء لأنّه لا يعمل رغبةً ولا رهبةً، قال ابن قتيبة: (قال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخُريمي: أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مراثيك له؟ فقال: كنّا يومئذٍ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء.) لذا كان يستولي على النّفس ويملك الوجدان، لصدق الشعراء وإحسانهم فيه قال النويري[453]: (قال الأصمعي : قلْتُ لأعرابي: ما بالُ المراثي أشرف أشعاركم؟ قال: لأنّا نقولها وقلوبنا محترِقةٌ.) وهى تنتج عن جليل الرزءِ، وعظيم الحزن يقول ابن رشيق[454]: (وعلى شدة الجزع يبنَى الرثاء كما قال أبو تمامٍ :

لَولا التّفجع لادعى هضب الحِمى
وصفا المشَقر أنه محـ ـزون

ولاحظتُ أن متمماً أخرج قصائده الثلاثةَ متشابهة القوافي، وجاءت كلها عينيةً، ولكن أجودها وأشهرها التي مطلعها:

لَعمري وما دهري بتأْبين هالكٍ
ولا جزعٍ مِما أصاب فأوجعا

---

451) اية الأرب فنون الأدب جـ 5 ص 164، ا ؤسسة ا صرية للتأليف والتر ة والطباعة والنشر، د.ت.ط.

452) العمدة اسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 251.

453) اية الأرب فنون الأدب جـ 5 ص 165.

454) العمدة اسن الشعر وآدابه جـ 2 ص 153.

وهي المفضليةُ السابعةُ والستون في شرح التبريزي[455]، قال عنها المرزباني[456] (ومتمم هو القائل من قصيدته التي هي إحدى المراثي المعدودات:

وكُنا كنَدْمانَي جذِيمة حِقْبةً
مِن الدهر حتّى قِيلَ لَن يتصدعا
فَلما تَفرقْنا كأني ومالكاً
لِطُول اجتِماعٍ لم نبِتْ ليلةً معـا

وبلغت هذه القصيدة من الصيت وعلو المنزل أن ارتبط ذكرها بذكر متمم، فعندما ذكره ابن قتيبة[457] ذكر هذه القصيدة وأورد منها البيتين السابقين وقال بعد ذلك: (وهذه القصيدة من أحسن ما قال)، ونالت من الشرف أن تأستْ بها السيدة عائشة رضِي ا عنها قال المرزباني[458]: (وتمثلت بها عائشة – رضي ا عنها لما وقفت على قبر أخيها عبدالرحمن ودفن بمكة.) وسارت بعض أبياتها مع شواهد العلماء، فقد أورد البغدادي[459] منها الشاهد السادس والثمانين وهو:

قَعِيدك أن لا تُسمِعِيني ملامةً
ولا تنْكئي قرح الفُؤادِ فَييجعا

وقال[460] بعد ذلك: (وهذا البيت من قصيدة مشهورة مشروحة في المفضليات وغيرها، لمتمم بن نويرة الصحابي رضِي ا عنه يرثي بها أخاه مالكاً بن نويرة وأورد بعد ذلك ثمانية أبيات متصلة قبل البيت السابق. وعدد أبياتها واحد وخمسون بيتاً باتفاق شرحي ابن الأنباري[461] والتبريزي[462].

والقصيدة الثانية هي المفضلية الثامنة في شرح التبريزي[463]، مطلعها:

---

455) شرح اختيارات ا فضل جـ 3 ص 1166.
456) معجم الشعراء ص 432.
457) الشعر والشعراء جـ 1 ص 326.
458) معجم الشعراء ص 432.
459) خزانة الأدب جـ 2 ص 20.
460) ا صدر السابق جـ 2 ص 20.
461) ديوان ا فضليات جـ 2 ص 526.
462) شرح اختيارات ا فضل جـ 3 ص 1166.
463) شرح اختيارات ا فضل جـ 1 ص 242.

صرمتْ زنَيبةَ حبلَ من لا يقْطَع

حبلَ الخَلِيل وللأمانَة تفْجـ ـ ـع

ولم يختلف في أن عدد أبياتها خمسة وأربعون بيتاً، ولكن اختُلِفَ في نسبتها أو بعض أبياتها لمالك قال ابن الأنباري[464]: (قال أحمد وبعض الرواة يرويها لمالكٍ أخي متمم) ولكن التبريزي[465] نسبها لمتمم ولم يورد خلافاً، والثابت في كل شروحها نسبتها لمتمم ويرجح ذلك قوله فيها:

أفبعد من ولَدت نُسيبةُ أشتكِي

زو المنيةِ أو ُأرى أتوجـ ـع

وجاء[466] بعد ذلك: (وهذا البيت قد يرجح أن الكلمة لمتمم، إذْ عرِفَ برثاء أخيه مالك).

والقصيدة الثالثة مطلعها:

أرِقْتُ ونام الأَخْلِياء وهاجنِي

مع اللّيل هم في الفُؤادِ وجِيع

وهي المفضلية الثامنة والستون في شرح التبريزي[467]، وعدد أبياتها ستة عشر بيتاً، ومهما يكن من شيء فإن اختيار المفضل الضبي ثلاثَ مرثياتٍ من شعر متمم لشاهد على جودة الشعر وبراعة شاعره.

شِعرُ أبِي ذُؤَيب الهُذَلي:

يعد أبوذؤيبٍ من فحول الشعراء المخضرمين قال عنه ابن سلام الجمحِي[468]: (شاعر فحل مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام)، ومما يؤكد فحولته قول أبي حاتم السجستاني[469]: (قُلْتُ فأبوذؤيب الهذَلي؟ قال: فحل. والفحل هو من

---

[464] ديوان ا فضليات جـ 2 ص 526.

[465] شرح اختيارات ا فضل جـ 1 ص 242.

[466] ا فضيليات ص 48.

[467] شرح اختيارات ا فضل جـ 3 ص 1693.

[468] طبقات فحول الشعراء ص 42.

[469] فحولة الشعراء ص 119، قيق د. مد عبدالقادر أ د، مكتبة النهضة ا صرية القاهرة 1411هـ - 1991م.

يجمع شعر غيره ويرويه، وكان أبوذؤيب راوية ساعدة بن جؤية وقال[470] عنه بعد ذلك: (قال الأصمعي : كان أبوذؤيب راوية ساعدة). وقال ابن رشيق[471] في تعريفه للفَحل من الشعراء: (وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء فقال: هو الراوية يريد أنه إذا روى استفحل. قال يونس بن حبيب: وإنّما ذلك لأنه يجمع إلى جيد شعره جيد غيره، فلا يحمل نفسه إلا علي بصيرةٍ.) وقال[472] في موضع آخر[473]: (لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتّى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ.) ولا غرو أن يستلهم أبوذؤيبٍ الأشعار، ويحكمها بخبرته وحسبنا قول التبريزي[474]: (شاعر فحل متمكن، كثير الغريب) وأضاف[475]: (كان راويةً لساعدة بن جؤية الهذلي)، وبذلك أيضاً قال ابن قتيبة[476]: (جاهلي إسلامي وكان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي) ومنزلته الشعرية متقدمة على شعراء قبيلته قال البغدادي[477]: (شاعر فحل مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وهو أشعر هذيل غير مدافع.) ويفسر ياقوت الحموي ذلك بقوله: (وشعر أبي ذؤيب كُلّه على نمطٍ في الجودة وحسن السبك.) وقد استطرد أبو الفرج الأصبهاني[478] في إيضاح مكانته الشعرية فقال: أخبرني أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: كان أبوذؤيب شاعراً فحلاً لا غميزة فيه ولا وهن.) واستند[479] بعد ذلك على تفضيل حسان بن ثابت له لما سئل عنه: (قال ابن سلام: قال أبو عمرو بن العلاء: سئل حسان بن ثابت: من أشعر النّاس؟ قال أحياً أم رجلاً؟ قالوا: حياً، قال: أشعر الناس حياً هذَيل، واشعر هذيل غير مدافع أبوذؤيب.).

---

[470]) ا صدر السابق ص 131.

[471]) العمدة اسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 362.

[472]) ا صدر السابق جـ 1 ص 363.

[473]) شرح اختيارات ا فضل جـ 3 ص 1681.

[474]) ا صدر السابق جـ 3 ص 1681.

[475]) الشعر والشعراء جـ 2 ص 639.

[476]) خزانة الأدب جـ 1 ص 422.

[477]) ا صدر السابق جـ 1 ص 422.

[478]) معجم الأدباء جـ 3 ص 1277

[479]) الأغا جـ 6 ص 250.

قصائده:

وله في المفضليات قصيدة واحدة في رثاء أبنائه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون عندما هاجروا لمصر، ومطلعها:

أمِن المنُون وريبِها تَتوجع

والدهر ليس بمعتِبٍ من يجزع

والملاحظ أنّها تُشْبِه مراثي متمم السابقة بقافيتها العينية وكأن لحرف العين علاقة ما مع البكاء والتوجع يقول النويهي[480]: (العين حين تأتي روياً لقصائد الرثاء والحزن والخوف يكون لها ارتباط قوي بمضمون القصائد.) وهي المفضليةُ السادسة والعشرون بعد المائة وبها عرفَ قال التبريزي[481]: (وقد اشتهر بمرثيته هذه، حتّى قيل عنه: إنّه أشعر العرب غير مدافع.) وفضلها ابن سلام[482] على شعره بقوله: (أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، وأورد مطلعها بعد ذلك.) ونوه بذكرها البغدادي[483]. قال: (وهذا البيت من قصيدة مشهورة لأبي ذؤيب الهذَلي يرثي بها أولاده.) وذكر مطلعها وسبعة أبيات بعده. وربط أبو الفرج الأصبهاني[484] تقدمه على شعراء هذيل بعينيته هذه فقال: (قال أبوزيدٍ عمر بن شبة: تقدم أبوذُؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه.) وبلغتْ العينيةُ من الاهتمام والذيوع بأن كانت تغنّى منها أبيات، يقول[485] عنها: (فأما قصيدته العينية فمِما يغَنّى به منها:

أَمِن المنُون وريبِها تَتوجع

والدهر ليس بِمعتِبٍ من يجزع

---

480) الشعر ا اهلي دراسته وتقو ه جـ 2 ص 663، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة. د. ت. ط.

481) شرح اختيارات ا فضل جـ 3 ص 1681.

482) طبقات فحول الشعراء ص 42.

483) خزانة الأدب جـ 1 ص 422.

484) الأغا جـ 6 ص 251.

485) الأغا جـ 6 ص 256.

قَالتْ أُمامةُ ما لِجِسمك شَاحِباً

مِنْذُ ابتُذِلتَ ومِثلُ مالِك ينفَـع

أم ما لِجنْبك لا يلائِم مضجعاً

إلا أقَض عليك ذاك المضجع

فأجبتُها أما لِجِسمِي أنه

أودى بني مِن البلادِ فودعوا

واستمر الحِرص عليها، والإشادة بحفظها، وذكرها في المآتم، مماحدا بالخليفة المنصور أن يطلب من ينشدها له عندما مات ابنه الأكبر جعفر روى أبو الفرج الأصبهاني[486] تحت عنوان (الاهتمام بعينيته) فقال: (أخبرني أحمد ابن عبيدا بن عمار قال حدثني أحمد بن عمر النحوي قال : حدثني أبي عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: لما مات جعفر بن المنصور الأكبر مشى المنصور في جنازته من المدينةِ إلى مقابر قريش ومشى الناس أجمعون معه حتّى دفنه، ثم انصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع فقال: يا ربيع، من في أهلي ينشدني: (أمِن المنون وريبها تتوجع) حتّى اتسلّى بها عن مصيبتي؟ ولعظم مكانة العينية عد المنصور عدم حفظ أهل بيته لها مصيبة أعظم من فقده لابنه، يقول[487] عنه: (فقال الربيع: فخرجت إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور، فسألتهم عنها، فلم يكن فيهم أحد يحفظها، فرجعت فأخبرته فقال: وا لمصيبتي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذه لقلّة رغبتهم في الأدب أعظم وأشد علي من مصيبتي بابني. وتجمع أقوال العلماء على تقديمها واستحسانها قال الثعالبي[488] بعد تقديمه: (عجائب الشعر والشعراء): (قال خلف الأحمر: بنو هذيل من أشعر قبائل العرب وأشعرهم أبوذؤيب.) وأورد غرر أبيات العينية فقال[489]: وأمير شعره وغرة كلامه قصيدته التي أولها:

أمِن المنُون وريبِها تَتوجع

---

[486]) ا صدر السابق ج ـ 6 ص 257.

[487]) ا صدر السابق ج ـ 6 ص 257.

[488]) خاص ا اص ص 104، دار مكتبة ا ياة ب وت لبنان د. ت. ط.

[489]) ا صدر السابق ص 104.

والدّهر ليس بِمعتبٍ من يجـزع

وبيت القصيدة قوله:

والنفْس راغِبةٌ إذا رغبتها

وإذَا تُرد إلى قَلِيلٍ تَقْنَــــع

وأحسن أبياتها بعده قوله:

وتجلدِي للشامِتين أُريهم

أَني لِريبِ الدهرِ لا أتضعضع

وإذَا المنِيةُ أنْشَبتْ أظفْارها

أَلْفيتَ كُل تَمِيمةٍ لا تنْفَــع

وذهب ابن طباطبا[490] إلى أنها من الأشعار المحكمة المتقنة قال: (فمن الأشعار المحكمة المتقنَةُ، المستوفاةُ المعاني، الحسنةُ الرصف، السلسلة الألفاظ، التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً، فلا استكراه في قوافيها، ولا تكلف في معانيها ولا عي لأصحابها فيها كقول أبي ذؤيب: (وذكر الأبيات الثلاثة السابقة) واختلاف في عدد أبياتها، رواها ابن الأنباري[491] في شرحه بثلاثة وستين بيتاً، وزاد عليه التبريزي[492] وأوردها خمسة وستين بيتاً، بينما زعم البغدادي[493] أنها اثنان وستون بيتاً.

شعرُ الحُصين بن الحمام المُري:

قليلُ الشعر لذا عده ابن سلام الجمحِي[494] في الطبقة السابعة من الشعراء الجاهليين المحكِمين فقال: (الطبقة السابعة من الشعراء الجاهليين: أربعة رهط محكِمون، في أشعارهم قِلّة، فذاك الذي أخّرهم منهم سلامة بن جندل أحد بني كعب بن سعد، والحصين بن الحمام المري.) وكذلك أضيف إليها المتلمس، والمسيب بن

---

490) عيار الشعر ص 89، قيق مد زغلول سلام، منشأة ا عارف الاسكندرية د. ت. ط.

491) ديوان ا فضليات جـ 2 ص 849.

492) شرح اختيارات ا فضل جـ 3 ص 1681.

493) خزانة الأدب جـ 1 ص 422.

494) طبقات فحول الشعراء ص 74.

علس. ونقل التبريزي[495] ذلك : (شاعر جاهلي مشهور وفارس مقدم، وسيد مذكور في أوفياء العرب. ذكره ابن سلام في الطبقة السابعة من فحول شعراء الجاهلية مع المقلّين المحكمين.) وأوضح ابن رشيق[496] في تعليقه على شعره بقوله: (ومن المقلّين المحكمين: سلامة بن جندل وحصين بن الحمام المري، والمتلمس، والمسيب بن علس. كُلّ أشعارهم قليل في ذاته جيد الجملة. ويروي عن أبي عبيدة: اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة: المتلمس، المسيب بن علس، وحصين بن الحمام المري.) والشاعر إذا أقلّ وجاد فقد ساد، ويستشهد على ذلك قائلاً[497]: (وقال أحد المجودين وهو محمد بن حازم الباهلي:

أَبى لِي أن أُطِيلَ الشعر قَصدِي
إلى المعنَى وعِلْمِي بالصوابِ
وإيجازي بِمخْتصرٍ قَصِيرٍ
حذفْتُ بهِ الطويلَ من الجوابِ

وأجاد الحصين في ما قال من شعر قليل حتّى وصف شعره بالحكمة فعندما مات روي بيتان في رثائه يعبران عن نفاذ بصيرته، وسداد رأيه قال اليزيدي[498]: (انشدني عمي الفضل، قال أنشدني مصعب بن عبدا اليزيدي قال لما هلك الحصين بن الحمام المري سمع هاتف من الجن يسمع صوته، ولا يرى شخصه وهو يقول:

أَلا هلك الحلْو الحلال الحلاحِلُ
ومن رأْيه حزم وعزم ونائلُ
ومن قولُه فَصلٌ إذا القوم أُفْحِموا
تُصِيب هوادِي قَولِهِ ما يحاوِلُ

---

[495]) شرح اختيارات ا فضل جـ 1 ص 321.
[496]) العمدة اسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 219.
[497]) ا صدر السابق جـ 1 ص 347.
[498]) الأما ص 81، عا الكتب ب وت ط2 1404هـ - 1984م.

قصائده:

روى له المفضل الضبي قصيدتين: أخرجهما من باب الفخر لما عرف به من إباءٍ ومجدٍ وسؤْد، ولا غَرو إذْ هو مانع الضيم؛ وكانت العرب تعظم من يفخر ويصدقُ أكثر ممن يسلك غيره من الأغراض مثل الهجاء، والمدح والتشبيب قال أبو العباس ثعلب[499]: (وقال معاويةُ لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي وقّاص : (قد رأيتك تُعجب بالشعر فإذا فعلْتَ فإياك والتشبيب بالنساء، فَتُعر الشريفَةُ، وترمِي العفيفة، وتُقِر على نفسك بالفضيحة. وإياك والهجاء فإنك تحنق به كريماً، وتستثير به لئيماً. وإياك والمدح فإنه كسب الوقاح، وطعمة السؤال.) وبعد ذلك أمره بالفخر وحببه له فقال[500]: (ولكن أفخر بمفاخر قومك، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وشعرك، وتؤدب به غيرك.).

قصيدته الأولى هى المفضلية الحادية عشرة نظمها عندما ظفر ببني عدوان وبني عمرو ومن معهم بدارة موضوع وهزمهم، فقالها يندد بخصمِهِ ويفخر بظَفْره بهم، وبشجاعته واستهانته بالموت. مطلعها:

جزى ا ُ افْناء العشِيرةِ كُلّها

بدارة موضوعٍ عقوقاً ومأْثما

وهي ذائعة الصيت فعندما أنشد البغدادي[501] منها شاهده السادس والستين بعد الخمسمائة وهو قوله:

فلسنَا على الأعقابِ تَدمى كُلُومنا

ولكن على أقدامِنا يقطُر الدما

علّق قائلاً[502]: (وهو من أبيات ثلاثة أوردها أبو تمام في الحماسة للحصين عن الحمام المري وأوردها الأعلام الشنتمري في حماسته أيضاً وهي:

تَأَخّرتُ استبقِي الحياةَ فلم أجِد

---

499) الس ثعلب ص 411، قيق عبدالسلام مد هارون، دار ا عارف، 1400هـ - 1980م.

500) ا صدر السابق ص 411.

501) خزانة الأدب جـ 7 ص 490.

502) ا صدر السابق جـ 7، ص 494.

لِنفْسِي حياةً مِثْلَ أَن أتقدمـا

فلسنا على الأعقابِ تَدمى كُلُومنا

ولكن على أقْدامنا تقْطُر الدما

نُفلقُ هاماً مِن رجالٍ أَعزةٍ

علينا وهم كانُوا أعق وأظْلَما

وأشار[503] للقصيدة معرفاً بها: (وهذه الأبيات الثلاثة من قصيدة عدتها واحد وأربعون بيتاً) وأضاف[504] : (أوردها المفضل في المفضليات وليس البيتان الأولان من الثلاثة موجودين في رواية المفضل.) ولكن القصيدة رويتْ باثنين وأربعين بيتاً في شرحي ابن الأنباري[505] والتبريزي[506] وقد أورد منها سيبويه[507] البيت:

ولَولا رِجالٌ مِن رزامٍ أعزةٌ

وآل سبيعٍ أو أسوءك علْقما

شاهداً على نصبِ المضارع أسوءك بإضمار أن بعد أو.

والقصيدة الثانية هي المفضلية[508] التسعون نظمها على غرار مناسبة القصيدة الأولى ومطلعها:

يا أَخَوينا مِن أَبِينا وأُمنا

ذَروا موليينا مِن قُضاعةَ يذْهبـا

ومن فَخْره فيها قوله:

ولما رأَيتُ الصبر ليس بِنَافِعي

وأَن كان يومـاً ذَا كَواكِب أشْهبـا

شددناعليهم ثَم بالجو شَدةً

---

503) خزانة الأدب جـ 7 ص 496.

504) ا صدر السابق جـ 7 ص 496.

505) ديوان ا فضليات جـ 1 ص 100.

506) شرح اختيارات ا فضل جـ 1 ص 321.

507) الكتاب سيبويه جـ 3 ص 50 قيق عبدالسلام مد هارون مكتبة ا ا ي القاهرة 1412هـ - 1992م.

508) شرح اختيارات ا فضليات جـ 3 ص 1342.

فـلا لكُم ُأماً دعـ ـ ـونا ولا َأبـ ـا

بكل رقاقِ الشفْرتين مهندٍ

وأسمر عراص المهـ ـزةِ أرقبـ ـا

فما فزعوا إذْ خالطَ القوم َأهلهم

ولكن رَأوا صرِفاً من الموت َأصهبا

وجاءت القصيدة قصيرة اثني عشر بيتاً توضح أنّها لشاعر مقِل محكم يريد لها التغلغل والذيوع يقول ابن رشيق[509]: (قيل لابن الزبعرى: إنّك تقصر أشعارك، قال لأن القصار أولج في المسامع، وأجول في المحافل. وقيل للحِماز: لِم لا تطولُ؟ قال لحذْقِي بالفصول، وحذفي للفضول. وقيل مثل ذلك لعقيل بن علّفة فقال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنْق.)

---

509) العمده   اسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 348.

شِعرُ عمرو بن الأهتم:

كان شاعراً وخطيباً قال عنه الجاحظ[510]: (والخطباء كثير والشعراء أكثر منهم، ومن يجمع الشعر والخطابة قليل ومنهم عمرو بن الأهتم المنْقري، وهو المكحل قالوا: كان شعره في مجالس الملوك حللاً منْثورة.) وقال[511] في موضع آخر: (ومن خطباء تميم عمرو بن الأهتم كان يدعى (المكحل)، وهو الذي قيل فيه: إنّما شعره حلل منشّرة بين أيدي الملوك تأخذ منه ما شاءت، ولم يكن في بادية العرب أخطب مِنْه.) وكذلك قال التبريزي[512]: (شاعر مخضرم مجود قيل: كان شعره حللاً منشرة.) وليس ذلك بغريب فقد قال الحصري القيرواني[513] عن سلفِهِ: (وبنو الأهتم أهل بيت بلاغة في الجاهلية والإسلام). واثّرتْ عراقةُ نسبِهِ وعلو حسبِهِ في إصدار شِعرِهِ بنفسٍ مِلْؤُه الفَخْر والاعتداد.

قصائده:

له قصيدتان في المفضليات يفخر فيهما، لم ترد لهما مناسبة في شروح المفضليات أولاهما هي المفضلية الثانية والعشرون[514] ومطلعها:

ألا طرقَتْ أسماء وهي طَروقُ

وبانَتْ على أن الخيالَ يشُوقُ

وعندما ترجم له ابن قتيبة[515] ذكر من مواضع فخره فيها: فقال (وهو القائل:

ذريني فإن البخلَ يا أم هيثمٍ

لِصالح أخْلاق الرجال سروقُ

لَعمرك ما ضاقَتْ بلاد بِأهلِها

---

510) البيان والتبي جـ 1 ص 45، قيق عبدالسلام مد هارون دار الفكر ب وت د.ت.

511) ا صدر السابق جـ 1 ص 350.

512) شرح اختيارات ا فضل جـ 2 ص 596.

513) زهر الآداب جـ 1 ص 39.

514) شرح اختيارات ا فضل جـ 2 ص 596.

515) الشعر والشعراء جـ 2 ص 1114.

ولكن أخلاق الرجال تَضِيـ ـ ـ قُ

ولكن أباتمام[516]: ذكر منها أربعة أبيات وهي:

ذَريني فإن الشح يا أم هيثمٍ

لصالح أخْلاق الرجال سـ ـ روقُ

ذَريني وحطي في هواي فإنّني

على الحسبِ الزاكِي الرفيعِ شَفِيقُ

ذَريني فإني ذُو فِعالٍ تهمني

نوائب يغْشَى رزؤُها وحقُـ ـ وقُ

ومن أثر الإسلام في قصيدته:

وكل كريمٍ يتّقي الذّم بالقِرى

ولِلخيْر بين الصالحين طريـ ـ قُ

وعدد أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً.

والقصيدة الثانية هي المفضلية الثالثة والعشرون بعد المائة[517]، مطلعها:

أجدك لا تُلِم ولا تزور

وقد بانَتْ برهِنِكُم الخُدور

ومن فخره فيها:

وقومٍ ينْظُرون إلي شزراً

عيونُهم مِن البغْضاءِ عور

قصدتُ لَهم بمخْزِيةٍ إذا ما

أصاخَ القوم واستُمِع النِقِير

وكائِن مِن مصِيفٍ لا تَراني

أُعرس فيه تسفَعني الحرور

على أقْتادِ ذِعِلبةٍ إذا ما

أُدِيثَتْ ميثتْ أُخْرى حسِير

---

516) شرح ديوان الحماسة جـ 4 ص 1652.

517) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 830.

ولو أني أشاء كننْتُ جِسمِي

وغادانِي شِواء أو قَدِيـ ر

ولاعبِني على الأنْماطِ لُعس

عليهن المجاسد والحرير

ولكنّي إلى تَركاتِ قومٍ

هم الرؤساء والنبلُ البحور

رواها ابن الأنباري[518] خمسة وعشرين بيتاً، وزاد عليه التبريزي[519] ورواها ثمانية وعشرين بيتاً.

شِعرُ ربيعةَ بن مقْرُوم الضبي:

أحد كبار شعراء مضر قال عنه التبريزي[520]: (أحد شعراء مضر المعدودين في الجاهلية والإسلام.) وقال[521] عن شعره: (له شعر فاخر جيد حسن مختار.) وأيضاً نوه ابن قتيبة[522] بمكانته الشعرية فقال: (وهو من شعراء مضر المعدودين) أما البغدادي[523] فقد اكتفى بما اشتُهر به فقال: (شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وينفرد ربيعة بن مقروم بكثرة شعره في المفضليات. فقد أثبت له المفضل الضبي أربع قصائد، ثلاثاً منها في الفخر، وواحدة في المدح، وأولى قصائد الفخر هى المفضلية السابعةُ والثلاثون[524]، وافتخر فيها بقومه وشدة بأسهم في الحروب، ومطلعها:

أَمِن آل هنْدٍ عرفْتَ الرسوما

بِجمران قفْراً أَبتْ أَن تَريما

---

518) ديوان المفضليات جـ 2 ص 830.

519) شرح اختيارات المفضل جـ 3 ص 1644.

520) المصدر السابق جـ 2 ص 829.

521) المصدر السابق جـ 2 ص 829.

522) الشعر والشعراء جـ 1 ص 308.

523) خزانة الأدب جـ 8 ص 439.

524) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 829.

ومن مواضع فخره:

وإن تسئليني فإني امـرؤٌ ... أُهين اللئيم وأحبو الكَريما
وأبني المعالِي بالمكْرماتِ ... وأُرضِي الخَليلَ وأُروي النَدِيما
ويحمد بذْلي له معتَفٍ ... إذا ذَم من يعتفيه اللّئِيمـا
وأجزي القُروض وفاء بهـا ... ببؤْسى بئيسى ونُعمى نَعِيمـا

ومنها أيضاً:

وساقَتْ لنا مِذْحج بالكُلابِ ... مواليها كلّها والصمِيمـا
فدارتْ رحانا بفُرسانهـم ... فعادوا كأن لم يكُونُوا رمِيما
بِطَعنٍ يجِيشُ له عانِـد ... وضربٍ يفلّقُ هاماً جثُوماً
واضحتْ بتيمن، أجسادهـم ... يشبهها من رآها الهشيمـا

وعدد أبياتها خمسةٌ وأربعون بيتاً.

والقصيدة الثانية فخر فيها بكرمه وحلوله التلاع، وصموده في الكتيبة، وهي المفضلية الثامنة والثلاثون[525] مطلعها:

أَلا صرمتْ مودتك الرواع ... وجد البين مِنْها والـوداع

ومن فخره بالثبات:

وململمٍ جوانِبـا رداحٍ ... تُزجى بالرماح، لها شُعـاع
شهدتُ طِرادها فصبرتُ فيها ... إذا ما هللَ النكس اليـراع

وأبياتها واحد وثلاثون بيتاً. والقصيدة الثالثة هي المفضلية الثالثة عشرة بعد المائة[526] ومطلعها:

تَذكرتُ والذكرى تُهيج زينبا
وأَصبح باقِي وصلِها قد تقضبا

وأبياتها خمسة وعشرون بيتاً. طرق فيها ما سلف من معنى الفخر.

---

(525) المصدر السابق جـ 2 ص 851.

(526) شرح اختيارات المفضل جـ 3 ص 1530.

أما قصيدة المدح فهي المفضلية الثانيةُ والأربعون[527]، مدح بها مسعود بن ظالم عنْدما خلصه من الأسر بدأها بقوله:

بانَتْ سعاد فَأمسى القُلب معمودا
وَأخْلفتْك ابنةُ الحر المواعِيدا

ونعتَ مسعوداً بالكرم، وبعد الصيت، والعفة والصبر، والحلم وطيب الأرومة قال[528]:

لَما تشَكّتْ إلي الأين قُلْتُ لها
لا تَستريحِين ما لم ألْقَ مسعودا

ما لم أُلاقِ امرء جزلاً مواهبه
سهلَ الفِنَاء رحِيب الباعِ محمودا

وقد سمعتُ بقومٍ يحمدون فلَم
أسمع بِمِثْلِك لا حِلْماً ولا جـودا

ولا عفَافاً ولا صبراً لِنائبةٍ
وما أُنبيء عنك الباطلَ السيـدا

رويتْ بأربعة عشر بيتاً.

شِعرُ عبدة بن الطبيب:

أشار أبو الفرج الأصبهاني[529] لقلة شعره قائلاً: (وعبدة شاعر مجيد ليس بالمكثر، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام.) وكان راجح العقل، شريف النفس لذا ما تصرف في الهجاء قط، وقال[530] عنه أيضاً: (قال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطبيب لا يحسِن أن يهجو، فقال: لا تقل ذاك، فوا ما أبى

[527]) المصدر السابق جـ 2 ص 957.
[528]) المصدر السابق جـ 2 ص 957.
[529]) الأغاني جـ 14 ص 28.
[530]) المصدر السابق جـ 14 ص 29.

من عي، ولكنه كان يترفّع عن الهجاء، ويراه ضعةً، كما يرى تركه مروءة وشرفاً وأنشد:

وأجرأُ من رأيت بظَهر غيبٍ   على عيبِ الرجال أخُو العيوبِ)

ونعته التبريزي[531] بقوله: (شاعر تميمي سعدي مجيد مقدم ليس بالمكثر.)

روى له المفضل الضبي قصيدتين تتجلّى فيهما آثار الإسلام، بل نظم أولاهما بعد موقعة القادسية حين التقى المسلمون بالفرس في وقعة بابل سنة عشرة للهجرة فهزموهم وتتبعوهم حتى انتهوا إلى المدائن، والقصيدة هي المفضلية الخامسة والعشرون[532] مطلعها:

هل حبل خولة بعد الهجر موصول

أم أنْتَ عنها بعيد الدار مشْغُـ ـ ـولُ

قال الطبري[533]: (وكان عبدة قد هاجر لمهاجرة حليلة له. حتّى شهد وقعة بابل فلما آيسته رجع إلى البادية فقال: (فذكر البيت السابق وبعده:

وللأحبةِ أيـ ـام تذكرهـ ـ ـ ـا   وللنّوى قبل يوم البين تأْويـ ـلُ

حلّتْ خُويلةُ في حي عهدتُهـ ـم   دون المدائن فيها الديك والفِيلُ

يقارعون رؤُوس الرومِ ضاحِيةً   منْهم فَوارس لا عزلٌ ولا مِيلُ

وذكر كثير من العلماء بعض أبياتها لشهرتها، قال الوزير أبوعبيد البكري[534]: (قال عبدة بن الطبيب:

لما وردنا رفعنا ظِل أرديةٍ

وفَار لِلقَومِ باللحم المراجِيـ ـلُ

ورداً وأشْقَر لم ينْهِئْه طابِخُه

ما غير الغَلْي مِنْه فهو مأْكُولُ

ثُمتَ قُمنا إلى جردٍ مسومةٍ

أعرافُهن لأيدِينا منادِيـ ـ ـلُ

---

531) شرح اختيارات ا فضل جـ 2 ص 643.

532) ا صدر السابق جـ 2 ص 643.

533) تاريخ الأمم وا لموك جـ 4 ص 232.

534) ط اللآ جـ 1 ص 69.

وحكى أبو الفرج الأصبهاني[535] قصة تتعلق بالبيت السابق فقال: (إن عبدالملك بن مروان قال يوماً لجلسائه: أي المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر كأنّها غِرقي البيض، وقال آخر مناديل اليمن، كأنها نَور الربيع، فقال عبدالملك: مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطبيب حيثُ يقولُ (وذكر الأبيات الثلاثة السابقة).

ومن المعاني الإسلامية فيها قوله[536]:

نرجو فواضِلَ رب سيبه حسن

وكُل خيرٍ لديه فهو مقْبـولُ

رب حبانَا بأموالٍ مخّولةٍ

وكُل شيءٍ حباه ا تَخْوِيلُ

والمرء ساعٍ لأمرٍ ليس يدرِكُه

والعيشُ شُح وإشْفاقٌ وتأْمِيلُ

وفي باب (عجائب الشعر والشعراء) أورد الثعالبي[537] البيت الأخير السابق فقال عن قصيدته اللامية: (أمير شِعرِهِ قوله: - وكان عمر بن الخطّاب رضِي ا عنه يتعجب من جودته وحسن تقسيمه.) وأحسب أن هذه اللامية منها أبيات نظمها الشاعر في الجاهلية قبل إسلامه، وهي الأبيات التي يتحدث فيها عن الخمر ويصفها وينعت كوبها وحاملها وهى[538]:

وقد غدوتُ وقرن الشمسِ منْفَتِقٌ

ودونه من سوادِ الليل تَجلِيـ ـ ـ ـلُ

إذْ أشْرفَ الديك يدعو بعض أُسرتِهِ

لدى الصباحِ وهم قوم معازِيـ ـ ـلُ

إلى التجار فأعدانِي بِلَذتِهِ

رخو الإزارِ كصدرِ السيفِ مشْمولُ

---

535) الأغا جـ 21 ص 29.

536) ا فضليات ص 142.

537) خاص ا اص ص 104.

538) ا فضليات ص 143 – 144.

خِرقٌ يجِد إذا ما الأمر جد به

مخالِطُ اللهو واللّذاتِ ضِليـ ـ ـ ـ لُ

ومن وصفه لكوبها:

والكوب أزهر معصوب بقّلِتِهِ

فَوقَ السباعِ من الريحان إكْلِيـ ـ لُ

مبرد بِمزاجِ الماءِ بينهما

حب كجوزِ حِمارِ الوحشِ مبـ ـزول

والكوب ملآن طافٍ فَوقه زبد

وطَابِقُ الكبشِ في السفود مخْتُولُ

يسعى بِه مِنْصفٌ عجلان منْتطِقٌ

فوق الخُوان وفي الصاع التّوابِيـ ـلُ

ثُم اصطحبتُ كُميتاً قرقفاً أُنُفاً

مِن طيبِ الراحِ واللّذَاتُ تَعلِيـ ـ لُ

صرفاً مِزاجاً، وأحياناً يعللنا

شعر كمذْهبةِ السمان محمـ ـ ولُ

والقصيدة من طوال قصائده رواها المفضل الضبي[539] واحداً وثمانين بيتاً.

القصيدة الثانية هي المفضليةُ السادسةُ والعشرون[540]، والنزعةُ الدينية واضحة فيها فقد أنشأها يوصِي أبناءه بتقوى ا ، وبر الوالد، والاتحاد وترك التنابذ، مطلعها[541]:

أبنِي إنى قد كبِرتُ ورابنِي

بصري وفي لِمصلِحٍ مستَمتـ ـع

ومما أوصى به بنيه قوله[542]:

---

539) ا فضليات ص 135.

540) شرح اختيارات ا فضل جـ 2 ص 687.

541) ا صدر السابق جـ 2 ص 687.

542) ا صدر السابق جـ 2 ص 690.

أُوصيكُم بِتُقَى الإله فإنّه

يعطِي الرغائب من يشَاء ويمنَع

وببر والِدِكُم وطاعةِ أمرِهِ

إن الأبر من البنين الأطـ ـ وع

إن الكبير إذا عصاه أهلُه

ضاقَتْ يداه بأمرِهِ ما يصنَـ ـ ع

وافتخر بحسن رأيه في المعضلات وغلبته الخصوم[543]:

وثنِيةٍ من أمر قومٍ عزةٍ

فرجتْ يداي فكان فيها المطْلع

ومقَام خصمٍ قائمٍ ظَلِفَاتُه

من زل طار له ثناء أشْنَـ ـ ع

أصدرتُهم فيه أُقوم درأهم

عض الثقافِ وهم ظِماء جوع

وختمها بأن صور يومه الأخير وذكر البكاء والقبر[544].

ولقد عِلمتُ بأن قصري حفْرةٌ

غَبراء يحمِلُني إليها شَرجـ ـ ـ ع

فبكى بناتي شَجوهن وزوجتِي

والأقْربون إلي ثُم تَصدعـ ـ ـ وا

وتُركْتُ في غبراء يكْره وِردها

تَسفِي علي الريح حيـ ـ ن أُودع

شعر سويد بن أبي كاهل:

قال عنه أبو الفرج الأصبهاني[545]: (وسويد شاعر متقدم من مخضرمي الجاهلية والإسلام.) وقال[546] قبل ذلك مشِيراً لمنزلته بين الشعراء: (وجعله

---

543) المصدر السابق جـ 2 ص 697.

544) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 700.

محمد بن سلام في الطبقةِ السادسة وقرنه بعنترة العبسي وطبقته). عرف بالهجاء، روى التبريزي(547): (وكان سويد كثير الهجاء).

قصيدته العينية:

له مفضلية واحدة طويلة ، وهي الأربعون في ترتيب المفضليات مطلعها:

بسطَتْ رابِعةُ الحبلَ لنا   فوصلْنا الحبلَ منْها ما اتّسع

افتخر فيها بقومه بني بكر بن وائل: قال عنها التبريزي(548): (له شعر كثير ولكن برزت هذه على شعرِهِ.) ومن دلائل شهرتها تمثل البلغاء بأبياتها يقول ابن قتيبة(549): (وكان الحجاج تمثّل يوم رستقباذ على المنبر بأبياتٍ من قصيدته وهي:

رب من انضجتُ غيظاً صدره

قد تمنّى لِي موتاً لم يطَع

ويرانِي كالشجا في حلْقهِ

عسِراً مخْرجه ما ينْتَزع

أورد السيوطي(550) البيت الأول من البيتين السابقين ضمن شواهِدِه، وتحدث عن منزلة قصيدته قائلاً: هو من قصيدة لسويد بن أبي كاهل اليشكري أولها:

بسطَتْ رابعةُ الحبلَ لنا   فوصلْنا الحبلَ منها ما اتّسع

فضلها الأصمعي، وقال: كانت العرب تقدمها وتعدها من الحكم.) وكذلك أورد البغدادي(551) الشاهد السابق ضمن شواهده، وعنده هو الشاهد التاسع

---

545) الأغا جـ 13 ص 100.

546) ا صدر السابق جـ 13 ص 100.

547) شرح اختيارات ا فضل جـ 2 ص 867.

548) ا صدر السابق جـ 2 ص 867.

549) الشعر والشعراء جـ 1 ص 411.

550) شرح شواهد ا غ جـ 2 ص 740.

والثلاثون وعلّق بعده: (هذا البيت من قصيدة طويلة عدتها مائة بيت وثمانية أبيات، لسويد بن أبي كاهل مسطورة في المفضليات.) وانشد مطلعها السابق، وقال[552] بعد ذلك: (كانت العرب تُفضلُها وتقدمها، وتعدها من حكمها، وكانت في الجاهلية تُسمى اليتيمة لما اشتملتْ عليه من الأمثال.) وشذ الزركلي عندما زعم أن مطلعها[553]:

أرقَ العين خيالٌ لم يدع   من سليمى فَفُؤادِي منْتَزع

وهذا ما ذهب إليه (ليال) زاعماً أنّها قصيدتان، والبيت السابق هو مطلع الثانية، ولكن عبدا الطيب(554) رد عليه فقال: (ولقد وهِم ليال في تعليقه على المفضليات فقال ما معناه أن قصيدة سويد هذه إنّما هي قصيدتان بلا ريب، بحرهما واحد، وقافيتهما واحدة، ومبدأ الثانية من البيت الخامس والأربعين. وهذا وهم في الذي ذكرناه ما يدفعه، وإنّما أُتِي ليال من جهة التصريع.) وقال عنها الخالديان[555]: (ومن أجود أشعار أهل الجاهلية بل هي مقدمة في قصائدهم، قصيدة سويد بن أبي كاهل.) وذكرا منها تِسعةً وثلاثين بيتاً وقالا[556] بعد ذلك: (وقع الاختيار من هذه القصيدة على ما أثبتناه وتركنا منها ما لو أغنينا به كان مختاراً). وهذا من دلائل تقدمها ونفاستها. ومن مواضع فخره فيها بأهله بني بكر[557]:

من بني بكر بها مملكةٌ	منظر فيهم وفيهم مستَمع
بسطُ الأيدي إذا ما سئلوا	نُفُع النائل إن شيء نفع عاجل
من أناس ليس من أخلاقهم	الفحش ولا سوء الجزع عند مر
عرفٌ للحق ما نعيا به	الأمر ما فينا خرع في

---

551) خزانة الأدب جـ 6 ص 123.

552) ا صدر السابق جـ 6 ص 123.

553) ا صدر السابق جـ 4 ص 111.

554) ا رشد إ فهم أشعار العرب وصناعتها جـ 3 ص 1066، دار الفكر د.ت. ط.

555) الأشباه والنظائر من أشعار ا تقدم وا اهلي وا خضرم جـ 2 ص 177، قيق د. مد يوسف د.ت.ط.

556) المصدر السابق جـ 2 ص 177.

557) المفضليات ص 194

وإذا هبتْ شـمالاً أطعمـوا قدورٍ مشبعات لم تُجـع مـن
وجفانٍ كالجوابي مِلِئَـتْ سمينات الذُرى فيها ترع أبـداً
لا يخاف الغدر من جاورهم منهم ولا يخشـى الطبـع

وتجلتْ في كثير من أبياتها معاني الإيمان مثل قوله[558]:

وبناء للمعالي، إنمـا يرفع ا ومـن شـاء وضـع
نِعم فينـا ربهـا وصنيع ا ِ، وا صنَـع

شِعر المخبل السعدي:

كان من فحول الشعراء، قال عنه أبو الفرج الأصبهاني[559] : (ذكره ابـن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخداش بـن زهيـر، والأسود بن يعفُر، وتميم بن مقبل وهو من المقلين). وقال التبريزي[560] : (شاعر فحل مشهور مقل) وقال عنه البغدادي[561] : (وهو شاعر مخضرم فحل).

قصيدته الميمية:

روى له المفضل الضبي[562] المفضلية الحادية والعشرين والتى قسمها بين الغزل بمحبوبته والفخر بكرمه، مطلعها:

ذكر الرباب وذكْرها سقْم
فصبا وليس لِمن صبا حِلْم

وتعد من أشهر قصائده قال ابن حجر[563]: (وهو القائل في قصيدته المشهورة:

---

558) المصدر السابق ص 197.
559) الأغاني جـ 13 ص 190.
560) شرح اختيارات المفضل جـ 1 ص 533.
561) خزانة الأدب جـ 6 ص 93.
562) المفضليات ص 113.

إنّي وجدتُ الأمر أرشده

تقوى الإله وشره الإثْـ ـم

ولعلّ اختياره لهذا البيت يلْمِح لأثر الإسلام في شعره وقبله[564]:

إن الثراء هو الخُلُـ ود وإ ن المرء يكْرب يومه العدم

إني وجدك ما تُخَلدنـ ـي مائةٌ يطير عِفَاؤُهـ ـا، أُدم

ولئن بنيتَ لِي المشَقر في هضبٍ تُقصر دونَه العصم

لَتُنقبن عني المنِيـ ـةُ إ ن ا ليس كحكمِهِ حكْـ ـم

ومن غزله بمحبوبته[565]:

ولقَد تَحل بها الرباب لها سلَفٌ يفُل عدوها فَخْـ ـ ـم

برِدِيةٌ سبقَ النعيم بِهـ ـ ـا أقْرانَها وعَلا بها عظْـ ـ ـم

وتُريك وجهاً كالصحِيفةِ لا ظمآن مخْتلَج ولا جهم

ورواها المفضل الضبي[566] أربعين بيتاً.

شِعر مُزرد بنُ ضِرارٍ:

من أسرة شاعرة قال عنه ابن دريد[567]: (شماخ ومزرد وجزء: بنو ضرار كانوا شعراء أدركوا الإسلام.) ووصفه المرزباني[568] فقال: (وله أشعار وشهره) ولكنّه قال[569] بعد ذلك: (وكان هجاء خبيث اللسان): وقد اشتهر بذلك قال التبريزي[570]: (وكان فارساً مشهوراً وهجاء خبيث اللسان) ويبدو أنّه كان يفحش

---

563) الإصابة ييز الصحابة جـ 2 ص 456.

564) ا فضليات ص 118.

565) ا صدر السابق ص 114.

566) ا فضليات ص (113-118).

567) الاشتقاق جـ 1 ص 286.

568) معجم الشعراء ص 483.

569) ا صدر السابق ص 483.

570) شرح اختيارات ا فضل جـ 1 ص 363.

في الهجاء. ومع ذلك كان يعد من الفحول قال أبوحاتم السجستاني[571]: (قلت: فالشماخ؟ قال: فحل. قال الأصمعي وأخبرني من رأى قبر الشماخ بأرمينية. قلت: فمزرد أخوه؟ قال: ليس بدون الشماخ) وعلّق على هجائِه فقال[572]: (ولكنّه أفسد شعره بما يهجو النّاس) والهجاء يضع الشرف ويزري بالسمعةِ قال ابن رشيق[573] عن الشعراء: (ومنهم من لا يهجو كفئاً ولا غيره، لما في الهجاء من سوءِ الأثر وقبح السمعة، كالذي يحكى عن العجاج أنّه قيل له: لِم لا تهجو؟ فقال: ولِم أهجو؟ إن لنا أحساباً تمنعنا من أن نُظْلَم، وأحلاماً تمنعنا من أن نَظلِم.).

روى له المفضل الضبي قصيدتين الأولى هي المفضلية الخامسة عشرة[574]، يهجو فيها زرعة بن ثوب، ويقذع في هجائِه مطلعها:

ألا يالقومِ والسفاهةُ كاسمِها
أعائِدتي مِن حب سلْمى عوائِدي

ومن هجائه لزرعة[575]:

أزرع بن ثوبٍ إن جارات بيتِكم
هزلْن وألهاك ارتغاء الرغائـدِ

وأصبح جاراتُ ابن ثوبٍ بواشِماً
من الشر يشويهن شَي القدائـدِ

أورد التبريزي[576] منها خمسة وأربعين بيتاً، بينما روى ابن الأنباري[577] اثنين وأربعين بيتاً فقط.

---

571) فحولة الشعراء ص 113.

572) ا صدر السابق ص 113.

573) العمده اسن الشعر وآدابه جـ 1 ص 231.

574) ا فضليات ص 75.

575) ا فضليات ص 77.

576) شرح اختيارات ا فضل جـ 1 ص 363.

577) ديوان ا فضليات جـ 1 ص 127.

والقصيدة الثانية هى المفضلية[578] السابعة عشرة وفيها افتخر بشجاعته، ونوه بجواده وفرسه ووصف سلاحه، وتباهى بشعره معتزاً بقوته، ومطلعها:

صحا القلْب عن سلْمى وملّ العواذِلُ
وما كاد لأياً حب سلْمى يزايـ ـل

ويقول عن نفسه[579]:

فمن يك مِعزالَ اليدين مكانُه
إذا كشرتْ عن بابها الحرب خامِلُ
فقد علِمتْ فتْيان ذِبيان أنّني
أنا الفارس الحامِي الذمار المقاتِـ ـلُ
وأني أرد الكبشَ والكبشُ جامِح
وأُرجِع رمحِي وهو ريان ناهِـ ـلُ

وهذه القصيدة اللامية طويلة عدد أبياتها أربعةٌ وسبعون بيتاً[580].

شعر عبدا بن عنمة:

قال التبريزي[581] عن شاعريته: (شاعر جـاهلي مخـضرم.) ولـشهرته بالشعر قال عنه ابن دريد[582]: (عبدا بن عنمة الـشاعر). روى المفـضل[583] الضبي له قصيدة ومقطوعة شعرية فالقصيدة يمدح بها الحوفزان الحرث بن شريك وهي المفضلية الرابعة عشرة[584] بعد المائة مطلعها:

أشت بِليلى هجرها وبعادها
بِما قَد تُؤاتِينا وينْفع زادهـ ـ ـ ـا

ومن مدحه له[585]:

---

578) المفضليات ص 93.

579) المصدر السابق ص 95.

580) المصدر السابق ص (93 – 102).

581) شرح اختيارات المفضل جـ 2 ص 740.

582) الاشتقاق جـ 1 ص 199.

583) المفضليات ص 379، 382.

584) المصدر السابق ص 379.

585) المصدر السابق ص 379، 380.

إذا الحارثُ الحراب عادى قبيلةً

نَكاها ولم تَبعد عليه بـ ـ ـ ـلادها

سموتَ بِجردٍ في الأَعِنّةِ كالقَنا

وهن مطَايا ما يحِل فِصـ ـادها

ورواها المفضل[586] الضبي ثلاثة وعشرين بيتاً.

والمقطوعة من ستة أبيات جاءت المفضلية الخامسة عشرة[587] بعد المائة افتخر فيها على أعدائه، ومطلعها:

ما إن تَرى السيد زيداً في نُفُوسِهم

كما تَراه بنُو كوزٍ ومرهـ ـ وب

ومن فخره فيها[588]:

إن تَسألُوا الحق نُعطِ الحقّ سائلَه

والدرع محقَبةٌ والسيفُ مقْروب

وإن أَبيتُم فإنّا معشر أُنُفٌ

لا نَطْعم الذل إن السم مشْروب

فازجر حِمارك لا يرتع بِروضتنا

إذاً يرد وقيد العير مكْـ ـروب

---

586) المصدر السابق ص 379.

587) المصدر السابق ص 382، 383.

588) المصدر السابق ص 383.

الفصل الرابع

بناء القصيدة عند المخضرمين

المبحث الأول : المطالع

المطالِع جمع مطْلِع، وهو مصطلح ٌأدبي يطْلِقُه النقاد على أول القصيدة قال ابن رشيق[589]: (المطلع أول ما يقع في السمع من القصيدة، والدال على ما بعده، المتنزل من القصيدة منزلة الوجه والغرة.) وعرفه ابن حجة الحموي[590] تعريفاً حسن الاستعارات، كشف عن جوهره، وحدد شروطه بقوله: (اعلم أنّه اتفق علماء البديع، على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلّة المعاني واضحة في استهلالها، وأن لا يتجافى بجنوب الألفاظ عن مضاجع الرقّةِ، وأن يكون التّشبيب بنسيبها مرقصاً عند السماع، وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشّم الحزن، مع اجتناب الحشو وما ليس له تعلق بما بعده، وشرطوا أن يجتهد الناظم في تناسب قسميه، بحيث لا يكون شطره الأول أجنبياً من شطره الثاني.) ووضح ابن رشيق[591] أهميتها وفضلها على الشعر بأن شبهها بالمفتاح الذي يفتح مغاليق القصيدة قال: (وبعد فإن الشعر قفلٌ أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره فإنّه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة وليجتنب (ألا)، (خليلى) و (قد) فلا يستكثر منها في ابتدائه فإنّها من علامات الضعف، والتكلان إلا للقدماء الذين جروا على عرف، وعملوا على شاكلة وليجعله حلواً سهلاً وفخماً جزلاً.) ونبه إلى ذلك أبو هلالٍ العسكري[592] فقال: (ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله مما يتطير منه ويستجفى من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار، وتشتيت الألاف ونعي الشباب وذم الزمان.)

وألزم الخطيب القزويني[593] الشاعر بأن يتأنّق في ابتداءِ كلامه حتّى يكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً وأصح معنى وعلّل لذلك بقوله: (لأنّه أول ما يقرع السمع فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وإن كان بخلاف ذلك

---

[589]) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 2 ص 213.

[590]) خزانة الأدب وغاية الأرب جـ 1 ص 19، منشورات دار ومكتبة ا لال ب وت، لبنان ط 1 1987م.

[591]) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 1 ص 218.

[592]) الصناعت الكتابة والشعر ص 489، قيق مفيد قميحة دار الكتب العلمية ط2 1404هـ – 1984م.

[593]) الإيضاح علوم البلاغة ص 332، قيق د. رحاب مكّاوي دار الفكر العر ط1 2000.

أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن، فمن الابتداءات المختارة قول امريء القيس:

قِفَا نَبكِ مِن ذِكْرى حبيبٍ ومنزل

بِسِقْطِ اللوى بين الدخول فَحومل

وقول النابغة:

كِلِيني لِهم يا أميمةُ ناصِبِ

وليلٍ أُقِاسيه بطيءِ الكواكـ ـ ـبِ.)

وكذلك نبّه ابن رشيق[594] لعظيم أثَرِهِ قائلاً: (لأن حسن الافتتاح داعيةُ الانشراح، ومطيةُ النجاح) وقال[595] أيضاً: (وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنّسيب لِما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القَبول بحسب ما في الطّباع من حب الغزل والميل إلى اللهو والنساء) ووضح غرض ذلك فقال[596]: (وإن ذلك استدراج لِما بعده) أي يفضي للغرض، وبين طرائق الشعراء فيه بقوله[597]: (ومقاصد الناس فيه تختلف فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال، وتوقّع البين والإشفاق منه، وصفة الطلول والحمول، والتشوق بحنين الإبل، ولمع البروق،ومر النسيم، وذكر المياه التى يلتقون عليها، والرياض التي يحلون بها من خزامى، وأقحوان، وبهار وحنْوة وظيان، وعرار، وما أشبهها من زهر البرية الذي تعرفه العرب.) وأشار ابن الأثير[598] الحلبي لفائدة ذكره أول القصائد: (وأما فائدة النّسيب فإنّه يذكر في أول القصائد توطئةً للذهن وميلاً للنفس إلى ما فيها من ذكر الهوى والعشق وأحواله. ووصف الديار والمنازل فإن ذلك مما تميل النفس إليه بالطبع.)

---

594) العمدة اسن الشعر ونقده وآدابه جـ 1 ص 217.

595) ا صدر السابق جـ 1 ص 221.

596) ا صدر السابق جـ 1 ص 221.

597) ا صدر السابق جـ 1 ص 221

598) جوهر الك ص 452، قيق د. مد زغلول سلام، الناشر منشأة ا عارف بالاسكندرية، د.ت.ط.

تأملتُ مطالع قصائد المخضرمين فوجدتُها مختلفةً في نسيبها، فأطول مطلع هو مطلع عينية سويد بن أبي كاهل حيث جمع فيه نسيباً مفصلاً بالمحبوبة في الأبيات[599]:

بسطتْ رابعةُ الحبلَ لنـــا فوصلْنا الحبلَ مِنها ما اتّسع
حرةٌ تَجلـو شتِيتــاً واضحاً كشُعاع الشمسِ في الغيمِ سطَـع
صقلتْه بقضِيـبٍ ناضِـرٍ مِن أراكٍ طيبٍ حتّـى نصـع
أبيض اللون لذيذاً طعمـه طيب الريقِ إذا الريـقُ خَـدع
تَمنح المرآةَ وجهاً واضِحاً مثلَ قرن الشمسِ في الصحوِ ارتفع
صافي اللون وطرفاً ساجِياً أكْحلَ العينين ما فيـه قمـع
وقُرونـاً سابِغَـاً أطرافُهـــا غلّلتْهـا ريـح مِسـكٍ ذِي قَنــع

وحديثاً عن الطيف والأرق له في الأبيات[600]:

هيج الشوقَ خيالٌ زائر مِن حبيبٍ خَفِرٍ فيه قَـــدع
شاحِطٍ جاز إلى أرحلِنَـا عصب الغابِ طُروقاً لم يـرع
آنسٍ كان إذا ما اعتَادني حالَ دون النَومِ مِنّي فامتَنَع
وكذاك الحب مـا أشْجعـه يركَب الهولَ ويعصِي من وزع

ثُم صفة الليل والنجوم والفجر في الأبيات[601]:

فأبِيتُ الليـلَ مـا أرقُده وبعيني إذا نجـم طَلَــع
وإذا ما قُلتُ ليلٌ قد مضى عطَفَ الأولُ منه فرجــع
يسحب الليلُ نُجوماً ظلّعاً فتوالِيها بطيئــات التبــع
ويزجّيهـا علـى إبطائِهـا مغْرب اللون إذا اللون انقشَــع

وبعد استهلاله بذكر (رابعة)، ذكر بعد ذلك (سلمى) على عادة الأقدمين في مطالعهم قال ابن رشيق[602]: (وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم، وتحلو في

---

599) المفضليات ص 191.

600) المصدر السابق ص 191 – 192.

601) المصدر السابق ص 192.

أفواههم، فهم كثيراً ما يأتون بها زوراً نحو: ليلى وهند وسلمى ودعد ولبني وعفراء وأروى وريا وفاطمة ومية وعلْوة وعائشة والرباب وجمل وزينب ونُعم وأشباههن.)

فقال عن سلمى[603]:

قَدعانِي حب سلْمى بعد ما   ذَهب الجِدةُ منّي والريع

خبلتْني ثُم لما تُشْفني   فَفُؤادِي كُلّ أوبٍ ما اجتمع

ودعتْني برقَاهـا إنّهـا   تُنْزِلُ الأعصم مِن رأس اليفَع

تُسمِع الحداثَ قولاً حسنـاً   لَو أرادوا غيره لم يستمع

كم قطعنا دون سلْمى مهمهاً   نازح الغَور إذا الآلُ لَمـع

في حرورٍ ينْضج اللحم بها   يأْخُذُ السائر فيها كالصقع

وتخطّيتُ إليها مِن عـِدى   بِزماعِ الأمر والهـم الكَنِـع

واستحسن عبدا الطيب[604] مطلع عينية سويد فقال: (وهذه مقدمة جمعت فأوعتْ. ذكر اللّذّة الغابرة ونعت المحبوب في ثناياه ووجهه وشعره، وذكر الطيف وذكر الحب، وذكر الليل والنجوم، وذكر رقي الغرام وأنس الحديث.) وقد استوفى سويداً في مطلعه حكم النّسيب الذي أوضحه ابن رشيق[605] عندما قال: (من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم، متصلاً به، غير منفصل منه، فإن القصيدة مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهةً تتخون محاسنه، وتعفي معالم جماله.) ولكنّه خص باستيفائه المحدثين لحذقهم في الوصل، ومهارتهم في السبك قال[606]: (وقد وجدتُ حذّاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين من مثل هذا الحال احتراساً يجنّبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان، حتى يقع الاتصال، ويؤمن الانفصال،

---

602) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 2 ص 121.

603) ا فضليات ص 192 – 193.

604) ا رشد إ فهم أشعار العرب وصناعتها جـ 3 ص 1063، دار الفكر د.ت. ط.

605) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 2 ص 117.

606) العمدة اسن الشعر وآدابه جـ 2 ص 118.

وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها، وانتظام نسيبها بمديحها) ومال بثنائه على المحدثين فقال بعد ذلك[607]: (وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم، ولطف أفكارهم واعتمادهم البديع وأفانينه في أشعارهم وكأنّه مذهب سهلوا حزنَه ونهجوا رسمه.) واستخفّ بمذهب المخضرمين ومن سبقهم من الفحول بقوله[608]: (فأما الفحول الأوائل ومن تلاهم من المخضرمين والإسلاميين فمذهبهم المتعالم فيه (عد عن كذا إلى كذا) وقصارى كل واحد منهم وصف ناقته بالعتق والكرم والنجابة والنجاء وأنّه امتطاها فادرع عليها جلباب الليل.) فهذا وإن صدق لفظاً فهو مربوط بروح القصيدة وغرضها يدل على ذلك تعليق عبدا الطيب[609] على مقدمة سويد الغزليه: (ولعلّ هذا يكشف لك سر الكناية المستكنّة في مقدمته الطويلة ورابعته التى بسطت الحبل، ومنّته بعد أن دعته برقاها وتيمتْه ثم بانت بعد ذلك كل البين.) نلاحظ أن سويداً اقتحم مطلع عينيته، وذلك لأنَّه لم يصرع، وجرى على عادة الأوائل الذين لم يلتزموا التصريع في كُل مطالعهم قال ابن رشيق[610]: (وأكثر شعر ذي الرمة غير مصرع الأوائل، وهو مذهب كثير من الفُحول.) واستدل بعد ذلك على أثره فقال[611]: (وقد قال أبو تمام وهو قدوةٌ:

وتقْفُو لي الجدوى بِجدوى وإنما

يروقُك بيتُ الشّعر حين يصرع)

وأحسب أن الشاعِر حين يستهل دون تصريع كأنّه يسلبه المعنى ويشْغلُه علاجه، لذا يقتحم دون إعلام قال[612]: (وإذا لم يصرع الشّاعر قصيدته كان كالمتسور الداخل من غير باب.) ولكن سويداً صرع في وسط قصيدته حيث لا ضرورة لذلك في البيت:

أرق العين خيالٌ لم يدع　　　من سليمى، ففُؤادِي منْتَزع

---

607) ا صدر السابق جـ 2 ص 118.

608) ا صدر السابق جـ 2 ص 118.

609) ا رشد إ فهم أشعار العرب وصناعتها جـ 3 ص 1065.

610) العمدة اسن الشعر ونقده وآدابه جـ 1 ص 328.

611) ا صدر السابق جـ 1 ص 328.

612) العمدة اسن الشعر ونقده وآدابه جـ 1 ص 331.

وخرج ابن رشيق[613] ذلك بقوله: (وربما صرع الشّاعِر في غير الابتداء وذلك إذا خرج من قصة إلى قصةٍ أو من وصف شيء إلى وصف شيءٍ آخر فيأتي حينئذٍ بالتصريع إخباراً بذلك وتنبيهاً عليه.) والبيت كان بمثابة انتقال من فخره بقومه إلى الغزل بمحبوبته وكره ابن حجة الحموي مجيء التصريع وسط القصيدة قال[614]: (وفي وسطها ربما تمجه الأذواق والأسماع) وكذلك أطال المخبلُ السعدِي في مطلع قصيدته الميمية التي بدأها بالذكرى والطيف قائلاً[615]:

ذكر الرباب وذكْرها سقْم فصبا وليس لِمن صبا حِلْم

وإذا ألم خيالُهـا طُرِفـتْ عيني فماء شُؤُونِها سجـم

وهو شبيه بمطلع بائية ربيعة بن مقروم[616]:

تذكّرتُ والذكْرى تُهيج زينبا

وأصبح باقِي وصلِها قد تقضبا

ومطلع عمرو بن الأهتم في قافِيته[617]:

ألا طَرقتْ أسماء وهي طَروقُ

وبانتْ على أن الخيالَ يشُوقُ

وهذا مثل مطلع خفاف بن ندبة[618]:

ألا طرقتْ أسماء في غير مطْرق

وأنّى إذا حلّتْ بنجران نَلْتِقي

ثُم وصف المخبل بعد ذلك دار محبوبته وقد درستْ، وبدلتْ من ساكنها البقر والظباء في الأبيات[619]

وأرى لها داراً بأغْدِرةِ الـ سيدان لم يدرس لها رسـم

إلا رماداً هامِداً دفعـتْ عنْه الرياح خوالد سحم

---

613) المصدر السابق جـ 1 ص 326.

614) خزانة الأدب وغاية الأرب جـ 2 ص 278.

615) المفضليات ص 113.

616) المصدر السابق ص 375.

617) المصدر السابق ص 125.

618) الأصمعيات ص 21.

619) المفضليّات ص 113.

وبقِيةَ النؤْي الذي رفِعتْ أعضاده فثوى له جـذْم

فكأن ما أبقى البوارح والـ أمطَار من عرصاتِها الوشْـم

تَقْـرو بهـا البقر المسـارب واختـ ـلطتْ بهـا الآرام والأدم

وكأن أطلاء الجآذِر والـ غِزلان حولَ رسومها البهـم

ثم نعت صاحبته وشبهها بالدرة ووصفَ الدرة في الأبيات[620]:

بردِيةٌ سبقَ النّعيم بها أقرانَها وعَلا بهـا عظْم

وتُريك وجهاً كالصحيفة لا ظمآن مخْتَلج ولا جهـم

كعقِيلة الدرّ استضاء بها شخْتُ العِظَام كأنّه سهــم

بلَبانِـهِ زيتٌ، وأخْرجهـا مِن ذِي غَوارِب وسطُه اللخْم

وإطالة النسيب ليستْ استدراجاً لِما بعده لأنّه مقصود لذاته والغزل غرضه، أما في سواه من الأغراض فأوجبوا الإيجاز فيه قال ابن الأثير الحلبي[621]: (ولا ينبغي للشاعر أن يكثر النّسيب في أول القصائد.)

وأما قصيدتا مزرد بن ضرار، فقد بدأهما بنسيبٍ موجز لم يحسن تعلّقه بما بعده، ونلاحظ ذلك في قصيدته الأولى التي لم يصرع مطلعها، وإنما صرع داخلها[622]:

ألا يا لقوم والسفاهةُ كاسمِها أعائِدتي مِن حب سلْمى عوائِـدِي

سويقةُ بلْبالٍ إلى فَلَجاتِها فَذِي الرمثِ أبكتْني لِسلْمى معاهِدي

وقَامتْ إلى جنْب الحِجاب وما بِها من الوجدِ لولا أعين النّاسِ، عامِدِي

معاهِد ترعى بينَها كُل رعلةٍ

---

620) المصدر السابق ص 114-115.

621) جوهر الكنز ص 452.

622) المفضليات ص 75 – 76.

غَرابِيب كالهِنْدِ الحوافِي الحوافِـ ـدِ

تُراعِي بذي الغُلان صعلاً كأنّه

بِذِي الطَلْح جانِي عافٍ غير عاضِدِ

وقالتْ ألا تثْوي فتقْضِي لُبانةً

أبا حسنٍ فينا وتأْتِي مواعِـ ـ ـدِي

والبيت الذي صرع فيه وسط القصيدة مقرعاً بابن زرعة[623]:

فيا آلَ ثوبٍ إنّما ذود خالِدِ

كنارِ اللّظى لا خير في ذَودِ خالِدِ

والقصيدة الثانية بدأها مصرعة وقد صحا من حب سلمى وأسِفَ لمشيبه[624]:

صحا القلْب عن سلْمى وملّ العواذِلُ

وما كاد لأياً حب سلْمى يزايـ ـِلُ

فُؤادِي حتى طارغي شَيبِيتِي

وحتّى علا وخْطٌ من الشّيب شامِلُ

وقد اعتمد البيت الأول على الثاني في تمام فائدته، وكمال معناه وهو قوله (يزايل فؤادي) وهذا ما أنكره ابن رشيق[625] عندما قال: (ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا أستحسن كلّ بيتٍ قائماً بنفسِهِ لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده وما سوى ذلك فهو عندي تقصير.) ولكنه استثنى بعد ذلك فقال[626]: (إلا في مواضع معروفة مثل الحكايات وما شاكلها. فإن بناء اللفظ على اللفظ أجود هناك من جهة السرد.) وكرر مزرد ذكر (سلمى) مشبباً بها في الأبيات[627]:

وأَلهو بسلْمى وهي لذ حدِيثُها لطالِبها مسـؤُولُ خيـرٍ فبـاذِلُ

وبيضاء فِيها للمخالِمِ صبوةٌ ولَهو لمن يرنُو إلى اللهو شَاغِلٌ

---

623) ا فضليات ص 79.

624) ا صدر السابق ص 93.

625) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 2 ص 262.

626) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 2 ص 262.

627) ا فضليات ص 94.

ليالِي إذْ تُصبِي الحلِيم بدلها		ومشْيٍ خَزِيل الرجعِ فيه تفاتُلُ
وعينَي مهاةٍ في صوارٍ مرادها		رياض سرتْ فيها الغُيوثُ الهواطِلُ
وأسحم ريان القُرون كأنّه		أساود رمان السباطُ الأطـاولُ
وتخْطُو على برديتين غَذَاهمـا		نمِير الميـاهِ والعيـون الغلاغـلُ

وتبع عمرو بن الأهتم سنن الأقدمين عندما استهلّ قصيدته الرائية بذكر البين، قال في مطلعها(628):

أجِدك لا تُلِم ولا تَزور		وقد بانَتْ بِرهِنِكُم الخُدور
كأن على الجِمال نِعاج قو		كوانِس حسراً عنْها الستُور
وأبكار نواعِم ألحقَتْنِـي		بِهن جلالةٌ أجد عسِيـر
فلما أن تسايرنـا قليـلاً		أَذِن إلى الحدِيثِ فَهن صور

وهذا شبيه بمطلع دالية ربيعة بن مقروم (629):

بانَتْ سعاد فأمسى القلْب معمودا
وأخلفتْك ابنةُ الحر المواعِيـدا
كأنها ظبيةٌ بِكْر أطَاع لها
مِن حوملٍ تَلَعاتُ الجو أو أُودا
قامتْ تُريك غداة البين منْسدِلاً
تخالُه فوقَ متْنَيها العنَاقِيدا
وبارِداً طيباً عذْباً مقَبلُه
مخيفاً نبتُه بالظلْمِ مشْهودا

نلاحظ تَشَابه المطلعين السابقين في الحديث عن فراق المحبوبة، وتشبيهها بالظبية، ووصف محاسِنها إضافة إلى تساوي المطلعين في استواء جزأيهما وحسن تقسيمهما. وقد يهيج البين الشاعر فيذكر المحبوبة ويقف على دارها ويسألها كما فعل عبدا بن عنمة(630):

628) ا صدر السابق ص 409.
629) ا صدر السابق ص 213.
630) ا فضليات ص 379.

أشتّ بليلى هجرها وبعادها
بما قد تؤاتينا وينفَع زادها
سنلهو بليلى والنوى غير غَربةٍ
تَضمنها من رامتين جمادها
ليالي لَيلى إذْ هِي الهم والهوى
يريد الفُؤاد هجرها فيصادها
فلما رأيتُ الدار قَفْراً سألتُها
فَعي علينا نُؤْيها ورمادهـا
فلم يبقَ إلاّ دِمنةٌ ومنازِلٌ
كما رد في خَط الدواةِ مِدادها

أما ربيعة بن مقروم فقد بدأ بوقوفه على دار محبوبته، ووصفَ رسومها، وبكى لتذكارها في مطلع قصيدته الميمية(631):

أمِن آل هنْدٍ عرفْتَ الرسوما	بجمران قَفْراً أَبتْ أن تريما
تَخَـالُ معارِفَها بعـد مـا	أتَتْ سنتَان عليها الوشُوما
وقفْـتُ أُسائِلُـها ناقتـي	وما أنا أم ما سؤالِي الرسوما
وذكرنِـي العهـد أيامهــا	فهاج التذكر قلْباً سقِيمـــَا

وتنوع مطالع النّسيبِ وتعددها يوضح اقتدار الشاعر ويلْمِح لاختلاف غرضه الذي حتّم عليه ابتداء يناسبه ولذا يستهل ربيعة بن مقروم مطلعاً آخر لقصيدته العينية بصرمِ المحبوبة وعزوفها عنه لكبر سِنّه ليمهد للفخر الذي انْساق إليه يقول(632):

ألا صرمتْ مودتك الرواع	وجد البين منها والـوداع
وقالتْ إنه شيـخٌ كبيــر	فَلج بهـا ولم تَرعِ امتِنَاع

(631) المصدر السابق ص 181.
(632) المفضليات ص 186.

بينما يستفهم عبدةُ بن الطبيب متحسراً متوجعاً على تعذر وصل المحبوبة في مطلع لاميته[633]

هلْ حبلُ خَولةُ بعد الهجرِ موصولُ
أَم أنْتَ عنْها بعِيد الدارِ مشْغُولُ

حلّتْ خُويلَةُ في دارٍ مجاورةً
أهلَ المدائن فيها الديك والفِيـلُ

وضمن المطلع شكواه مما يخامر قلبه من تذكرها[634]:

فخامر القلب من ترجيع ذِكْرِتها
رس لطِيفٌ ورهن منك مكْبولُ

رس كرس أخِي الحمى إذا غبرتْ
يوماً تأوبه مِنْها عقَابيـ ـ ـلُ

وللأحبةِ أيام تّذَكرهـ ـ ـ ـا
وللنوى قَبل يومِ البين تأويلُ

وأرى أن مطالع المخضرمين لم تختلفْ عما أَلِفُوه وتعودوا عليه في الجاهلية، فصدرتْ عن فطرةٍ صادقةٍ، وبديهة حاضرةٍ، شكلها واقع حياتهم البسيط. فكان المطلع يقودهم لما يلقي في أنفسهم، من المعاني التي يفهمون وحيها، وينساقون لوصلها، وهذا من أحسن المعاني كما قال ابن طباطبا[635]: (ومن أحسن المعاني والحكايات في الشّعر وأشدها استفزازاً لمن يسمعها الابتداء بذكر ما يعلم السامع له إلى أي معنى يساق القولُ فيه قبل استتمامه، وقبل توسط العبارة عنه)

جاءت مطالع مرثياتِ المخضرمين على نهج الأقدمين دون نسيب قال ابن رشيق[636]: (وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء، وقال ابن الكلبي – وكان علامةً – لا أعلم مرثيةً أولها نسيب إلا قصيدةَ دريد بن الصمة:

---

633) ا صدر السابق ص 135.

634) ا صدر السابق ص 135 – 136.

635) عيار الشعر ص 55.

636) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 2 ص 151.

أرثَ جديد الحبل مِن أُم معبدٍ

بِعاقِبةٍ وَأخْلفتْ كُل موعِـ ـدِ

وعلّل لذاك قائلاً[637]: (لأن الآخِذَ في الرثاءِ يجب أن يكون مشْغُولاً عن التَشبيب بما هو فيه من الحسرةِ والاهتمام بالمصيبةِ.) ولذاك قد تبدأ مراثيهم بذكر الحكمة والعظةِ يقولُ أبو ذؤيب الهذَلي في مطلع عينيته[638]:

أمِن المنُون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتِبٍ من يجزع

وهذا مثل مطلع سعدى بنت الشّمردل الجهنية ترثي أخاها[639]:

أمِن الحوادِثِ والمنُون أُروع

وأبيتُ لَيلي كُلّه لا أَهجـ ـع

وكذلك بدأ متمم بن نويرة مرثيته المشهورة دون نسيب قال[640]:

لِعينِي وما دهرِي بتأبين هالِكٍ

ولا جزعٍ مِما أَصاب فَأوجعا

وقال في الأخري[641]:

أرِقْتُ ونام الأخْلِياء وهاجنِي

مع الليل هم في الفُؤادِ وجِيع

ولكنه أتى بالنّسيب في مفضليته التاسعة التي يشَك في نسبتها لأخيه مالك حيث جاء مطلعها[642]:

صرمتْ زنَبيةُ حبلَ من لا يقْطَع

حبلَ الخلِيل ولْلأمانة تَفْجـع

ولقد حرصتُ على قِلِيل متَاعِها

يوم الرحِيل فدمعها المستَنْفَع

---

637) المصدر السابق جـ 2 ص 152.

638) المفضليات ص 421.

639) الأصمعيات ص 101.

640) المفضليات ص 265.

641) المفضليات ص 271.

642) المصدر السابق ص 48.

وقال ابن رشيق[643] في مثل ذلك: (وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء تركْتُ كذا، أو كبرت عن كذا وشُغِلْتُ عن كذا وهو في ذلك كلّه يتغزلُ ويصفُ أحوالَ النساء) ويحقّقُ ذلك متمم بقوله بعد البيتين السابقين[644]:

جذي حبالكِ يا زنَيب فإنِني
قد أستِبد بوصل من هو أقْطَع

وأغفل بعض المخضرمين في مطالع قصائدهم – في غير الرثاء – مقدمة النسيب، واقتحموا أغراضهم دون تمهيد، وأحسب أن ذلك قد يكون لشدة انفعالهم بأغراضهم التي سيطرت على وجدانهم وأنفسهم قال ابن رشيق[645]: (ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسيب بل يهجم على ما يريده مكافحةً ويتناوله مصافحةً وذلك عندهم هو الوثب والبتر والقطع والكسع والاقتضاب والقصيدة إذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء وهي التي لا يبدأ فيها بحمد ا عز وجلّ على عادتهم في الخطب.) وممن جاءت قصائدهم بلا تمهيد وكافحوا أغراضهم مباشرة الحصين بن الحمام المري في قصيدتَيه الأولى[646]:

جزى ا ُ أفناء العشِيرة كُلها
بِدارِة موضوعٍ عقُوقاً ومأْثمـ ـا
بِني عمنا الأدنَين مِنْهم ورهطَنا
فزارةَ إذْ رامتْ بنا الحرب معظَما

والثانية[647]:

يا أخوينا مِن َأبينا وُأمنا ذَروا موليينا مِن قُضاعةَ يذْهبا

وعبدة بن الطبيب في وصيته[648]:

---

643) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 2 ص 152.
644) ا فضليات ص 49.
645) العمدة اسن الشعر ونقده وآدابه جـ 1 ص 231.
646) ا فضليات ص 64.
647) ا صدر السابق ص 316.
648) ا صدر السابق ص 145.

أبِنِي إنّي قد كَبِرتُ ورابِني   بصري وفي لِمصلحٍ مستَمتَع

وأيضا نلاحظُ أنّها جاءت دون تصريع، وهذا ما يعضد ما ذهبنا إليه من استعظام الشّاعر واهتمامه بما يتحدث عنه، وقد ورد عن الأقدمِين مثله يقول ضمرة بن ضمرة النّهشلي مفتخراً[649]:

ومشْعلةٍ كالطّير نهنَهتُ وردها

إذا ما الجبان يدعِي وهو عائِد

ومثل ما سبق قول عوف بن عطية بن الخَرِع التمِيمي[650]

ولِنعم فَتْيان الصباحِ لقَيتُم   وإذا النساء حواسِر كالعنْقُر

---

[649]) المصدر السابق ص 325.

[650]) المصدر السابق ص 327.

المبحث الثاني: الخروج

عرفه ابن رشيق[651]، وفرق بينه وبين الاستطراد، فقال عن الخروج: (أما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد، وليس به، لأن الخروج إنّما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ثم تتمادى فيما خرجت إليه.) وقال[652] عن الاستطراد: (الاستطراد أن يبني الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النّوع يقطع عليها الكلام وهى مراده دون جميع ما تقدم، ويعود إلى كلامه الأول، وكأنّما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية، وجلّ ما يأتي تشبيهاً.) وذكر أنّه قد يعرف بالتخلّص أو التوسل فقال[653]: (ومن الناس من يسمي الخروج تخلصاً وتوسلا.) وذلك مثل الخطيب القزويني[654] في قوله: (التخلص ونعني به الانتقال مما شبب الكلام به من تشبيبٍ أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمةِ بينهما، لأن السامع يكون مترَقّباً للانتقال من التّشبيب إلى المقصود كيف يكون.) وزاد ابن حجة الحموي[655] على ذلك فأطلقَ عليه (حسن التخلّص) عندما عرفَه قائلاً: (هو أن يستطرد الشّاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر يتعلّق بممدوحه بتخلصٍ سهلٍ يختِلسه اختلاساً رشيقاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلاّ وقد وقع في الثّاني لشدةِ الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتّى كأنّهما أفرغا في قالبٍ واحدٍ.) ورأى أنه هو الانتقال من موضوع لآخر بغْية التوصل للغرض ولذلك قال[656]: (ولا يشترط أن يتعين المتخلّص منْه، بل يجري ذلك في أي معنى كان فإن الشاعر قد يتخلص من نسيبٍ أو غزل، أو فخر، أو وصف روض أو وصف طلل بالي أو ربع خالي أو معنى من المعاني يؤدي إلى مدحٍ، أو هجوٍ، أو وصف في حربٍ أو غير ذلك.) ولكنه ربط ذلك بالغزل

---

651) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 1 ص 234.
652) ا صدر السابق جـ 1 ص 236.
653) ا صدر السابق جـ 1 ص 236.
654) الإيضاح علوم البلاغة ص 232.
655) خزانة الادب وغاية الأرب جـ 1 ص 329.
656) ا صدر السابق جـ 1 ص 329.

فقال[657] بعد ذلك: (ولكن الأحسن أن يتخلّص الشاعر من الغزل إلى المدح.) وكان النقاد يرون في إحكامِهِ قدرة الشاعر وبراعته قال ابن رشيق[658]: (التخلّص عند النقاد يدل على حذْق الشاعر وقوة تصرفه وقدرته وطول باعه.) وأضاف أيضاً[659]: (ولطافة الخروج إلى الممدوح سبب ارتياح الممدوح.) ويعد من عمل المولدين الذين أكثروا منه، وبرعوا فيه يقول ابن حجة الحموي[660]: (وهذا النوع أعني حسن التخلّص اعتنى به المتأخرون دون العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين.) ولم يخلُ منه شعر الأقدمين الذين لم يتكلّفوا في صنْعتِهِ ولذا استدرك بعد ذلك وقال[661]: (ولكنّه لم يفُتْهم، فإنّهم أوردوا لزهير في هذا الباب قوله:

إن البخيلَ ملُوم حيثُ كان ولـ   ـكن الكريم على عِلاتِهِ هرم)

وعلّق على براعة تخلّصه قائلاً[662]: (انظر إلى هذا العربي القديم، كيف أحسن التخلّص من غير اعتناءٍ، في بيتٍ واحدٍ، وهذا هو الغاية القُصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به.) وفرق ابن رشيق[663] بين طريقة القدماء والمحدثين في الخروج فقال بعد العنوان (طريقة العرب في الخروج): (كانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج إلى المدح بل يقولون عند فراغهم من نعت الإبل وذكر القفار وماهم بسبيلِهِ : (دع ذا) و (عد عن ذا) ويأخذون فيما يريدون أو يأتون بأن المشددة ابتداء للكلام الذي يقصدونه. وربما كثرت عند القدماء سرعة الانتقال من المقدمة إلى الغرض، وعرف ذلك بالاقتضاب يقول الخطيب القزويني[664]: (وقد ينتقل من الفن الذي شبب الكلام به إلى ما لا يلائمه، ويسمى ذلك الاقتضاب)

---

[657]) خزانة الادب وغاية الأرب جـ 1 ص 329.

[658]) العمدة   اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 2 ص 222.

[659]) ا صدر السابق جـ 1 ص 217.

[660]) خزانة الأدب وغاية الأرب جـ1 ص 329.

[661]) ا صدر السابق جـ 1 ص 329.

[662]) المصدر السابق جـ 1 ص 329.

[663]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده جـ 1 ص 239.

[664]) الإيضاح في علوم البلاغة ص 336.

وعزا ذلك للقدماء فقال[665]: (وهو مذهب العرب الأولى ومن يليهم من المخضرمين.) ولكنه لم يستشهد بشيء من شعرهم وإنّما روى بيتين في ذلك لأبي تمام فقال: (كقول أبي تمام:

لو رأى ا ُ أن في الشيبِ خَيراً
جاورتْه الأبرار في الخُلْدِ شيبا
كُل يومٍ تُبدِي صروفُ الّليالِي
خُلُقاً من أبِي سعيدٍ غَريبـ ـا

وتطرق ابن طباطبا[666] للتخاص فنسب ابتداعه للمحدثين وأشار لطُرقِ الأوائل فيه بقوله: (لأن مذهب الأوائل في ذلك واحد، وهو قولهم عند وصف الفيافي وقطعها بسير النوق، وحكاية ما عانوا في أسفارهم: إنّا تجشّمنا ذلك إلى فلان يعنون الممدوح أو يستأنف الكلام بعد انقضاء التّشبيب ووصف الفيافي والنوق وغيرها فيقطع عما قبلها، ويبدأ بمعنى المديح أو يتوصل للمديح بعد شكوى الزمان، ووصف مِحنِهِ وخطوبِهِ فيستجير منه بالممدوح) وأما المحدثون فقال[667] عنهم: (ومن الأبيات التي تخلّص بها قائلوها إلى المعاني التي أرادوها من مدح أو هجاء أو افتخار أو غير ذلك ولطُفُوا في صلة ما بعدها بها فصارت غير منقطعة عنها، ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم.) وغلب على القدماء ومن تبعهم من المخضرمين ضعف الانتقال وبعد الصلة في خروجهم، يقول ابن حجة الحموي[668] في هذا: (وإذا لم يكن التخلص كذلك سمي اقتضاباً، وهو أن ينتقل الشاعر من معنى إلى معنى آخر من غير تعلّق بينهما كأن استهلّ كلاماً آخر، وعلى هذه الطريقة مشى غالب العرب، وغالب المخضرمين وكثير من شعراء المولدين، وهذا النوع من البديع ما اعتنى به غير حذّاق المتأخرين.)

---

665) الإيضاح في علوم البلاغة ص 336.
666) عيار الشعر ص 149 – 150.
667) ا صدر السابق ص 150.
668) خزانة الادب وغاية الأرب جـ 1 ص 331.

نظرت في قصائد المخضرمين ملتمساً فيها الخروج والتخلّص، فمما وجدته – على قلّته – دون مراعاة الملاءمة أو التعلق، تخلّص ربيعة بن مقروم إلى ممدوحه مسعود بن سالم، فقال بعد أن استهلّ بالنّسيب ووصف ناقته[669]:

لما تشكّتْ إلي الأين قُلْتُ لها لا تَستريحِين ما لم َألْقَ مسعودا

ولذلك قال عبدا الطيب[670] عنه: (ولربيعة بن مقروم الضبى أبيات في المديح جيدة اختارها المفضل، خرج فيها ربيعة من الغزل إلى المديح خروجاً مقتضباً.) وكذلك خروج عبدة بن الطبيب الذى اعتمد فيه على عادة القدماء بقولهم: (وعد عن ذا) قال عبدة[671]:

فعد عنْها ولا تشغلْك عن عملٍ

إن الصبابةَ بعد الشيبِ تَضلِيلُ

بجسرةٍ كعلاةِ القَين دوسرةٍ

فيها على الأين إرقالٌ وتَبغِيـلُ

وجرى مزرد بن ضرار[672] على نهجه فقال متخلصاً للفخر بنفسه:

فدع ذا ولكن ما ترى رأي عصبةٍ

أتتْني منهم منديات عضائـلُ

وأيضاً تخلّص عمرو بن الأهتَم[673] معتمداً الأمر (ذريني) فقال بعد مقدمة النسيب:

ذَرِيني فإن البخْلَ يا ُأم هيثمٍ

ِلصالح أخْلاق الرجال سـ ـروقُ

ذَرِيني وحطي في هواي فَإنّني

على الحسبِ الزاكي الرفيع شَفِيقُ

---

669) المفضليات ص 214.

670) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها جـ 4 ص 75.

671) المفضليات ص 136.

672) المصدر السابق ص 100.

673) المصدر السابق ص 125 – 126.

ولكن سويداً بن أبي كاهل[674] كان أكثر تلطفاً في خروجه حين خرج مفتخراً بقومه:

فتنَاولْن غِشَاشاً منْهـلاً   ثُم وجهن لأرضٍ تُنْتجع

مِن بِني بكْرٍ بها مملَكـةٌ   منْظر فيهم وفيهم مستَمـع

ولاحظت كثرة اعتماد المخضرمين في خروجهم على (واو رب) وذلك مثل عمرو بن الأهتم[675] عندما انتقل للفخر بنفسه:

فَإن قصدو لمر الحق فاقْصِد   وإن جاروا فَجر حتّى يصِيروا

وقومٍ ينْظُرون إلي شَـذراً   عيونُهم من البغْضـاءِ عـور

ولكنه قطع عندما انتقل لوصيته لابنه فقال[676] بعد تغزلهِ:

فلما أن تَسايرنـا قَليـلاً   أذِن إلى الحدِيث فهن صور

لقد َأوصيتُ ربعي بن عمرٍو   إذا حزبتْ عشِيرتك الأُمور

وقد يكْثِر الشاعر من استخدام (واو رب) لعدد ما يتناول من موضوعات وذلك مثل عبدة بن الطبيب، انتقل لوصف مورد ماء فقال[677] أبياتاً أولها:

ومنْهلٍ آجنٍ في جمهِ بعر

مما تسوقُ إليه الريح مجلُولُ

ثم وصف مرعى بعيداً بدأه[678] بقوله:

وعازبٍ جاده الوسمِي في صفرٍ

تسري الذهاب عليه فهو موبولُ

ومثله ربيعة بن مقروم[679] قال عندما شرع في وصف الكتيبة:

وملْمومٍ جوانبها رداحٍ   تُزجى بالرماح لها شُعاع

وبعد انتقاله قال مفْتخراً بوروده مورداً بعيداً[680]:

---

[674]) المفضليات ص 194.

[675]) المصدر السابق ص 411.

[676]) المصدر السابق ص 409.

[677]) المصدر السابق ص 141.

[678]) المصدر السابق ص 142.

[679]) المصدر السابق ص 186.

وماءٍ آجن الجمات قفْـرٍ تَعقم في جوانبِهِ السبـاع
وردت وقد تغورتِ الثريا وتحت وليتي وهم وساع

ولما كان عماد الخروج مبنياً على التعلق وحسن الالتئام بين ما يخرج منه الشاعر وما يتوصل إليه، كان خروج المخضرمين يعد اقتضاباً عند المحدثين أو طفْراً و قطعاً لا سيما إذا لم يفصل بـ (دع ذا) و (عد عن ذا) يقول ابن رشيق[681]: (فإذا لم يكُن خروج الشّاعر إلى المدح متصلاً بما قبله، ولا منفصلاً بقوله (دع ذا)، (عد عن ذا) ونحو ذلك سمي طفْراً أو انْقِطَاعاً.) ومن ذلك قول ربيعة بن مقروم[682] عندما طفر من النسيب لوصف ناقته فقال:

ففاضتْ دموعِي فنهنهتُها على لِحيتي وردائِي سجوما
فعديـتُ أدمـاء عيرانـةً عذَافِرةً لا تَمل الرسِيمـا

وقطع من ذلك للفخر بنفسه قائلاً[683]:

وإن تسئِليني فإني امـرؤٌ أُهين اللّئيم وأحبو الكريما

وكذلك فعل عبدا بن عنمة[684] فقال بعد مقدمة النّسيب ممتدحاً الحارث الحراب:

فلم يبقَ إلاّ دمنةٌ ومنازِلٌ
كما رد في خَط الدواة مِدادها
إذا الحارثُ الحراب عادى قبيلةً
نكَاها ولم تبعد عليهِ بـلادها

والاقتضاب – وإن عده النقاد طريقة المخضرمين في الخروج – فهو يعبر عن بيئتهم وموجوداتها المألوفة لديهم لأن السامع يكون متوقعاً ما سيؤول إليه الشاعر في ثنايا رحلة قصيدته وهذا ما قال به الخطيب القزويني[685]: (لأن

---

[680]) ا فضليات ص 187.
[681]) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 1 ص 239.
[682]) ا فضليات ص 181.
[683]) ا صدر السابق ص 183.
[684]) المصدر السابق ص 379.
[685]) الإيضاح علوم البلاغة ص 334.

السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب إلى المقصود كيف يكون، فإذا كان حسناً متلائم الطرفين، حرك من نشاط السامع، وأعان على اصغائه إلى ما بعده) والملاءمة قد ترتبط بعلل خفية مردها بيئةُ الشاعر وواقعه المشهود، ولذلك أحسب أن ما يراه المحدثون عدم تجانس أو ملاءمة فقد لا يراه المخضرم كذلك.

المبحث الثالث: الخواتيم أو المقاطع

يقْصد بها ما خَتَم به الشّاعر قصِيدتَه، أو ما انتهتْ به القصيدة ولذلك عرفَه ابن رشيق[686] بعد أن أطلق عليه (الانتهاء) فقال: (وأما الانتهاء فهو قاعِدةُ القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً لا تمكِن الزيادةُ عليه، ولا يأتي بعده أحسن مِنْه؛ وإذَا كان أولُ الشعر مِفْتاحاً له وجب أن يكون الآخر قُفْلاً عليه.) وأشار الخطيب القزويني[687] لِفضلِه، وأوجب ضرورة الاهتمام به في قوله: (ينْبغِي للمتكلم أن يتأنّق في ثلاثة مواضع من كلامِهِ حتّى تكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً، وأصح معنى) فذكر أن الاول (الابتداء). والثاني (التّخلّص) والثالث (الانتهاء) وقال عنه: (لأنّه آخر ما يعيه السمع ويرتسِم في النفْس، فإن كان مختاراً كما وصفنا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصِير، وإن كان غير مختار بخلاف ذلك ربما أنْسى محاسن ما قبله.) وأكد ابن حجة الحموى[688] ضرورةَ الإحسان فيه فقال: (وهذا النّوع يجب على النّاظم والنّاثر أن يجعلاه خاتِمةً لكلا مهما، مع أنّهما لابد أن يحسنا فيه غاية الإحسان) وعلّل لذلك بقوله[689]: (فإنّه آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفِظَ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال.) ونَوه قبل ذلك إلى أن هناك من سماه المقطع قال[690]: (فإن التيفاشي سماه (حسن المقطع) وقال أيضاً[691]: (وسماه بن أبي الأصبع حسن الخاتِمة).

وجدتُ قصائد المخضرمين مختلفةً في مقاطعها وانتهاءاتها فَمِمن ختم بالحكمة، وذكر الموتُ متأسياً به متمم بن نويرة[692] في مرثيتِهِ لأخيه وهي المفضلية التّاسعة يقول في ختامها:

فعددتُ آبائِي إلى عِرقِ الثّرى

---

[686]) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 1 ص 239.

[687]) الإيضاح علوم البلاغةِ ص 337.

[688]) خزانة الادب وغاية الأرب جـ 2 ص 493.

[689]) ا صدر السابق جـ 2 ص 493.

[690]) ا صدر السابق جـ 2 ص 493.

[691]) ا صدر السابق جـ 2 ص 493.

[692]) ا فضليات ص 54.

فدعوتُهم فَعِلمتُ أن لَم يسمعـوا

ذَهبوا فلم أُدرِكْهم ودعتْهم

غُولٌ أتَوها والطريقُ المهيــع

لابد مِن تَلَفٍ مصِيبٍ فانْتَظِر

أبأرضِ قَومِك أم بأُخْرى تُصرع

وليأْتِين عليك يوم مرةً

يبكى عليك مقَنّعاً لا تَسمـــع

وقد خُتِم بالحكمة وذكر الموت في غير غرض الرثاء ومثال ذلك قول أبي النّشناشِ النّهشلي[693] في نهاية قصيدته بعدما افتخر بنفسه:

ولو كان شيء ناجياً من مِنيةٍ لكان أُثَير يوم جاءتْ كتائِبه

وكذلك المخبلُ السعدي[694] الذي استغرق في غزله بمحبوبته ثُم وصف ناقته وطريقها، وأنْهى قصيدته بعد أن نوه بكرمِهِ وقال في خِتامها:

ولَئِن بنيتِ لي المشقر في هضبٍ تُقصر دونَه العصم

لَتُنقبـن عنـي المنيــةُ إِن ا َ ليس كحكْمـِهِ حكْـم

ولكنه زاد بأن جعل التقوى خلاصة ما آل إليه، فدلّ على تأثر واضح بالإسلام فقال بعد البيتين السابقين[695]:

إني وجدتُ الأمر أرشَده تَقْوى الإلهِ وشّره الإثْم

واتضح ذلك عند عبدة بن الطبيب[696] في نهاية وصيته لابنه:

حتى إذا واقَى الحِمام لوقْتِهِ

ولكُل جنْبٍ لا محالةَ مصرع

نَبذُوا إليهِ بالسلامِ فلم يجِب

أَحداً وصم عن الدعاءِ الأسمع

---

693) الأصمعيات ص 119.

694) ا فضليات ص 118.

695) ا صدر السابق ص 118.

696) ا صدر السابق ص 148-149.

خَتَم أبوذؤيب[697] مرثيته بذكر الموت ولكنه أشار إليه في صورة البطل الكامل السلاح وموقفه إزاء بطلٍ آخر يصطرعان، فإذا به قد خر صريعاً قتيلاً يقول:

وكِلاهما متَوشح ذا رونَقٍ

عضباً إذا مس الضريبةَ يقْطَع

فتَخالسا نفْسيهما بنَوافِذٍ

كنوافِذِ العبط التي لا تُرقـ ـَع

وكلاهما قد عاشَ عِيشةَ ماجِدٍ

وجنى العلاء لو أن شيئاً ينْفَع

وقد انتهتْ بعض قصائدِ المخضرمين بالدعاء مع اختلاف أغراضها فمثلاً: متمم بن نويرة[698] ختم بالدعاء على أعداء أخيه (مالك) الشّامتين عليه قائلاً:

فلا يهنيءِ الواشين مقتَلُ مالكٍ

فقد آب شَانِيهِ إياباً فَودعا

وأرى أن هذا ختام ترضاه النّفس في هذا المقام رغم إنّني وجدتُ ابن رشيق[699] ينهى عن ذلك بقوله: (وقد كره الحذّاقُ من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء، لأنّه من عمل أهل الضعف) ولكنّه استثنى فقال[700]: (إلاّ للملوك فإنهم يشتهون ذلك.) وأحسب أن ربيعة بن مقروم[701] جرى على ذلك عندما قال مخاطباً ممدوحه مسعود بن سالم:

هذا ثَنائِي بِما أوليتَ مِن حسنٍ

لا زِلْتَ عوض قَرِير العين محسودا

---

697) ا فضليات ص 429.

698) ا صدر السابق ص 270.

699) العمدة   اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 1 ص 241.

700) ا صدر السابق جـ 1 ص 241.

701) ا فضليات ص 214.

دعا له بأن يظلّ محسوداً ويريد أنّه صاحب فضل، وقد افتخر بعض العرب بأنهم محسودون يقول الأحوص بن محمد[702] - وليس بختام:

ِإني على ما قد علمتِ محسد

َأنمي على البغْضاءِ والشنآن

ما تعتريني مِن خُطُوبِ مِلمةٍ

إلاّ تُشرّفُني وتُعظِم شانـ ـي

أما الخطيب القزويني[703] فقد استحسن ختام القصيدة بالدعاء في قوله: (فمن الانتهاءات المرضيةِ قول أبي نواس:

فبقيتَ للعلمِ الذي تُهدى له

وتقاعستْ عن يومِك الأيام

ولاحظت أن معظم خواتيم قصائد المخضرمين جاءت فخراً سواء بالنّفْس مثل : سويد بن أبي كاهلٍ[704]:

هلْ سويد غير ليثٍ خادِرٍ   ثَئِدتْ أرض عليه فانْتَجع

أو الحصين بن الحمام المري[705]:

ولكن خُذُوني أي يومٍ قدرتُم

علي فحزوا الرأس َأن أتكلّما

بآيةِ أني قد فجعتُ بفارسٍ

إذا عرد الأقوام أقْدم معلِمـ ـا

ونلحظ أن هذا الختام ليس قفلا لما سبق فكأن القاريء ينتظر منه بعد ذلك. ومن الشعراء من ختم يفخر بقومه مثل عمرو بن الأهتم[706] الذي يزهو بما كان لأبيه من أثر صالحٍ في إجارة بني تميم يوم أرادتْ سعد والرباب قتال بني حنظلة وعمرو بن تميم:

---

[702]) شرح ديوان ا ماسة جـ 1 ص 222، دار ا يل – بـ وت – لبنان ط1 1411هـ – 1991م.

[703]) الإيضاح علوم البلاغة ص 337.

[704]) ا فضليات 202.

[705]) ا صدر السابق ص 318.

[706]) ا فضليات ص 412.

ولكني إلى تَركاتِ قـومٍ هم الرؤساء والنبلُ البحور
سمي والأشَـد فشرَفانـي وعلّى الأهتم الموفي المجير
تَميم يوم همتْ أن تفَانَـي ودانَى بين جمعيها المسِير
بواد من ضربةَ كان فيه له يوم كواكبـه تَسِيـر
فأصلح بينها في الحرب مما ألم بها أخُو ثِقَـةٍ جسـور

وكذلك فعل ربيعة بن مقروم الضبي[707] الذي فخر بشجاعة قومه يوم جراد:

ويوم جرادٍ استلْحمتْ أسلاتُنا
يزيد ولم يمرر لنا قرن أعضبا
وقاظَ ابن حِصنٍ عانِياً في بيوتنا
يعالج قِداً في ذِراعيه مصحبـا
وفارس مردودٍ أشاطَتْ رماحنا
واجزرن مسعوداً ضباعاً وأذؤبا

وزاد عمرو بن الأهتم[708] في مفضليته الثالثة والعشرين فافتخر بنفسه وأهله قائلاً:

نَمتْني عروقٌ من زرارةَ للعلى
ومن فَدكي والأشَد عروقُ
مكارم يجعلْن الفَتى في أرومةٍ
يفاعٍ وبعض الوالِدين دقِيقُ

ومثله قال ربيعة بن مقروم[709] عن شجاعته وقومه:

جعلنا السيوفَ بهِ والرماح معاقِلَنا والحديد النّظِيما
وجرداً يقربن دون العيال خلالَ البيوتِ يلُكْن الشّكيما

---

[707]) المصدر السابق ص 378.
[708]) المصدر السابق ص 127.
[709]) المفضليات ص 185.

تعود في الحرب أن لا براح إذا كُلمتْ لاتشْتِكي الكُلوما

وأنهى الحصين بن الحمام[710] مفضليته البائية بالهزءِ والسخرية من بني محارب فقال:

ولا عَرو إلا حين جاءتْ محارب

إلينا بألْفٍ حاردٍ قَد تكَتّبـ ـا

موالي موالينا ليسبوا نِساءنا

أثعاب قد جئتُم بنكراء ثعلَبـا

وقُلْتُ لهم: يا آلَ ذبيان مالكم

تفاقدتُم لَم تذهبوا العام مذْهبا

تداعى إلى شَرِ الفَعال سراتُها

فأصبح موضوع بذاك ملْتبا

ولذاك هجاه الخصفي[711] في خاتمة قصيدته التي رد عليه بها فقال:

يغَني حصين بالحجاز بناتِهِ

وأعيا عليه الفخر إلا تهكما

وإنّا لَنشْفي صورة التّيس مِثْله

ونَضربه حتّى نَبل استَه دما

ولم يختم بالهجاء من المخضرمين غير مزرد بن ضرار[712] حيث أقذع في هجاء زرعة بن ثوب فقال:

فأيه بكنْدِيرٍ حمارٍ بن واقع

رآك بإيرٍ فاشتَأى مِن عتائِدِ

أطاع له لس الغَميرِ بتلْعةٍ

حِماراً يراعِي أُمه غير سافِدِ

---

[710]) ا صدر السابق ص 318.

[711]) ا صدر السابق ص 321.

[712]) ا صدر السابق ص 81.

ولكنّه من أُمكم وأبيكُم

كجارِ زميتٍ أو كعائذٍ زائدِ

وأما عبدا بن عنمة(713) فقد ختم قصيدتَيه بالوعيد والانذار فقال في الأولى يتوعد بني عبيد وبني سعد، وهم رهط قيس بن عاصم المنْقري الذي حفز الحوفزان يوم جدود فقال مشيراً لهزء العجوز الباهلية:

وإنّي على ما خَيلتْ لأظنها

سيأتِي عبيداً بدؤُها وعِيادهـ ـا

سيأتِي عبيداً راكب فيقُوده

فيهبطُ أرضاً ليس يرعى عرادها

فلولا وجاها والنهاب التي حوتْ

لكان على أبناء سعدٍ معادهـ ـا

ويقول منْذِراً بني ذُهلٍ(714):

إن يدع زيد بني ذُهلٍ لمِغْضبةٍ

نغْضب لزرعةَ إن القبص محسوب

ومن عجيب الأمر أن يختم عبدة بن الطبيب(715) لاميته بوصف الخمر وساقيها والتصاوير والفِراش والسماع مع صلته بوقعة القادسية يقول في انتهائها:

ثُم اصطبحتُ كُميتاً قَرقَفاً أُنُفاً

مِن طيبِ الراحِ، واللّذاتُ تَعليـ ـلُ

صِرفاً مِزاجاً، وأحياناً يعللُنا

شِعر كمذْهبةِ السمان محمـ ـولُ

تُذْري حواشِيه جيداء آنِسةٍ

---

713) المفضليات ص 381 – 382.

714) المصدر السابق ص 383.

715) المصدر السابق ص 144.

في صوتها لِسماعِ الشرب ترتيلُ

تغدو علينا تُلْهينا ونُصفِدها

تُلْقَى البرود عليها والسرابيـ ـلُ

بينما قص مزرد بن ضرار[716] في مخْتَتم لاميته حكاية عن صائدٍ فقد كلْبيهِ فساءت حالُه، وحاولَ النّوم فاستعصى عليه، وإذا تأملنا ما قبل ذلك من موضوعات مثل فخره بشجاعته، ووصف سلاحه، وإعظامه لشعره نلحظُ فرقاً واضحاً حيث لا صلة بين ذلك وما ختم به يقول:

فلما تَناهتْ نفسه مِن طَعامِهِ

وأمسى طَلِيحاً ما يعانِيهِ باطِلُ

تَغشّى يريد النوم فَضل رِدائِه

فأعيا على العين الرقاد البلابِلُ

وأحسب أنّه في مثل ذلك يقول ابن رشيق[717]: (ومن العرب من يختم القصيدةَ فيقطعها والنفس بها متعلّقةٌ، وفيها راغبةٌ مشْتَهيةٌ، ويبقى الكلام مبتُوراً كأنّه لم يتعمد جعله خاتمةً.) ولكنه أرجع ذلك لعدم تكلفهم فقال[718]: (كُلّ ذلك رغْبةً في أخْذِ العفْوِ وإسقاط الكلفة ألا ترى معلقة امريء القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر:

كأن السباع فيهِ غَرقَى غُديةً

بأرجائِهِ القُصوى أَنابِيشُ عنْصلِ)

وعلّق عليه فقال[719]: (فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات وهي أفضلُها.) وكذلك قطع ربيعة بن مقروم[720] في عينيته فوصف صائداً فقال بعد أن افتخر بنفسه وقومه:

فصبح مِن بني جِلان صِلا عطِيفَتُه وأسهمُـه المتـاع

---

716) ا فضليات ص 102.

717) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 1 ص 240.

718) ا صدر السابق جـ 1 ص 240.

719) العمدة اسن الشعر وآدابه ونقده جـ 1 ص 240.

720) ا فضليات ص 189.

إذا لم يجتزر لِبنيهِ لحماً غَريضاً مِن هوادِي الوحشِ جاعوا

فأرسلَ مرهفَ الغِرين حشْراً فَخَيبه مِـن الوتَـرِ انْقِطَـاع

فلهفَ أُمه وانْصاع يهوي له رهـجٌ مِن التّقريب شَـاع

وأرى أنهم يقطعون منتهى قصائدهم لما درجوا عليه من إلْف العادة في بعض الموضوعات التي يعيها السامع لكثرة ترددها واتفاق إشاراتها لما يلْمحون إليه من المعاني ومثل ذلك قول عامر بن الطفيل[721] في نهاية قصيدة افتخر في معظم أبياتها:

فجاءوا بفُرسان العريضةِ كُلّها

وأكلُب طُراً في لِباسِ السنَور

---

(721) المصدر السابق ص 362.

الفصل الخامس

الوصف عند المخضرمين

المبحث الأول: وصف الحيوان

صور الشعر العربي الحياة بكل معالمها، وتمثّلتْ فيه حيةً لا سيما صورة الحيوان الذي أُلِفَ ووصِفَ وصفاً ينُم عن عميق المحبة وأصيل المعرفة، واقتصرتُ في قصائد المخضرمين على ما أكثروا من ذكره وعرفُوا به.

أولاً: وصفُ الإبل:

قال عنها النويري[722] (الإبل جمع لا واحد لها من لفظها. والذكر منها جمل والأنثى ناقة والبعير يقع عليهما ودليل ذلك قول بعض الشعراء:

لا نَشْتهي لبن البعِير وعِنْدنا

عرقُ الزجاجةِ واكفُ المعصار

وقد أَلِفَ العرب الإبلَ فهي مركبهم في السفر، وعدتهم في الرحيل، وعونهم على العيش، وأجمل تعداد محاسنها فقال[723]: (وقال بعض من عظم شأن الإبل: إن الله تعالى لم يخلق نعماً خيراً من الإبل، إن حملتْ أثقلتْ، وإن سارتْ أبعدتْ، وإن حلبت أروتْ، وإن نُحِرتْ أشبعتْ).

شمل ذكرها ووصفها كل قصائد المخضرمين مع اتفاق معظمهم في أوصافها، واختلاف بعضهم في مناسبة ذكرها وما يرتبط به من معنى. فعبدة بن الطبيب[724] يصفها بالقوة والصلابة وشدة التحمل، وينعت ظهرها وذنبها ونشاطها يقول:

بجسرةٍ كعلاةِ القين دوسرةٍ

فيها على الأين إرقالٌ وتبغيلُ

عنْسٍ تُشير بقنْوانٍ إذا زجرتْ

---

722) نهاية الارب في فنون الأدب جـ 10 ص 103 مطبعة وزارة الثقافة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر د. ت. ط.

723) المصدر السابق جـ 10 ص 115.

724) المفضليات ص 136.

مِن خَصبةٍ بقيتْ فيها شماِليلُ

قَرواء مقْذُوفَةٍ بالنّحضِ يشْعفُها

فرطُ المِراح إذا كل المراسِيل

ووصف بعد ذلك إبلاً تتقدمها ناقةٌ نشيطةٌ – وكأنَه بذلك يشير لتحركهم لقتال الفُرس في القادسية – قال عنها(725):

تَهدِي الركاب سلُوفٌ غَير غَافِلةٍ

إذَا توقّدتِ الحزان والمِيـ ـلُ

والملاحظ أن عجز البيت بلفظه هو عجز البيت السابع عشر في لامية كعب بن زهير(726) -وكلاهما مخضرم - يقول فيه:

ترمي الغُيوب بعينّي مفْردٍ لَهق

إذا توقدت الحزان والمِيـ ـل

ويقول عبدة بعد ذلك(727).

رعشاء تنهض بالذفْرى مواكِبةٌ

في مِرفقيها عن الدفين تَفْتِيـ ـ ـلُ

عيهمةٌ ينْتحي في الأرض منْسِمها

كما انتحى في أدِيمِ الصرفِ إزمِيلُ

تَحدِي بهِ قُدماً طَوراً وتُرجِعـ ـه

فحده من ولافِ القَبضِ مفْلُـ ـولُ

ترى الحصى مشْفتراً عن منَاسِمِها

كما تُجلْجِلُ بالوغْل الغَرابِيـ ـ ـلُ

وهذه الصورة معهودةٌ لدى الأقدمين، حيث يصفونها وهي تضرب بقوائمها مغذّة في السير لا تبالي بألم الوجى، وكلال السير ومثلُه قول الشريف البياضي(728):

---

725) المفضليات ص 137.

726) جمهرة أشعار العرب ص 634.

727) المفضليات ص 137.

نـوق تراها كالسفيـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـن إذا رأيتَ الآلَ بحرا

كتب الوجى بدمائهـ ـا في معرقِ البيداءِ سطْرا

لا تشتكين مِن اللغـ ـو ب إذاً ولا يعرفْن زجرا

وكأن أرجلُهن تطْـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـب عنْد أيديهن وتْرا

وأحسب أن ذكر الإبل عند عبده بن الطبيب مرتبطٌ بالمسيرِ للحرب وذلك لحديثه عن الخيل بعد الأبيات السابقة[729]، ومنه البيت المشهور:

ثُمت قمنا إلى جردٍ مسومةٍ

أعرافُهن لأيدينا منَادِيـ ـ ـلُ

وقال بعده مباشرةً عن الإبل المحملةِ بالزاد[730]:

ثُم ارتحلْنا على عيسٍ مخدمةٍ

يزجِي رواكِعها مرن وتنعيلُ

يدلحن بالماءِ في وفْرٍ مخَربةٍ

منها حقائب ركْبانٍ ومعدولُ

وألمح لغاية السير أي الجهاد فقال[731]:

نرجو فَواضِلَ رب سيبه حسن

وكل خَيرٍ لديه فهو مقْبول

والعرب كانت لا تستَغْني عن الإبل حتّى في الحروب قال الألوسي[732]: (وكانوا يقودون خيولهم ليريحوها ويركبون إبلهم فإذا قربوا من عدوهم وأغاروا نزلوا عن إبلهم إلى خيلهم مخافة أن يتبعوا فيدركوا قال شاعرهم:

النازلين بكل معتَركٍ والطّيبين معاقِد الأزرِ)

وضمن ربيعةُ بن مقرومٍ ذكرها في قصائده الأربعة واصفاً لها حيناً أو متّخِذاً من الوصف فخراً، فمن وصفِه لها[733]:

---

728) نهاية الأرب جـ 10 ص 117.

729) المفضليات ص 141.

730) المصدر السابق ص 142.

731) المصدر السابق ص 142.

732) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب جـ 2 ص 75، دار الشرق العربي بيروت لبنان د.ت.ط.

فعديت أدماء عيرانةً عذافرةً لا تَمل الرسيمـا

كِنَاز البضِيع جمالِيةً إذا ما بغمن تراها كتُوما

وذكر الناقة هنا متعلقُ بأهميتها في الرحيل قال النّويري[734]: (وفي طبع الجمل الاهتداء بالنّجم ومعرفة الطُرق والغيرة والصولةُ والصبر على الحمل الثقيل والعطش) ولذا نجده في قصيدته العينية يقول[735]:

وردتُ وقد تغورت الثريا

وتحتَ وِليتي وهم وسـاع

جلالٌ مائر الضبعين يخْدِي

على يسرات ملْزوزٍ سراع

له برةٌ إذا ما لَج عاجتْ

أخادِعه فلان لها النّخَـاع

فهو يفتخر بوروِده ماء معظِماً ناقته التي بلّغتْه وهذا شبيه بقول عبدة بن الطبيب[736] بعد أن استطرد في نعت ناقته:

ومنهلٍ آجنٍ في جمهِ بعر

مما تسوقُ إليه الريح مجلُولُ

كأنه في دلاءِ القوم إذْ نَهزوا

حم على ودكٍ في القِدر مجمولُ

أوردتُه القَوم قد ران النعاس بِهم

فقلت إذ نَهلُوا مِن جمهِ : قِيلُوا

وكذلك قول علقمه بن عبدة[737]:

وناجِيةٍ أفْنَى ركيب ضلُوعِها

وحاركها تهجر فَـ ـدؤُوب

---

[733]) المفضليات ص 181.

[734]) نهاية الأرب في فنون الأدب جـ 10 ص 111.

[735]) المفضليات ص 187 – 188.

[736]) المصدر السابق ص 141.

[737]) المفضليات ص 393.

فأوردتُها ماء كأن جمامه

مِن الأجن حِناء معاً وصبيب

ولكن ربيعةَ بن مقرومٍ تبع طريقة العرب في حديثهم عن إنضاءِ الدابةِ لبلوغ الممدوح عندما امتدح مسعود بن سالم فقال عنها[738]:

وجسرةٍ حرجٍ تدمى مناسِمها

أعملْتُها بِي حتّى تقْطع البِيـدا

كلّفْتُها فرأت حقّاً تكلفَه

وديقةً كأجيجِ النّار صيخُـودا

في مهمةٍ قُذُفٍ يخْشَى الهلاك بهِ

أصداؤُه ما تَنِي بالليل تَغْرِيـدا

لما تشكّتْ إلي الأين قُلْتُ لها

لا تستريحين ما لم أَلْقَ مسعودا

وعندما افتخر بكرمه في قصيدته البائية كانتِ الإبل السمان التي تُنْحر للأضياف هي مدعاةُ الفخر[739]:

وأضياف ليلٍ في شَمالٍ عريةٍ

قريتُ من الكُوم السدِيفَ المرعبا

ونحو ذلك عند عمرو بن الأهتم[740] بعد استقباله لطارق الليل:

وقمتُ إلى البركِ الهواجِدِ فاتّقتْ

مقاحِيد كُوم كالمجادِل روقُ

بأدماء مِرباعِ النتاج كأنّها

إذا عرضتْ دون العشار فنيقُ

---

738) المصدر السابق ص 213 – 214.

739) المصدر السابق ص 376.

740) المفضليات ص 126.

فعظّم إبله وأحسن وصفها لأجل افتخاره بالكرم الأصيل. وكذاك ناقة متمم[741] مشْرِفةٌ كالقصر افتخر بارتحاله عليها:

بمجدِةٍ عنْسٍ كأن سراتها
فدن تطيف به النّبيط مرقّع
قاظَتْ أُثالَ إلى الملا وتربعتْ
بالحزن عازِبةً تُسن وتُودع
حتّى إذا لَقِحتْ وعولِي فوقها
قَرِد يهم به الغَراب الموقِع
قربتها للرحل لما اعتادني
سفَر أُهِم به وأمر مجمـع

وأما الإبل التى تربى ويعتَنى بها مالاً لصاحبها فتبدو لنا في قصيدة مزرد بن ضرار الدالية[742]:

وعالا وعاما حين باعا بأعنُزٍ
وكلْبين لعبانِيةً كالجلامِـ ـ ـدِ
هجاناً وحمراً معطِراتٍ كأنها
حصى مغْرِةٍ ألوانُها كالمجاسِدِ
تُدقِقُ أوراك لهن عِرضنَةٌ
على ماءِ يموُدٍ عصا كُل ذَائِدِ

ويستطرد المخبلُ السعدِي[743] في وصف ناقته مجتازاً بها طريقاً معبداً، فمن أوصافها الحسية صلابة مناسمها:

تذر الحصى فلَقاً إذا عصفَتْ
وجرى بحد سرابِها الأكْم

ومن بديع وصفها المعنوي قوله[744]:

---

741) المصدر السابق ص 49.

742) المصدر السابق ص 76 ، 77.

743) المفضليات ص 116.

744) المصدر السابق ص 117.

وإذا رفعتَ السوط أفزعها

تحتَ الضلُوع مروع شهم

والشاعر يرى أثر السفر على ناقتِه فيصوره كما يحس ذلك في نفسه، وهذا يرينا علاقة الشاعر بدابته في مثل قول المخبل[745]:

بلّيتُها حتى أؤَديها رم العِظَام ويذهب اللّحم

فهو لا يستغني عنْها حتى تَضنَى وتَهزل يقول الحادرة[746]:

أودى السفار بِرمها فتَخَالها

هِيماً مقطّعةً حِبالَ الأذْرعِ

ويخبر عنها علقمة بن عبدة[747]:

وعيسٍ برِيناها كأن عيونَها

قوارير في أدهانِهن نُضوب

وقال دوسر بن ذُهيل القُريعي[748]:

وحنّت قُلوصي من عدان إلى نجد

ولم ينْسِها أوطانَها قدم العهدِ

وقد ورد ذكرها لما تُعرفُ به من شِدة الحنين والوجد، وأشار لذاك متمم بن نويرة مشبهاً وجده بوجدها قائلاً[749]:

وما وجد أظْآرٍ ثلاثٍ روائِمٍ

أصبن مجراً من حوارٍ ومصرعا

يذَكّرن ذا البث الحزين ببثهِ

إذا حنّت الأولى سجعن لها معـا

إذا شارفٌ مِنْهن قامتْ فرجعتْ

حنيناً فأبكى شجوها البرك أجمعا

---

745) المصدر السابق ص 118.

746) المصدر السابق ص 47.

747) المصدر السابق ص 392.

748) الأصمعيات ص 151.

749) المفضليات ص 270.

بأوجد مِنى يوم قام بمالك

مناد بصير بالفُراق فأسمعـ ـ ـ ـا

ومن أمثلة شُهرتها بالحنين قول عمرو بن معد يكرب[750]:

لعمرك ماثلاثٌ حائماتٌ

على ربع يرعن وما يريع

وناب ما يعيش لها حوار

شديد الطّعن متكلٌ جزوع

سديس نضجتْه بعد حملٍ

تحرى في الحنين وتستليع

بأوجع لوعةً مِني ووجدا

غَداة تحمل الأنَس الجميع

وهي صورةٌ تعكس موقفَ العربي من ناقته فهو لا يقربها لِلَبنها ووبرها فحسب وإنّما يرى في طباعها بعضاً من طباعه.

ثانياً: وصف الخيل:

تعد الخيلُ أكثر ما قُرب وعظم من الحيوان لدى العرب، قال عنها الألوسي[751]: (أعلم أن الخيلَ أحسن ذوات الأربع صورة وأفضلها وأشبهها بالإنسان في الكرمِ وشرفِ النفْسِ وعلُو الهمةِ وقد ورد الثّناء عليها في القرآن والحديثِ وأشعار العربِ قال تعالى: (ومن رباط الخيل ترهبون به عدو ا وعدوكم). وأورد ابن عبد ربه[752] فضلها في السنّةِ فقال: (وقال النبي صلّى ا عليه وسلم: (عليكم بإناث الخيل فإن بطونَها كنز، وظهورها حِرز، وأصحابها

---

750) الأصمعيات ص 176.

751) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب جـ 2 ص 75.

752) العقد الفريد جـ 1 ص 134.

معانُون عليها). وأفرد الألوسي[753] خيلَ العربِ – لكرمها – عن غيرها بقوله: (وخيلُ العربِ أجود خيول الدنْيا، ويزعمون أنّها كانَتْ من الوحش، وأولُ من ذَلّلَ الصعب مِنْها أبوهم إسماعيل عليه السلام)، ويؤكّد ذلك ابن الأعرابي[754]: (قال أبو البخْتُري يرفعه قال: قال رسول ا صلّى ا عليه وسلّم: ارتبطوا هذه الخيل فإنّها دعوة أبيكم إسماعيل، وكانتْ وحوشاً فدعا ربه فَسخرها له). وشرح ابن عبد ربه[755] اسمها قائلاً: (وقالوا: إنّما سميتْ خَيلاً لاختيالها) ومما يدلُ على اهتمام العرب بها قول الألوسي[756]: (وكان للعرب في تربية الخيل مزيد اعتناء جاهلية وإسلاماً، وكان الرجل منهم يبيت طاوياً ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وأهله وولده) ومثل ذلك ما رواه[757] – بعد ذلك – (أن أحد فرسان العرب أيام الجاهليةِ وهو عبيدة بن ربيعة التميمي قد طلب منه أحد ملوكهم فرساً (سكابِ) فمنعها منه وقال:

أبيتَ اللعن إن سكاب عِلْقٌ ... نفيس لا يعار ولا يباع

مفداةٌ مكرمـةٌ علينـا ... يجاع لها العيال ولا تُجاع

سليلةُ سابقين تناجلاهـا ... إذا نُسِبا يضمهما الكُراع

ففيها عِزةٌ من غيـر نَفْـرٍ ... يحيده إذا حر القراع

فلا تطمع –أبيت اللعن- فيها ... ومنعكها بشيئٍ يستطـاع

وشاعت لهم أشعار كثيرةٌ تُنْبيء عن عزها وخيرها مثل قول الجعفِي[758]:

الخير ما طلعتْ شمس وما غربتْ

معلّقٌ بنَواصِي الخيل معقـود

---

753) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب جـ 2 ص 76.

754) أسماء خيل العرب وفرسانها ص 35، تحقيق د. نوري حمودى القيسي وحاتم صالح الـضامن، مكتبة النهضة العربية، ط1 1407هـ - 1987م.

755) العقد الفريد جـ 1 ص 135.

756) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب جـ 2 ص 77.

757) المصدر السابق جـ 2 ص 81.

758) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب جـ 2 ص 77.

وقول طُفَيلٍ الغَنوي[759]:

وللخيل أيام فمن يصطبر لها

ويعرفْ له أيامها الخير يعقِـ ـبِ

ومن تعاظم أمرها أن اصبحت من الوصايا التي يجب حفظها ومراعاتها مثل قول شاعر بني عامر[760]:

بني عامرٍ ماذا أرى الخيلَ أصبحتْ

بِطاناً وبعض الضر للخيل أمثلُ

بني عامرٍ إن الخيولَ وقايةٌ

لأنفسكم والموت وقتٌ مؤَجـ ـلُ

أهينوا لها ما تكرمون وباشروا

صيانتها والصون للخيل أجمـ ـل

متى تكرموها يكرمِ المرء نفْسه

وكُّل امريءٍ من قَومِه حيثُ ينْزل

وليس غريباً أن يتطرقَ الشعراء المخضرمون لذكر الخيل في كل قصائدهم، فهي عندهم كما قال لبيد بن ربيعة[761]:

معاقِلُنا التي نأْوي إليها

بناتُ الأعوجيةِ واالسيوفُ

وأكثر من أسهب منهم في ذكْر فرسِهِ، وتَفنّن في وصفِه مزرد بن ضرار[762] في مفضليته اللامية، حيثُ أفرد له ثلاثاً وعشرين بيتاً متّصلةً، وربط ذكره بالحرب وجعله خير ما يعتد لها، قال:

وعِنْدي إذَا الحرب العوان تَلقّحتْ

وأبدتْ هوادِيها الخُطُوب الزلازِلُ

---

759) المصدر السابق جـ 2 ص 77.

760) المصدر السابق جـ 2 ص 78.

761) ديوان لبيد بن أبي ربيعة، ص 227، دار صادر بيروت د. ت. ط.

762) المفضليات ص 95.

طُوالُ القَرا قَد كاد يذْهب كاهِلاً

جواد المدى والعقْبِ والخَلْقُ كامِلُ

أجش صريحِي كأن صهيلَه

مزامِير شّربٍ جاوبتْها جلاجِـلُ

فهو طويلُ الظهر عريض الكاهِل خَشِن الصوت قويه، فلم ينس الشّاعر عضواً إلا وصفه، وطبعاً إلا وضحه ولا سيما سرعته، وشدة تجاوبِهِ مثل قوله(763):

خروج أضاميمٍ وأحصن معقِلٍ

إذا لم تكُن إلا الجياد معاقِلُ

مبرز غَاياتٍ وإن يتْلُ عانةً

يذرها كذودٍ عاثَ فيه مخايِلُ

يرى طامح العينين يرنُو كأنه

مؤانس ذُعرٍ فهو بالأذْن خَاتِلُ

ولا ينسى الشاعر أن يعبر عن عميق إحساسه بما أصاب جواده من أثر الإجهاد فيقول(764):

وقلْقلْتُه حتّى كأن ضلُوعه سفِيفُ حصِير فرجتْه الرواهِلُ

وطرق ذات المعنى عبدة بن الطبيب في بيته(765):

خاظي الطّريقةِ عريانٍ قوائمه

قَد شَفه مِن ركُوب البردِ تذْبيـلُ

وكرر مزرد(766) كثيراً من الصفات السابقة في فرسةٍ آثرها بِمحبتهِ لطولها وتماسكِها:

وسلْهبةٌ جرداء باقٍ مريسها

(763) المصدر السابق ص 95.

(764) المفضليات ص 96.

(765) المصدر السابق ص 143.

(766) المصدر السابق ص 97.

موثّقةٌ مِثْلُ العِراوةِ حائلُ

وكانت العرب تفضل من الخيل الطويلة قال ابن قتيبة[767]: ((وسمع عقبة بن رؤبة ينعتُ فرساً أو رجلاً فقال : هو وا أشق أمق خبقٌ، قال الأصمعي: الأشق والأمق والخبقُ الطويل)). وإضافة لطولها فهي ذاتُ لونٍ مفضلٍ تميلُ للحمرةِ قال[768]:

كميتٌ عبناة السراةِ نَمى بِها

إلى نسبٍ الخيل الصريح وجاِفِلُ

من المسبطراتِ الجيادِ طِمرةٌ

لجوج هواها السبسب المتَماحِلُ

صفوح بخديها وقّد طال جريها

كما قلّب الكف الألد المجـادِلُ

ويفضلُ الكميتُ من الخيل ذات الصلابة يروي ابن قتيبة[769] : (وقال المرار العدوي يصِفُ فرساً:

سائلٍ شمراخُه ذي حبـبٍ   سلْط السنْبكِ في رسغ عجر

فهو ورد اللون في ازبئراره   وكميت اللون مالم يزبئـر

وعلق بعد ذلك قائلاً[770]: (خص الورد والكميت لصلابتهما) وأورد[771] بعد ذلك بيت سلمة بن الخُرشُب:

كُميتٍ غير محلِقَةٍ ولكـن   كلون الصرفِ علّ به الأديم

ولعلّ امرء القيس[772] أولُ من سبق لذلك بقوله:

كُميتٍ يزِل اللبد عن حال متْنِهِ

---

767) كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني جـ 1 ص 3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1 1405هـ - 1984م.

768) المفضليات ص 97.

769) كتاب المعاني الكبير جـ 1 ص 4.

770) المصدر السابق جـ 1 ص 5.

771) المصدر السابق جـ 1 ص 6.

772) شرح القصائد السبع الطوال ص 35 تحقيق بركات يوسف هبود، المكتبـة العـصرية لبنـان ط 1 1423هـ - 2002م.

كما زلّتِ الصفْواء بالمتنـ ـزل

ومن إيثارهم لها قول مزرد[773]:

مقربةٌ لم تُقْتَعد غير غارةٍ

ولم تمتر الأطْباء مِنْها السلائِـ ـلُ

إذا ضمرت كانتْ جداية حلّبٍ

أُمِرتْ أعاليها وشُد الأسافِـ ـلُ

ومثله متمم[774] عندما قال عن إكرامِ فرسِهِ:

فله ضريب الشول إلاّ سؤْره

والجل فهو مربب لا يخلـ ـع

وربيعة بن مقروم[775] عنْدما جاب بها النّصر افتخر بها قائلاً:

وجرداً يقَربن دون العيال

خلال البيوت يلُكْن الشكِيما

تُعود في الحربِ أن لا براح

إذا كُلمتْ لا تشتكى الكُلُوما

وربط عبدة بن الطبيب[776] - في لاميته - ذكر الخيل بمعركة القادسية حيث قال:

ثمت قمنا إلى جردٍ مسومةٍ

أعرافهن لأيدينا منادِيـ ـلُ

بينما افتخر الحصين بن الحمام[777] بكر خيله ومطاردتها للأعداء في صورة مهيبة تعكس جلالة ذلك الحيوان عنده:

فليتَ أبا شِبلٍ رأى كر خَيلنا

وخَيلهم بين الستار فأظْلمـ ـ ـا

نُطاردهم نَستَنْقِذُ الجرد كالقنا

---

[773]) المفضليات ص 97 – 98.

[774]) المصدر السابق ص 52.

[775]) المصدر السابق ص 65.

[776]) المفضليات ص 185.

[777]) المصدر السابق ص 65.

ويستَنْقِذُون السمهري المقومـ ـا

عشِية لا تُغْنِي الرماح مكانَها

ولا النبلُ إلا المشرفي المصمما

لَدن غُدوةً حتّى أتى الليلُ ما ترى

من الخيل إلا خارجياً مسومـ ـا

وذكر الخيل وهي منْدفعةٌ نحو الأعداء هنا يوافق ما قاله ربيعة بن مقروم[778] عندما دهمه الأعداء بخيل كجماعات القطا:

وواردةٍ كأنّها عصب القَطا

تُثِير عجاجاً بالسنابك أصهبا

وزعتُ بمِثْل السيد نهدٍ مقاصٍ

كميشٍ إذا عطفاه ماء تحلبا

ورمز الشاعر لأصالة فرسه عندما اشترط الجهد سبباً لعرقه ولو كان دائم العرق لضعفَ قال ابن قتيبة[779] مفسراً بيتاً لخِداش بن زهير يصف خيلاً:

(وقد سالَ المسيح على كُلاها

يخالفُ درةً منها غِـ ـرار

المسيح العرق وأراد بكلاها بطونها والدرة أن يسيل والغرار أن يعل، يريد أنّها تعرقُ تارةً وتجف تارةً وهذا مما يحمد لأنّه لو دام عرقها لأضعفَها) وانتقد[780] بعد ذلك بيتاً لأبي ذؤيب يقول فيه:

تأبى بدِرتها إذا ما استغْضبتْ

إلاّ الحميم فإنه يتبضـ ـ ـع

قال[781] عنه: (وقال الأصمعي قد أساء الوصفَ لأنه يستحب من الفرس أن لا يعجل عرقُه ولا يبطيء) وأرى أن صورة الخيل في قصائد المخضرمين لم

---

[778]) المصدر السابق ص 376.

[779]) المعاني الكبير في أبيات المعاني جـ 1 ص 11.

[780]) المصدر السابق جـ 1 ص 11.

[781]) المصدر السابق جـ 1 ص 11.

تختلف عن صورة الفرس العربي فقد توافق معظمهم في نعته بالإرتفاع مثل بيت ربيعة بن مقرم ومثله قول متمم بن نويرة[782]:

ولقد غدوتُ على القنيص وصاحبي

نهد مراكِلُه مِسح جرشُــع

ففرسه العالي السريع في الصيد لا يخْتِلِفُ في صفته عن فرس عنترة[783] في المعركة حين يقُول عنْه:

إذْ لا أزالُ على رحالةِ سابحٍ

نَهدٍ تَعاوره الكُماةُ مكلــمِ

وقد مثل المخضرمون حياتهم وصوروا مجتمعهم من خلال ذكر الخيل للفَخْر أو القَنْصِ أو الكر أو العدو.

ثالثاً: وصفُ الثور الوحشي والكلاب:

كثُر ذِكْر الثور الوحشي – والذي تُشَبه به النّاقةُ في سرعتها وتتعقّبه كلاب الصائد – في شعر المخضرمين، وارتبط بمعاني الشعراء الأقدمين وعاداتهم مثل تصويرهم بقر الوحش مقتولاً في حال الرثاء أو الموعظةِ، والكلاب مقتولةً في حال المديح أو الوصف قال الجاحظ[784]: (ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثيةً أو موعظةً أن تكون الكلاب التي تقتل بقر الوحش، وإذا كان الشعر مديحاً وقال: كأن ناقتي بقرةٌ، من صفتها كذا، أن تكون الكلاب هي المقتولة، ليس على أن ذلك حكايةٌ عن قصة بعينها، ولكن الثيران ربما جرحت الكلاب، وربما قتلتها. وأما في أكثر ذلك فإنها تكون هي المصابة، والكلاب هي السالمة والظافرة، وصاحبها الغانم). وكذلك نقل ابن قتيبة[785] مفرقاً بين ورودِه مقتولاً في شعر الرثاء والموعظة، وقاتلاً في شعر المديح والفخر قال (ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مديحاً وقال كأن ناقتي بقرة أو ثور أن تكون الكلاب هي المقتولة، فإذا كان

---

[782]) المفضليات ص 51.

[783]) ديوان عنترة دار صادر بيروت ط 3 1424هـ - 2003م.

[784]) الحيوان جـ 1 ص 225. تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل بيـروت. دارالفكـر للطباعـة والنشر والتوزيع 1408هـ - 1988م.

[785]) المعاني الكبير في أبيات المعاني جـ 1 ص 223.

الشعر موعظة ومرثيةً أن تكون الكلاب هي التي تقتل الثور والبقرة ليس على أن ذلك حكاية لقصة بعينها). فَمِمن شبه ناقته بالثّور الذي صارع الكلاب، وغلبها فنجا: عبدةُ بن الطبيب[786] في مفضليته اللامية حيث يقول:

كأنّها يوم وِردِ القوم خامِسةً

مسافِر أشعب الروقين مكْحولُ

وساق بعد ذلك قصة الصائد وكلابه[787]:

يتبعن أشعثَ كالسرحان منْصلتاً

له عليهن قِيد الرمح تمهيـ ـلُ

فضمهن قليلاً ثُم هاج بها

سفْع بآذانها شَين وتنْكِيـ ـ ـلُ

وصور نجاته وقد صرع الكلاب[788] بقرنيه:

كلاهما يبتغِي نهك القتال بهِ

إن السلاح غداةَ الروع محمولُ

يخالِس الطعن إيشاغاً على دهش

بِسلْهبٍ سِنْخُه في الشّأن ممطُولُ

حتّى إذا مض طعناً في جواشِنها

وروقُه من دم الأجواف معلُولُ

ولّى وصرعن في حيث التبسن به

مضرجاتٌ بأجراحٍ ومقْتُـ ـولُ

كأنّه بعدما جد النّجاء بهِ

سيفٌ جلا متْنَه الأصناع مسلُولُ

فغلبة الثور للكلاب ونجاته منها مشْعرةٌ بدحره لأعدائه في موقعة القادسية.

---

786) المفضليات ص 138.

787) المصدر السابق ص 139.

788) المفضليات ص 140.

وكذلك ربيعة بن مقروم[789] الضبى الذي كرر قصة الثور الوحشي في قصيدتين، قال في الأولي مشبهاً ناقته بالعير الوحشي:

كأنّي أوشح أنساعها أقب مِن الحقْبِ جأْباً شتيما

وساق بعد ذلك الحديث عنه، وعن أُتنه وسلطانه عليها، ووصف الصائد يتربص بها عند الماء، وكيف فرت منه، ليجعل ذلك شبهاً لسرعة ناقته قال[790]:

فأخطأها فمضتْ كلها تكاد من الذعر تفري الأديما

وقال في الثانية مشبهاً بعيره بالحمار الوحشي أطاع له النبتُ فاكتنز[791]:

كأن الرحل منه فَوقَ جأْبٍ

أطاع له بمعقُلَةَ التّـ ـ ـ ـلاع

تلاع من رياضٍ أَتْأَقتْها

من الأشْراطِ أسمِيةٌ تِباع

وحكى بعد ذلك نجاته من صائد من بني جلان فقال[792]:

فصبح من بني جِلان صِلاً عطيفَتـه وأسهمـه المتَـاع

إذا لم يجتزر لبنيه لحماً غريضاً من هوادي الوحش جاعوا

فأرسلَ مرهفَ الغَرين حشْراً فخيبه من الوتـ ـ ـر انْقِطـ ـ ـاع

فلَهفَ أُمه وانصاع يهـوي له رهج من التقريـ ـب شَـ ـ ـاع

وكذلك سويد بن أبي كاهل[793] عندما ارتحل على ناقة شبهها بالثور الوحشي فقال:

فكأني إذا جرى الآل ضحى

فوق ذَيالٍ بخديهِ سفَـ ـ ـ ـ ـ ـع

واستطرد في وصفِهِ ووصف سرعته عندما راعه الصائد بكلابه فجعل يعدو وهن خلفه عاديات يقول ابن قتيبة[794]: (وقال سويد يذكر الكلاب والثّور:

---

[789]) المصدر السابق ص 181.

[790]) المصدر السابق ص 183.

[791]) المصدر السابق ص 188.

[792]) المفضليات ص 189.

[793]) المصدر السابق ص 196.

فتراهن على مهلتِهِ يخْتِلين الأرض والشّاة يلَع

دانياتٍ ما تلبسن به واثقاتٍ بدماء إن رجـَع

يرهب الشد إذا أرهقْنَه وإذا بـرز منهـن ربـع

ساكن القَفْر أخو دويـةٍ فإذا ما آنس الصوتَ امصع

والملاحظ إطالة الشعراء في نَعتِهِم للثور الذي يجعلونه مشبهاً به للناقة، وعلَلَ ذلك محمد النويهي[795] عندما تطرق لقصة حمار الوحش في الشعر القديم فقال: (وقصة حمار الوحش من أهم الموضوعات الفنية التي تناولها الشعر القديم، من ناحية الكم وناحية الكيف معاً) وقال عن سبب إطالة الشعراء في نعتهم للثور[796]: (والشعراء الذين أطالوا فيها قد اتخذوها مجالاً رائعاً يكشفون فيه عن علمهم الواسع بأحوال الصحراء). وأحسب أن ذلك يتناسب مع بساطة الشاعر القديم في تعامله مع بيئته.

وذكر الثور الوحشي في حال الرثاء يجيئُ على سبيل التّأسي والعِظَةِ لذا يكون مصروعاً على يد كلاب الصائد، وربط ابن رشيق[797] ذلك بعادة القدماء مما يدلّ على حذو المخضرمين لنهج الجاهليين من حيث بناء القصيدة أو صورتها الفنية يقول: (كان من عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزة، والأممِ السالفةِ، والوعول الممنَعةِ في قُلل الجبال، والأسود الخادرة في الغياض، وبحمر الوحش المتصرفةِ بين القِفار، والنّسور والعقبان والحيات، لبأسِها وطول أعمارها وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر) يقول أبو ذؤيب[798] عن هلاك حمار الوحش:

والدهر لا يبقَى على حدثانِهِ

جون السراةِ له جدائِد أربـ ـ ـع

---

794) المعاني الكبير في أبيات المعاني جـ 1 ص 225.

795) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه جـ 2 ص 712، الدار القومية للطباعة والنـشر القـاهرة. د.ت. ط.

796) الشعر الجاهلى منهج في دراسته وتقويمه جـ 2 ص 713.

797) العمدة في محاسن الشعر ونقده وآدابه جـ 2 ص 131.

798) المفضليات ص 422.

صخِب الشواربِ لا يزال كأنه

عبد لآل أبي ربيعةَ مسبـ ـ ـ ـع

وصور موته وُأتُنَه على يد الصائد فقال[799]:

فرمى فألحق صاعِدياً مطحراً

بالكشْح فاشْتمات عليه الأضاُـع

فأبدهن حتُوفَهن فهارب

بذَمائهِ أو بارك متَجعجـ ـ ـع

يعثُرن في حد الظباة كأنّما

كُسِيتْ برود بني تزيد الأذْرع

ويحكى[800] عن هلاك الثور قائلاً:

والدهر لا يبقى على حدثانِهِ

شَبب أفزته الكلاب مـ ـ ـ روع

شَعفَ الكلاب الضارياتُ فُؤَاده

فإذا رأى الصبح المصدقَ يفْزع

ويمضي تُعاوره الكلاب إلى أن تقضي عليه:

فصرعنَه تحت الغُبار وجنْبه

متَترب، ولكل جنْبٍ مصـ رع

حتّى إذا ارتَدتْ وأقْصد عصبةً

مِنْها وقام شَريدها يتَضـ وع

فبدا له رب الكلاب بِكفهِ

بيض رهاب ريشُهن مقْـ زع

فرمى لِينْقِذَ فرها فَهوى له

سهم فأنْفذَ طُرتيهِ المِنْـ زع

فكبا كما يكْبو فَنِيقٌ تارز

---

799) المصدر السابق ص 425.

800) المفضليات ص 425.

بالخَبتِ إلاّ أنّه هو أبـ رع

ونلاحظ تكرار الشاعر لصدر البيت (والدهر لا يبقى على حدثانه) في ثلاثة مواضع سبق منها اثنان والثالث هو قوله[801]:

والدهر لا يبقى على حدثَانِهِ

مستَشعِر حاقَ الحدِيد مقنع

وكأنه يتّخذُ منها عزاء لنفسِهِ، وتسلِيةً لها، وحضها على الصبر حيث لا قوة تجدي مع الموت.

وقد عاب عبدا الطيب[802] على أبي ذُؤيب تقليده لشعراء هذَيل في وصف هلاك الأوابد قال: (تذكر أني قلْتُ لك إنّي أنعي على أبي ذؤيب فيها تقليده الأعمى لشعراء هذيل في وصف هلاك الأوابد). ولكن متمماً بن نويرة[803] – في مفضليته التّاسِعةِ – جعل حمار الوحش ينْجو من الصائد هرباً عندما شبه به ناقته قائلاً:

فكأنّها بعد الكّلالةِ والسرى

علْج تُغاليه قَذُور ملْمِـ ـ ـ ـع

وأطْنَب في نَعتِهِ إلى أن أخطأه سهم الصائد[804]:

حتّى إذا وردا عيوناً فوقها

غاب طِوالٌ نابِتٌ ومصـ ـ رع

لاقى على جنْبِ الشّريعة لاطِئاً

صفْوان في ناموسِهِ يتطلّ ـ ـع

فرمى فأخْطأها وصادف سهمه

حجراً فَفُلَّ والنَضِي مجـ زع

---

801) المصدر السابق ص 427.

802) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها جـ 4 ص 349.

803) المفضليات ص 49.

804) المصدر السابق ص 50.

ومهما يكن من شئ فهناك تشابه كبير في الصور والقصص بين المخضرمين ومن تقدمهم وأشار لذاك النويهي[805] بقوله : (ونحن نلتمس للمخضرمين جميعاً العذْر في استيفائهم بعض آثار الفكر الجاهلي العتيق).

805) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه جـ 2 ص 778.

المبحث الثاني : وصفُ السلاح

قال الألوسي[806] معرفاً آلات الحرب: (وهي كُل ما استُعمِلَ لازهاق الروح، وإهلاك الأنْفُسِ وهي كثيرةٌ). وقد عبر المخضرمون – في معظم قصائدهم- عن كل أنواع السلاح مغَالين في وصفِهِ فخْراً، أو مكثرين من ذكره زهواً، ومما ذُكِر مِنْه على حسب أهميته وشهرته:

1- السيفُ:

عده الألوسي[807] أولَ آلات الحرب وأجلها قال: (منها السيوف وهي أحسن آلاتهم، وأشهرها ذكراً وكان من أحسن السيوف عند العرب السيوف المشرفية وكانوا أكثر ما يتحمسون بها كما في قولهم:

ولو سئلت عنّا جنُوب لخُبرتْ
عشيةَ سالتْ عقرباء بها دمـ ـا
عشيةَ لا تُغْني الرماح مكانِها
ولا النبلُ إلاّ المشرفي المصمما)

ونلحظ أن البيت السابق مطابق لبيت الحصين بن الحمام المري[808]:

عشية لا تُغْني الرماح مكانها
ولا النّبلُ إلاّ المشرفي المصمما

وهو البيت الوحيد في قصائد المخضرمين الذي ورد فيه اسم السيف (المشرفي). ومما يدلُّ على كثرة أسماء السيف أن مزرداً بن ضرار[809] عندما افتخر ووصف سيفَه في ستّة أبيات ضمنها ثلاثةً من أسمائه منها: (الأبيض) مثل قوله[810]:

وجوب يرى كالشمس في طخية الدجى

---

806) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب جـ 2 ص 62.

807) المصدر السابق جـ2 ص 62.

808) المفضليات ص 65.

809) المصدر السابق ص 93.

810) المصدر السابق ص 99.

وأبيض ماضٍ في الضريبةِ فاصِلُ

سلافُ حديدٍ ما يزال حسامه

ذليقاً وقدتْه القرون الأوائـ ـ ـ ـ لُ

فوصفه بأنه عتيقٌ وقاطِع. وكذلك منها (الهندي)، قال بعد ما سبق(811):

وأملس هِنْدِي متى يعلُ حده

ذُرى البيضِ لا تسلم عليه الكواهِلُ

إذا ما عدا العادِي به نَحو قِرنِهِ

وقد سامه قولاً: فدتْك المنَاصِـ ـ لُ

ألستَ نِقياً ما تَلِيقُ بك الذرى

ولا أنْتَ إن طالتْ بك الكف ناكِلُ

فمن صفاتِ سيفِه الهندي أنه يتعدى البيضة يقطعها ويجوزها حتّى يقطع الكاهل، ومثلُه قول الحصين بن الحمام(812) الذي شد به على عدوه:

بكُل رقاقِ الشّفرتين مهندٍ

وأسمر عراصِ المهزةِ أرقَبا

وذكر (813) اسم (الحسام) بعد الأبيات السابقة فقال:

حسام خفِي الجرسِ عند استلالِهِ

صفِيحتُه مِما تَنقى الصياقِلُ

فهو خفِي الحركة لجودتِهِ، وصفاءِ حدِيده وخلوصِهِ. ولكن من أكثر أسمائه ترددا (السيف) مثل قول عبد ا بن عنَمة(814) مهددا:

إن تسألُوا الحق نُعطِ الحق سائِلَه

والدرع محقبةٌ والسيفُ مقْروب

وقول متمم بن نويرة(815) متأسياً:

---

811) المفضليات ص 99.

812) المصدر السابق ص 317.

813) المصدر السابق ص 99.

814) المصدر السابق ص 38.

815) المفضليات ص 53.

لو كان سيفي باليمين ضربتُها

عني ولم أوكَلْ وجنْبي الأضيع

ولقَد ضربتُ به فتُسقِطُ ضربتي

أيدي الكُماةِ كأنهن الخِـ ـروع

فعبر عن مضائه بالضرب الذي يساقِطُ أيدي الأبطال ونحو ذلك أشار أبو ذُؤيبٍ[816] لمضاءِ سيفَي الفارسين:

وكلاهما متَوشْح ذا رونَقٍ

عضباً إذا مس الضريبة يقْطَع

بينما ورد اسمه جمعاً في قول ربيعةَ بن مقروم الضبي[817] مفاخِراً بقومه:

وثَغْرٍ مخُوفٍ أقمـنا بـه يهاب به غيرنا أن يقِيمـا

جعلْنا السيوفَ به والرمـ ـاح معاقِلنا والحدِيـ ـد النظيمـ ـا

وكذلك الحصين بن الحمام[818] عندما افتخر بظفره على بني سهم:

صبرنا وكان الصبر فينا سجِيةً

بأسيافِنَا يقْطَعن كفّاً ومِعصما

وعبر كُلُّ من ربيعة بن مقروم والحصين بن الحمام بالتفليق عن ضرب الهام، قال ربيعة بن مقروم[819]:

بِطَعنٍ يجِيشُ له عانِد وضربٍ يفلقُ هاماً جثُوما

وقال الحصين بن الحمام[820]:

يفلقْن هاماً مِن رجالٍ أعِزةٍ

علينا، وهم كانُوا أعق وأظْلَما

وانْفَرد[821] بذكر (الصفائح) في البيت:

صفائح بصري أخلصتْها قيونُها

---

816) المصدر السابق ص 429.

817) المصدر السابق ص 185.

818) المصدر السابق ص 65.

819) المصدر السابق ص 184.

820) المصدر السابق ص 65.

821) المفضليات ص 66.

ومطّرداً مِن نَسج داوود مبهما

2- الرمح:

قال عنه عمرو بن معدِ يكرب[822] عندما سأله عمر بن الخطّاب – رضي ا عنه – عن السلاح : (الرمح أخوك وربما خانك) وهذا دليل على كثرة ملازمته للفارس وصحبته له. وقد ارتبط ذكره بالفخر في استعماله لِقتْل الخُصومِ كقول الحصين بن الحمام[823] وقد سماه السمهري:

نُطاردهم نَستنْقِذُ الجرد كالقنا

ويستَنْقِذُون السمهري المقَوما

وجعله[824] أقل غَنَاء من السيف، بل ألمح إلى عدم جدواه عِنْد اشتداد الحرب والتحام الأبطال بقوله:

عشيةَ لا تُغني الرماح مكانَها

ولا النبلُ إلا المشْرفي المصمما

ومثله قول المفضل النكري[825]:

فالقينا الرماح وكان ضرب

مقيلَ الهامِ كُل ما يـ ـ ـ ـ ـذُوقُ

وذلك لأنها تتكسر عند الاحتدام يقول الحصين بن الحمام[826]:

بمعتَركٍ ضنْكٍ به قِصد القنا

صبرنا له قد بل أفراسنا دمـ ـ ـا

وشبيهه قول عبد الشارق الجهني[827]

---

[822]) الشعر والشعراء جـ 1 ص 273.

[823]) المفضليات ص 65.

[824]) المصدر السابق ص 65.

[825]) الأشباه والنظائر جـ 1 ص 149.

[826]) المفضليات ص 67.

[827]) الأشباه والنظائر جـ 1 ص 257.

فآبوا بالرماح مكسراتٍ   وأُبنا بالسيوف قد انحنينا

وأكثر الحصين من ذكرها، ونسبها لردينة قائلاً[828]:

يهزون سمراً من رماحِ ردينَةٍ

إذا حركتْ بضتْ عواملُها دمـ ـا

والملاحظ أنّه كرر كلمة (دما) في بيتين فيهما ذِكر الرماح، وعبر[829] عن جودتِها بتثنّيها:

وحتّى يروا قوماً تَضِب لِثاتُهم

يهزون أرماحاً وجيشاً عرمرما

وكانوا يفَضلُون طِوالَها، قال ربيعةُ بن مقْروم[830] مفْتخِراً بقومه: وامتدحهم بالشّجاعة عِنْد ما قرن طول الرماح بالنّجدةِ ومنْع الحريم:

طِوال الرماحِ غَداةَ الصباح

ذوو نجدةٍ يمنَعون الحريما

وأكْنَى مزرد بن ضرار[831] عن كثرةِ الطعن بالرمح بقوله:

(وأرجع رمحي وهو ريان ناهِلُ) في البيت:

وإني أرد الكبشَ والكبشٌ جامِح

وأرجِع رمحِي وهو ريان ناهِلُ

وزاد في صفاته فهو لين كالثعبان، ويتلألأ سِنَانُه مثل الهلال في الليلة المظْلِمةِ[832]:

ومطرد لَدن الكُعوب كأنما

تَغشّاه منْباع من الزيتِ سائلُ

أصم إذا ما هز مارتْ سراتُه

كما مار ثُعبان الرمال الموائلُ

له فَارطٌ ماضِي الغِرار كأنه

---

828) المفضليات ص 66.

829) المصدر السابق ص 67.

830) المصدر السابق ص 183.

831) المصدر السابق ص 95.

832) المصدر السابق ص 99.

هِلالٌ بدا في ظُلْمةِ الليل نَاحِلُ

ولاحظت أن ذكر الرمح ارتبط بقصائد الفخر أو التي لها صِلَةٌ بالحرب بينما خلت منه القصائد الأخري.

3- الدرع:

قل ذكر الدرع في قصائد المخضرمين ولم يخص بأبيات تصفُه إلاّ في لاميةِ مزرد بن ضرار[833] حيثُ قال مفْتخِراً بها:

ومسفُوحةٌ فضفاضةٌ تُبعيةٌ

وآها القتير تجتَويها المعابِلُ

وهو مثل قول النابغة الذبياني[834]:

وكل صموتٍ نثلةٍ تُبعية ونسج سلَيمٍ كُلّ قضاء ذائل

وأبي قيس بن الأسلت[835] مباهياً بدرعه:

أعددتُ للأعداءِ موضونةً

فضفاضفةً كالنهي بالقاعِ

وهذا كقول زهير[836] مشبهاً درعه بماء الغدير:

ومفاضةٍ كالنهي تنْسجه الصبا

بيضاء كفّتْ فضلها بمهندِ

ولعل صورة الدرع السابغة معتادة لدى الأقدمين فعبد قيس بن خفاف[837] يقول أيضاً:

وسابغةٍ من جياد الدرو ع تَسمع للسيف فيها صلِيلا

كماءِ الغَدِيـر زفتْه الدبور يجر المدجج منها فُضـولا

---

833) المفضليات ص 98.

834) المعاني الكبير في ابيات المعاني جـ 2 ص 1036.

835) المفضليات ص 286.

836) المعاني الكبير في أبيات المعاني جـ 2 ص 1033.

837) المفضليات ص 386.

ولكن مزرداً[838] شبهها بظهر السمكة لمعاناً وهذا ما خاتْ منه قصائد المخضرمين يقول:

دِلاص كظهر النون لا يستطيعها
سِنان ولا تلك الحِظَاء الدواخِلُ
موشُحةٌ بيضاء دانٍ حبيكُها
لها حلقٌ بعد الأنامِل قَاضِـلُ
مشْهرةٌ تُحنَى الأصابِع نحوها
إذا جمِعتْ يوم الحِفاظِ القبائل

يقول ابن قتيبة[839] : (الدرع تشبه بالغدير والنّهي وبذور الشمس وبالبجاد والمجول قال الشاعر:

وعلي سابغةٌ كأن قتيرها حدقُ الأساودِ لونُها كالمجول)

وقال[840] بعد ذلك معلقاً: (القتير رؤوس مسامير الدروع شبهها بحدق الجنادب، والمجول دريع صغير تلْبسه الصبيةُ) وأورد الحصين بن الحمام المري[841] ذكرها عندما افتخر بعد هزيمته بني سهم:

صفائح بصرى أخلصتْها قُيونُها
ومطرداً من نَسجِ داؤود مبهما

ولكن أَبا ذؤيبٍ الهذَلي[842] ذكرها على سبيل التأسي والعِظَةِ:

والدهر لا يبقَى على حدثانِه
مستشْعِر حلَقَ الحديدِ مقَنّـع
حمِيتْ عليه الدرع حتّى وجهه
من حرها يوم الكريهةِ أسفَع

838) المصدر السابق ص 98.
839) المعاني الكبير في أبيات المعاني جـ 2 ص 1038.
840) المصدر السابق جـ 2 ص 1038.
841) المفضليات ص 66.
842) المفضليات ص 427.

وقال ابن قتيبة[843] – معلقاً – عن الفارسين المتبارزين بعد أن أورد قول أبي ذؤيب:

وتعاورا مسرودتين قضاهما

داود أو صنَع السوابغ تُبع

قال: (مسرودتان درعان، قضاهما أن فرغ منهما، ومنه قول ا عز وجلّ: (فقضاهن سبع سماواتٍ في يومين) والصنع الحاذق بالعمل يريد تعاورا درعين بالطّعن).

---

843) المعاني الكبير في أبيات المعاني جـ 2 ص 1039.

المبحث الثالث: التشبيه في شِعر المُخَضرمِين

لاحظت أن المخضرمين لم يستخدموا من ألوان البيان ويكثروا منه مثْلما ما أكثروا من ذكر التشْبيه وكرروا من صوره في معظم موضوعاتهم وأغراضهم الشعريةِ لذا أحببتُ أن استعرض ما فيه مِن صورٍ تُنْبئُ عن صدقهم وعميق إحساسهم.

يقول ابن رشيق[844] معرفاً التّشبيه: (التّشبيه صِفَةُ الشيءِ بما قاربه وشاكلَه، مِن جهةٍ واحدةٍ أو من جهاتٍ كثيرةٍ لا من جميع جِهاتِه). ويوضح ابن طباطبا[845] قدرة العرب فيه قائلاً: (واعلم أن العرب أودعت أشعارها مِن الأوصافِ والتشبيهات والحكم ما أحاطتْ بهِ معرفتُها، وأدركَه بيانُها، ومرتْ به تجاربها).

ومن التشبيهات التي أكثروا منها:

أولاً: تشبيهُ الناقةِ:

1- تشبيهها بالجمل أو الفَحل، وذلك للدلالةِ على قوتها وشدة أسرها يقول ربيعةُ بن مقرومٍ الضبي[846] عن قوة ناقته وتحملها:

كِناز البضيع جمالِيةً إذا ما بغَمن تراها كَتُوما

وذلك مثل قول حاجب بن حبيب بن خالد[847] عندما شبهها بالفَحل متمنياً أن تبلغه أهله:

هل أبلُغَنْها بمِثْل الفَحل ناجِيةٍ

عنْسٍ عذافرةٍ بالرحل مِذْعان

وباهى أبو قيس بن الأسلت[848] بناقته:

---

844) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده جـ 1 ص 286.

845) عيار الشعر ص 48.

846) المفضليات ص 181.

847) الأصمعيات ص 221.

848) المفضليات ص 286.

ذات أساهيج جماليةٍ   حشتْ بِحاري وأقطاع

وهذا ما يشير لِشبه المخضرمين بمن سبقهم من الشعراء، فالمرقش الأكبر[849] يؤكد تشبيهه بزيادته كلمة (جمالية) بعد التشبيه:

عرفاء كالفَحل جمالِيةً   ذاتُ هِبابٍ لا تشكّى السأم

ومن تشبيههم لها بالفحل أن يقولوا: (إنها كالفنيق) قال عمرو بن الأهتم[850] مفتخراً بنحرهِ النّاقة العظيمة كأنها الفنيقُ:

بأدماء مرباع النتاجِ كأنها

إذا عرضتْ دون العِشَار فَنِيقُ

وممن أراد بذلك التّشبيه تحملها جهد السير عقبة بن سابق[851]

طِلِيح كالفنيق القَـ ـ ـ ـ ـ ـ ـطِم المستكْبِر الصعبِ

وضابئ بن الحارث[852]:

وتُصبح من غِب السرى وكأنّها

فَنِيقٌ تناهى عن رحالٍ فأرقلا

والدليل على أن صورة المخضرمين للناقه تعود للعصر الجاهلي أن صدر البيت السابق مأخوذ من علْقمة بن عبدة[853] الذي شبه ناقته بالبقرة في نشاطها:

وتصبح من غِب السرى وكأنّها

مولهةٌ تخشى القنيص شَبوب

وكذلك بشْر بن أبي خازم[854] الذي سلّى همه على ناقةٍ شبهها بالفنيق:

لو لا تُسلي الهم عنْك بحسرةٍ

عيرانةٍ مثل الفنيق المكْـ دمِ

بينما عاد المخبلُ السعدِي[855] وشبهها بالقرم يجتاز به الطريق:

---

849) المفضليات ص 286.

850) المصدر السابق ص 126.

851) الأصمعيات ص 40.

852) المصدر السابق ص 181.

853) المفضليات ص 393.

854) المصدر السابق ص 346.

عارضتُه مثْنَ الظّلام بمذْ   عان العشِي كأنّها قَرم

2- تَشْبيهُها بالقَصر:

قال متمم بن نويرة اليربوعي(856) واصفاً رحلته على ناقةٍ مسرعةٍ مشْرفة كالقصر:

بمجِدةٍ عنْسٍ كأن سراتَها

قَدن تُطِيفُ به النبيط مرفـ ـ ـ ـع

ولعل انعدام القصور في بيئة العرب جعلهم يشبهون بها نوقهم لما يستعظمون من ارتفاعها ولهذا افتخر عمرو بن الأهتم(857) بنحره ناقة عظيمة السنام كالقصر:

وقمتُ إلى البرك الهواجِدِ فاتّقتْ

مقاحِيد كُوم كالمجادِل روقُ

3- تَشْبيهُ مناسِمِها:

شُبهتْ مناسِمها بالمطارق في قوة ضربها للأرض قال المخبلُ السعدِي(858):

ولها مناسِم كالمواقع لا   معر أشاعِـ ـرها ولا درم

وعبر عن ذلك عبدةُ بن الطبيب(859) منْضياً ناقته:

عيهمةٌ ينْتَحِي في الأرض منْسِمها

كما انْتحى في أدِيم الصرف إزمِيلُ

---

(855) المفضليات ص 116.

(856) المصدر السابق ص 49.

(857) المصدر السابق ص 126.

(858) المصدر السابق ص 117.

(859) المصدر السابق ص 138.

ولكنّه قبل ذلك شبهها في قوة خَلْقِها ووقعِها على الأرض بسِنْدان الحداد[860]:

بجسرةٍ كعلاةِ القين دوسرةٍ

فيها على الأين إرقال وتَبغيلُ

4- تَشْبيهُ قَوائِمِها:

شُبهتْ قوائم النّاقَةِ بأعمِدةِ البنْيان في قصيدة المخبل السعدي[861]، ووصفها بأنّها عوج لأن إعوجاجهن أسرع لها:

وقوائم عوج كأعمِدةِ الـ ـ ـ ـبنْيان عولِي فوقها اللّحم

5- تشبيهُ سُرعتِها:

شبهها المخبلُ السعدِي[862] بالبكرة على البئْر فقال:

قَلقَتْ إذا انحدر الطريق لها   قلقَ المحالة ضمها الدعم

ثانياً: تشبيهُ الفرس:

1- تشبيهه بالذئْبِ: يشبه الفرس بالذئْب في السرعة، يقول الحصين بن الحمام المري[863] مفتخراً بخيله التى غزا بها:

وأجرد كالسرحان يضربه الندى

ومحبوكةً كالسيد شقّاء صِلْدِما

ولعلّ تشبيه الفَرسِ بالذئْبِ مرتبِطٌ بالحربِ فدريد بن الصمةِ[864] يقُولُ عن فرسه في الغارة:

وغارةٍ بين اليومِ والليل فَلْتَةً

تداركْتُها ركْضاً بسيدٍ عمردِ

---

860) المفضليات ص 136.

861) المصدر السابق ص 117.

862) المصدر السابق ص 117.

863) المصدر السابق ص 66.

864) الأصمعيات ص 109.

وكذلك عبدةُ بن الطبيب[865] في وقْعةِ القادسيةِ:

بساهِمِ الوجهِ كالسرحان منصلِتٍ

طِرفٍ تكامل فيه الحسن والطُولُ

وعندما وصف ربيعةُ بن مقروم[866] احدى غاراتِهِ قال عن فرسه:

وواردِةٍ كأنّها عصب القطا

تثير عجاجاً بالسنابكِ أصهبـ ـ ـا

وزعتُ بمثْل السيد نَهدٍ مقاصٍ

كميشٍ إذا عطفاه ماء تَحلبـ ـ ـا

فخيلُ أعدائِه في سرعتها كالقطا، وفرسه كالذئب في سرعة الهجوم عليها.

وكرر بعد ذلك التشبيه عن جماعة الخيل[867]:

فلما انجلى عني الظلام دفعتُها

يشبهها الرائي سراحِين لُغبـ ـ ـا

وعندما افتخر مزرد بن ضرار[868] بما أعده للحرب قال:

وعِنْدي إذا الحرب العوان تلقّحتْ

وأبدتْ هوادِيها الخُطُوب الزلازِلُ

وتحدث عن فَرسِهِ وشبهه[869]:

تقول إذا أبصرتَه وهو صائم

خِباء على نَشَزٍ أو السيد ماثِلُ

2- تَشْبِيهُهُ بالبازي:

ويشَبه بالبازي في سرعة انْقِضاضِهِ قال مزرد بن ضرار[870]:

---

865) المفضليات ص 143.

866) المصدر السابق ص 376.

867) المصدر السابق ص 377.

868) المصدر السابق ص 95.

869) المصدر السابق ص 95.

870) المصدر السابق ص 95.

متى ير مركُوباً يقَلْ باز قانِصٍ
وفي مشْيِهِ عِنْد القِياد تَساتُلُ

ومثله قول الأسعر الجعفي[871]:

أما إذا استقبلتَــه فكأنــه
بازٍ يكفْكِفُ أن يطِير وقد رأى

وأفرد ابن قتيبة[872] باباً بعنوان: (تشبيه الخيل بالبازي) وأورد قول المرار بن منقد:

وكأنا كُلّما هجنا به طالبُ الصيد ببازٍ منْكدِرِ

3- تشبيهُهُ بالسهم:

قال سويد بن أبي كاهل[873] مشبهاً خيله بالسهام التي يغَالى بها في السرعة:

كالمغالي عارفاتٍ للسرى
مسنَفَاتٍ لم تُوشم بالنســع

وشبهه قول عبيد بن الأبرص[874]:

يرعف الألفَ بالمدجج ذي القَو نسِ حتى يؤوب كالتمثال
فهو كالمِنْزع المريش من الشو حط مالتْ به يمين الغالي

قال ابن قتيبة[875]: (والمِنْزع السهم، وقال ابن مقبل:

كأنّه متْن مريخٍ أمر بــــه زيغ الشمال وحفز القَوسِ بالوتَرِ)

وشرحه قائلاً[876]: (المريخ سهم له أربع قُذَذٍ وهو أسرع السهام ذِهاباً).

---

871) المعاني الكبير في أبيات المعاني جـ 1 ص 38.
872) المصدر السابق جـ 1 ص 38.
873) المفضليات ص 193.
874) المعاني الكبير في أبيات المعاني جـ 1 ص 43، 44.
875) المصدر السابق ص جـ 1 ص 44.
876) المصدر السابق ص جـ 1 ص 44.

4- تشبيهُهُ بالعصا:

قال ابن قتيبة[877]: (قال أبوعبيدة: امرؤ القيس أولُ من شَبه الخيلَ بالعصا واللقة والسباع والظباءِ والطير فاتبعه الناس على ذلك). وذكر[878] ذلك معلقاً على بيته:

بعجلزةٍ قد أترز الجري لحمها

كميتٍ كأنّها هراوةُ مِنْوال

واقتفي مزرد بن ضرار[879] أثر امرئ القيس فقال:

وسلْهبةٌ جرداء باقٍ مريسها

موثّقةٌ مِثْل الهراوةِ حائلُ

وكذلك لبيد بن ربيعة[880]:

تَهدِي أوائلهن كلّ طمـ ـرة

جرداء مثل هِراوةِ الأعزابِ

وأحسب أن عبدا بن عنمة[881] جرى على ذلك عندما شبه خيله (بالقنا):

سموتَ بجردٍ في الأعِنّةِ كالقنا

وهن مطايا ما يحِل فِصادها

5- تشبيهُهُ بالقطا:

ويراد منه شِدة السرعةِ، قال سويد بن أبي كاهل[882] مشبهاً جماعة الخيل في سرعة الرحلة بها:

يدرعن الليلَ يهوين بنا كهوي الكُدر صبحن الشّرع

ويشبه ذلك قول حاجب بن حبيبٍ بن خالد[883]:

---

877) المعاني الكبير من أبيات المعاني جـ 1 ص 50.

878) المصدر السابق جـ 1 ص 49.

879) المفضليات ص 97.

880) ديوان لبيد بن أبي ربيعة ص 18 دار صادر بيروت د.ت.ط.

881) المفضليات ص 380.

882) المصدر السابق ص 194.

فهن يردن ورود القَطا عمان وقد شُد مرانُها

وقصد ربيعة بن مقروم[884] في تشبيهه لها سرعتها في الغَزو:

وواردةٍ كأنَها عصب القطا

تُثير عجاجاً بالسنابك أصهبا

6- تشْبيهُ عُرفِهِ:

شُبه عرفُه بالقصبةِ الرطبةِ قال متمم بن نُويرة[885]

مفتخراً بجوادِه في الصيد:

ولقد غدوتُ على القَنِيصِ وصاحِبي

نَهد مراكِلُه مِسح جرشُع

ضافِي السبِيبِ كأن غُصن أباءةٍ

ريان ينْفُضها إذا ما يقْدع

ومن الطّريف تشبيه عبدةُ بن الطبيب[886] عرف الخيل بالمناديل:

ثُمتَ قمناإلى جردٍ مسومةٍ

أعرافُهن لأيدينا منَادِيلُ

ثالثاً: تشبيهُ المحبُوبةِ:

1- تشبيهُها بالدرة:

تُشبه المحبوبةُ بالدرةِ في صونِها وغَلائها، قال المخبلُ السعدِي[887] عن محبوبته:

كعقِيلةِ الدر استضاء بِها مِحراب عرشٍ عزيزها العجم

ومن قبله قال النابغة الذبياني[888]:

---

883) الأصمعيات ص 220.

884) المفضليات ص 376.

885) المصدر السابق ص 51.

886) المصدر السابق ص 141.

887) المصدر السابق ص 115.

كمضيئةٍ صدفيةٍ غواصها

بهج متي يرها يهلّ ويسجدِ

وقال قيس بن الخطيم[889]:

كأنّها درةٌ أحاط بها الـ ـغَواص يجلو عن وجهها صدفُ

ونسب سويد بن أبي كاهل[890] محبوبته إلى درة تُؤَام بساحل عمان:

كالتؤاميةِ إن باشرتَها قَرتِ العين وطاب المضطَجع

2- تشبيهُها بالظبية:

قال ربيعة بن مقْروم[891] بعد أن استهلّ بِذِكْر سعاد:

كأنّها ظبيةٌ بِكْر أطاع لها من حوملٍ تَلَعاتُ الجو أو أُودا

ومن ذلك قول عِلْباء بن أرقم بن عوف[892]:

فيوماً توافينا بوجهٍ مقَسمٍ

كأن ظبيةٍ تعطو إلى ناضر السلم

ولكن عمرو بن الأهتم[893] شبه الخدور ببقر الوحش قائلاً:

كأن على الجمال نِعاج قو كوانِس حسراً عنها الستُور

ويبدو تأثر المخضرمين بقول امرئ القيس[894]:

وتعطو برخصٍ غير شثْنٍ كأنّه

أساريع ظَبي أو مساويك إسحل

3- تشبيهُ شَعرها:

قال المخبل السعدِي[895] مشبهاً شعر محبوبتِهِ بشجر العنب في كثرته:

---

888) ديوان النابغة ص 32، تحقيق شكري فيصل دار الفكر ط2 1410هـ -1990م.

889) الأصمعيات ص 197.

890) المفضليات ص 196.

891) المصدر السابق ص 213.

892) الأصمعيات ص 157.

893) المفضليات ص 409.

894) شرح القصائد السبع الطوال ص 89 المكتبة العصرية بيروت ط1 1423هـ - 2002م.

895) المفضليات ص 116.

وتُضِل مدراها المواشطُ في جعدٍ أغم كأنه كَـ ـ ـ ـ ـرم

وأيضاً نلمح أثر امرئ القيس[896] في وصف شعر محبوبته:

وفرعٍ يزين المتن أسود فاحمٍ

أثيثٍ كقِنو النخَلة المتعثكِـ ـ ـ ـل

غدائره مستشزراتٌ إلى العلا

تضِل العِقَاص في مثْنًى ومرسل

وأشار ربيعةُ بن مقروم[897] لطول الشعر بقوله:

قامتْ تُريك غَداة البين منْسدِلاً

تَخالُه فَوقَ متْنَيها العناقِيـ ـ ـ ـدا

ومن المخضرمين من شبه الشّعر بالحيات السودِ في طوله وتثنيهِ مِثْل مزرد بن ضرار[898]:

وأسحم ريان القرون كأنّه

أساود رمان السياطُ الأطَـ ـ ـاولُ

ومثلُه عند الأقدمين قول المنَخل اليشكري[899]:

يعكُفْن مثل أساودِ الـ ـ ـ ـ ـ ـتنومِ لم تعكَفْ لِزور

ولكن المرقش الأصغر[900] شبهه بالحِبال طولاً وقال:

ألا حبذا وجه ترينا بياضه

ومنسدلاتٍ كالمثانِي فَواحِمـ ـ ـا

رابعاً: تَشْبيهُ الطّلل:

قال المخبلُ السعدِي[901] مشبهاً طللَ المحبوبة بالوشْمِ:

فكأن ما أبقى البوارح والـ أمطار من عرصاتِها الوشْم

---

[896] شرح القصائد السبع الطوال ص 86.

[897] المفضليات ص 213.

[898] المصدر السابق ص 94.

[899] الأصمعيات ص 60.

[900] المفضليات ص 245.

[901] المفضليات ص 114.

وكذلك ربيعة بن مقروم[902] يقول عن رسوم هند:

أمن آل هِنْدٍ عرفْتَ الرسوما

بجمران قَفْراً أبتْ أن تريما

تخال معارفَها بعدمـ ـ ـ ـا

أتت سنتان عليها الوشوما

ومثله قول عبدا بن سلمة الغامِدِي[903]:

لمن الديار بتَولَع فيبـ ـ وسِ فبياض ريطَةَ غير ذات أنيسِ

أمستْ بمستَن الرياح مفيلةً كالوشْمِ رجع في اليد المنكُوسِ

ومن المخضرمين من شبهه بالكتابة مثل عبدا بن عنمة[904]:

فلما رأيت الدار قفراً سألْتُها

فَعي علينا نُؤْيها ورمـ ـادها

فلم يبقَ إلاّ دِمنَةٌ ومنازلٌ

كما رد في خَط الدواةِ مِدادها

ومن ذلك لدى الأقدمين قول سلامة بن جندل التميمي[905]:

لمن طللٌ مثل الكتاب المنمق

خلا عهده بين الصلَيبِ فمطْرق

وقول معاوية بن مالك[906] عندما وقف على رسم محبوبته:

فإن لها منازلَ خاوياتٍ على نَملَى وقفْتُ بها الركابـ ـا

من الأجزاع أسفل من نُميلٍ كما رجعتَ بالقَلَم الكِتابا

والأمثلة السابقة التي استعرضتُها تعد دليلاً على امتزاج صورهم الشّعرية بكل خلجاتهم وجوانب حياتهم.

---

[902]) المصدر السابق ص 181.

[903]) المصدر السابق ص 105.

[904]) الأصمعيات ص 132.

[905]) المصدر السابق ص 379.

[906]) المصدر السابق ص 213.

الخاتمة

عرضتُ هذا البحث مقسماً لخمسة فصول شمِلَ كل فصل عدداً من المباحث، حيث ورد **الفصل الأول** بعنوان (كتاب المفضليات) قسمته لمبحثين، تحدثت في الأول عن المفضل الضبي مستعرضاً سيرته ومؤلفاته، وأخباره، وعرفْتُ في الثاني بكتاب المفضليات مشيراً لأهميته، وما حوى من قصائد وشروح. وفي **الفصل الثاني** أوضحتُ معنى كلمة مخضرم لغةً، وما شملتْه من معانٍ تختلف بين اصطلاح أهل اللغة وأهل الحديث، بينما جعلْتُ المبحث الثاني منه بعنوان (الإسلام والشعر) ذاكراً الشعر في عهد النبوة، والخلفاء الراشدين وموقفهم منه، خاوصاً لقضية ضعف الشعر الإسلامي أو شعر المخضرمين، واختص **الفصل الثالث** بدراسة الشعراء المخضرمين في كتاب المفضليات من خلال مبحثين: في الأول أجملتُ عددهم وأوضحت نسبهم. وفي الثاني ذكرت أشعارهم وأغراضهم وفي **الفصل الرابع** أوضحت بناء القصيدة لدى المخضرمين، تطرقت في المبحث الأول للمطالع والابتداءات موضحاً مدى مشابهتها لمطالع الأقدمين، وفي المبحث الثاني عرضت لحسن التخلص وتمثله في قصائدهم، وفي المبحث الثالث تكلّمت عن الخواتيم أو المقاطع. وانفرد **الفصل الخامس** بدراسة الوصف في شعرهم تناولْتُ فيه وصف الحيوان في المبحث الأول، ووصف السلاح في المبحث الثاني، وجعلت المبحث الثالث عن التشبيه في شعرهم مثل تشبيه النّاقة، أو الفرس أو المحبوبة.

ومن الدراسة السابقة خلصت للنتائج الآتية:

- إن التراث العربي الشعري غني بالمعارف والعلوم التى تحتاج لمزيد من الدراسات والبحوث كي تُجلِي غامضه وتدني ثماره وتؤكد أهميته للنشء والباحثين.
- علينا أن نهتم بدراسة معاجم اللغة العربية ونتدبر معانيها حتّى نتفهم تعدد المعاني لمصطلحى (مخضرم) و (شاعر مخضرم) فقد بينتْ عليهما كثيرمن القضايا والأحكام.

- إن اهتمامي بدراسة سيرة الشعراء المخضرمين نبهنى إلى أن معرفة العلم لا تنفصل عن معرفة أهله الذين هم القدوة الحسنة آن استعراض حياتهم، واستشعار معيتهم لذا أوصي بأن نهتم بدراسة شخصيات التراث العربي حتّى نتأثر بها، ويرث أبناؤنا ذلك الأثر.
- هناك كثير من الوقائع التاريخيه، والأخبار الاجتماعية، وأسماء البلدان لا تتضح إلا من خلال دراسة شعر المخضرمين.
- لم ألحظ فرقاً كبيراً بين شعر المخضرمين والجاهليين من حيث الألفاظ، أو الاغراض، أو الموضوعات، أو البناء الفني للقصيدة إلا بعض ما ارتبط منه بإحدى المواقع، أو برز فيه أثر القرآن، أو غلبت عليه ملامح التقوى.
- إن شعر المخضرمين وثيق الصلة بشعر الجاهليين والدليل على ذلك أنه لم يخْلُ من كثير من العادات الجاهلية مثل ذكر الخمر، أو الفحش في الهجاء.
- أسقطت من الدراسة عدداً من الشعراء الذين لم تتأكد لي خضرمتهم فآمل أن نجتهد في تقصي أخبارهم وأخبار سواهم في غير كتاب المفضليات.
- ومن أبرز ما وجدت من سماته:
- تمجيد الجهاد في سبيل ا لنيل ثوابه ورضاه
- والتأسي بكثرة ذكر الموت والفناء
- الصدق في التعبير والتصوير المستمد من وحي البيئة.

وأخلص إلى أن شعر المخضرمين يتطلب جهوداً متقدمة جداً تتمثل في تحقيق القصائد، من حيث نسبتها لقائليها، وعدد أبياتها، فهناك اختلاف كثير يلفّ بعضها بالريب والغموض، ولكنني حاولت جاهداً بهذه الدراسة أن أزيلَ بعضه لأضيف جديداً مفيداً، وأسأل ا   العلي القدير أن يجعلها مقبولة مرضية.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم
2- (**الأتابكي**) جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تحقيق د. إبراهيم على طرفان، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنّشر. د. ت. ط.
3- (**ابن الأثير**) نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي. جوهر الكنز. تحقيق د. محمد زغلول سلام. منشأة المعارف الأسكندرية. د. ت. ط.
4- (**الأصمعي**) عبدالملك بن قريب الأصمعي. الأصمعيات. تحقيق أحمد محمد شاكر، عبدالسلام هارون. بيروت، لبنان. د. ت. ط.
5- (**ابن الأعرابي**) أبو عبدا محمد بن زياد الأعرابي. أسماء خيل العرب وفرسانها. تحقيق نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح الضامن، مكتبة النهضة العربية ط1 1407هـ - 1987م.
6- (**الألوسي**) محمود شكري الألوسي البغدادي. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. دار الشرق العربي. بيروت. لبنان د. ت.ط.
7- (**الآمدي**) أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي. المؤتلف والمختلف. دار الجيل. بيروت 1991م.
8- إميل بديع يعقوب. المعجم المفصل في اللغة والأدب.
9- (**ابن الأنباري**) أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق د. إبراهيم السامرائي مكتبة المنار. الأردن. ط3 1405هـ - 1985م.
10- (**الأونبي**) أبو عبيد البكري. سمط اللآلي. تحقيق عبدالعزيز الميمني. دار الكتب العلمية. د.ت.ط.
11- (**الأيوبي**) ياسين الأيوبي. معجم الشعراء في لسان العرب. دارالعلم للملايين ط2 1987م.

12- (**ابن بشّار**) أبوبكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري.
- شرح ديوان المفضليات. تحقيق كارلوس يعقوب لايل. مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت 1990م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. المكتبةالعصرية - صيدا. بيروت. ط1 1423هـ -2002م.

13- (**بطرس البستاني**). محيط المحيط. مكتبة لبنان. د. ت. ط.

14- (**البغدادي**) عبدالقادر بن عمر البغدادي. خزانة الأدب. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة 1400هـ - 1981م.

15- (**التبريزي**) أبوزكريا يحي بن علي الخطيب التبريزي.
- شرح اختيارات المفضل. تحقيق د. فخر الدين قباوة دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان ط2 1407هـ - 1987م.
- شرح ديوان الحماسة. مطبعة حجازي القاهرة. د. ت. ط.

16- (**التهانوي**) محمد علي الفاروقي التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون. تحقيق لطفي عبدالبديع. مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر 1382هـ - 1963م.

17- (**أبوتمام**) حبيب بن أوس الطائي. الوحشيات. دار المعارف 1963م.

18- (**ثعلب**) أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب. مجالس ثعلب. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. دار المعارف. 1400هـ - 1980م.

19- (**الجاحظ**) أبوعثمان عمرو بن محبوب بن بحر الكناني الجاحظ.
- البيان والتبيين. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. در الفكر. بيروت. ط4. د.ت.ط.
- الحيوان. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. دار الجيل، بيروت. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1408هـ - 1988م.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. دار الجيل. بيروت. د. ت. ط.

20- (**الجبوري**) يحي الجبوري. شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه. مؤسسة الرسالة. د. ت. ط.

21- (**الجرجاني**) الإمام عبدالقاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. مطبعة الترقي القاهرة. د.ت.ط.

22- (**ابن الجزري**) عزالدين بن الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري.
   - أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق محمد صبيح. د.ت.ط.
   - غاية النهاية في طبقات القراء دار الكتب العلمية. بيروت. نشر برجستراسر ط3 1402هـ - 1982م.

23- (**الجمحي**) محمد بن سلام الجمحي. طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين. تحقيق الشيخ محمد سويد. د. ت.ط.

24- (**ابن جني**) أبو الفتح عثمان بن جني. المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة. دار الآفاق العربية. ط1 1420هـ - 2000م.

25- (**الجوهري**). إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار. دار العلم للملايين. بيروت.ط3 1984م.

26- حاتم صالح الضامن. عشرة شعراء مقلّون. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة بغداد. 1411هـ - 1990م.

27- (**حاجي خليفة**) مصطفى بن عبدا القسطنطيني الرومي الحنفى حاجي خليفة. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. دار الفكر 1402هـ - 1982م.

28- (**ابن حجة الحموي**) تقي الدين أبوبكر علي بن حجة الحموي. خزانة الأدب وغاية الأرب. منشورات دار مكتبة الهلال. بيروت. لبنان ط1 1987م.

29- (**ابن حزم**) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي. جمهرة أنساب العرب. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1 1403هـ - 1983م.

30- (**الحموي**) ياقوت الحموي الرومي. معجم الأدباء. دار الغرب الإسلامي. تحقيق. د. إحسان عباس، ط1 1993م.

31- (الخالديان) (أبوبكر محمد) و (أبوعثمان سعيد). الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين. تحقيق محمد يوسف. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1965م.

32- (**ابن خلدون**) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون. المقدمة. دار إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان، د.ت.ط.

33- (**ابن خلكان**) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق د. إحسان عباس. مطبعة دار الفكر. دار صادر بيروت. د. ت. ط.

34- (**ابن دريد**) أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد. الاشتقاق. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. مصر. د. ت. ط.

35- (**الذهبي**) أبو عبدا محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. دار الفكر العربي. تحقيق علي محمد البجاوي، وفتحية علي البجاوي. د. ت. ط.

36- ربيعة بن مقروم الضبي. ديوانه. تحيق تماضر عبدالقادر فياض حرفوش. دار صادر. بيروت ط1 1999م.

37- (**ابن رشيق**) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق محمد قرقزان، مطبعة الكاتب العربي، دمشق ط2 1414هـ - 1994م.

38- (**الزجاجي**) أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحق الزجاجي.
- مجالس العلماء. تحقيق عبدالسلام محمد هارون مكتبة الخانجي. بالقاهرة. ط3 1420هـ - 1999م.
- أمالي الزجاجي. تحقيق عبدالسلام محمد هارون دار الجيل. بيروت. ط2 1407هـ - 1987م.

39- (**الزركلي**) خير الدين الزركلي. الأعلام. دار العلم للملايين. بيروت لبنان. د. ت. ط.

40- (**الزمخشري**) جار ا أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

- أساس البلاغة. دار صادر بيروت. 1399هـ - 1979م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دارالمعرفة. بيروت. لبنان د. ت. ط.

41- (**أبوزيد**) أبوزيد الأنصاري. النوادر في اللغة. تحقيق د. محمد عبدالقادر حسن. منشورات جامعة الفاتح. د. ت. ط.

42- (**السجستاني**) أبو حاتم السجستاني. فحولة الشعراء. تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد. مكتبة النهضة المصرية القاهرة. 1411هـ - 1991م.

43- (**السكّري**) أبوسعيد الحسن بن الحسين السكري. شرح أشعار الهذليين. مطبعة المدني القاهرة. د. ت. ط.

44- (**ابن السكيت**) يعقوب بن إسحق بن السكيت. الألفاظ. تحقيق د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون ط1 1988م.

45- (**السماوي**) محمد بن محمد بن عبدالجبار بن محمد بن يحي السماوي اليماني. الموسوعة العربية في الألفاظ الضدية والشذرات اللغوية. بيروت ط1 1410هـ - 1989م.

46- (**السمعاني**) أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني. الأنساب. تحقيق محمد عوامة. مطبعة محمد الهاشم الكتبي. دمشق. د. ت. ط.

47- (**سيبويه**) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. الكتاب. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة 1412هـ - 1992م.

48- (**السيوطي**) الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. دار الفكر ط2 1399هـ - 1979م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. المكتبة العصرية صيدا بيروت 1406هـ - 1986م.
- شرح شواهد المغني. لجنة التراث العربي. د. ت. ط.
- الأشباه والنظائر في النحو. دار الكتب العصرية بيروت. لبنان. د. ت. ط.

49- (**ابن الشجري**) هبة ا بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي.
- أمالي ابن الشجري. تحقيق محمود محمد الطناحي مكتبة الخانجي. القاهرة. د. ت. ط.
- مختارات شعراء العرب. دار الجيل. بيروت. ط1 1412هـ - 1992م.
- حماسة ابن الشجري. مطبعة دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد. الدكن 1345هـ.

50- شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي. العصر الإسلامي دار المعارف ط21. د.ت.ط.

51- (**الضبي**) المفضل بن يعلى الضبي. المفضليات. تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون. دار المعارف ط8 د. ت. ط.

52- (**ابن طباطبا**) محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي. عيار الشعر. تحقيق محمد زغلول سلام. منشأة المعارف، الأسكندرية د. ت. ط.

53- (**الطبري**) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. تاريخ الأمم والملوك. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط1 1407هـ - 1987م.

54- أبو الطيب اللغوي. مراتب النحويين. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. مطبعة دار الفكر. د. ت. ط.

55- عبدا الطيب. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. دار الفكر العربي. د. ت. ط.

56- (**العسقلاني**) الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:

- - لسان الميزان. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. لبنان. ط2 1390هـ -1971م.
- الإصابة في تمييزالصحابة. تحقيق علي محمد البجاوي دار نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة. د. ت. ط.

57- (**العسكري**) أبو هلال الحسن بن عبدا بن سهل العسكري. الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق د. مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. ط2 1404هـ - 1984م.

58- عنترة بن شداد. ديوانه. دار صادر. بيروت. د. ت. ط.

59- (**ابن فارس**) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. دار الجيل ط1 1411هـ - 1991م.

60- (**أبو الفرج**) علي بن الحسين الأصفهاني.

- مقاتل الطالبيين. تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، د.ت.ط.
- الأغاني. دار الثقافة بيروت 1958م.

61- (**الفيروزابادي**) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي. القاموس المحيط. دار الجيل. بيروت. لبنان. د. ت. ط.

62- (**القالي**) إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي. الأمالي. لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل. بيروت. لبنان ط2 1407هـ - 1987م.

63- (**ابن قتيبة**) أبو محمد عبدا بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

- الشعر والشعراء. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الحديث. القاهرة. 1423هـ - 2003م.
- المعاني الكبير في أبيات المعاني. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1405 هـ - 1984م.
- عيون الأخبار. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. 1343هـ - 1925م.

64- (**قدامة**) أبو الفرج قدامة جعفر. نقد الشعر. تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجة. القاهرة. ط1 1978م.

65- **(القرشي)** أبوزيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي. جمهرة أشعار العرب. تحقيق خليل شرف. دارمكتبة الهلال. بيروت. لبنان ط2 1991م.
66- **(القرطبي)** أبو عبدا محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق عماد زكي البارودي، وخيري سعيد. المكتبة التوفيقية. د.ت.ط.
67- **(القزويني)** الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق رحاب مكّاوي. درالفكر العربي. ط1 2000م.
68- **(القفطي)** جمال الدين أبوالحسن علي بن يوسف القفطي. إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي. القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت. ط1 1406هـ - 1986م.
69- **(القلقشندي)** أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبدا القلقشندي.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1 1405هـ - 1984م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1405هـ - 1985م.
70- **(القيرواني)** أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني. زهر الآداب وثمر الألباب. تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد. دار الجيل. بيروت. 1419هـ - 1999م.
71- لبيد بن أبي ربيعة. ديوانه. دار صادر بيروت. ط3 1424هـ - 2003م.
72- **(المبرد)** أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. الكامل في اللغة والأدب. مؤسسة علوم القرآن. الشارقة. عجمان. دار الفكر العربي. بيروت. ط1 1999م.
73- مجدي وهبة. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مكتبة لبنان. بيروت. ط2 1984م.

74- (**المرتضى**) علي بن الحسن الموسوي العلوي الشريف المرتضى. أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1 1373هـ - 1954م.

75- (**المرزباني**) أبو عبدا محمد بن عمران بن موسى المرزباني.

- الموشح مآخذ العلماء على الشعراء. تحيق علي البجاوي. دارالفكر العربي. د. ت.ط.
- معجم الشعراء. تحقيق عبدالستار أحمد فراج. مطبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة. د. ت. ط.

76- (**المرزوقي**) أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة. تحقيق عبدالسلام هارون. دار الجيل بيروت ط1 1411هـ - 1991م.

77- (**أبو منصور الثعالبي**) أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي. خاص الخاص. دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان. د. ت. ط.

78- النابغة الذبياني. ديوانه. تحقيق شكري فيصل. دار الفكر ط2 1410هـ - 1990م.

79- ناصر الدين الأسد. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. دار الجيل، بيروت، ط7 1988م.

80- (**ابن النديم**) أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق النديم. الفهرست. تحقيق د. سفيان خليفة، وليد محمد العوزة. دار العربي للنشر. القاهرة 1991م.

81- (**النّمري**) أبوعمر يوسف بن عبدا بن محمد بن عبدالبر النّمري القرطبي. بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس. تحقيق محمد مرسي الخولي. دارالكتب العلمية بيروت. د. ت. ط.

82- نوري حمودي القيسي. شعراء إسلاميون. مكتبةالنهضة العربية. ط2 1405هـ - 1984م.

83- (**النويري**) شهاب الدين أحمد بن عبدالوهابالنويري. نهاية الأرب في فنون الأدب. مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. د. ت. ط.

84- (**الهندي**) الشيخ طاهر بن علي الهندي. المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. 1399هـ - 1979م.

85- (**اليزيدي**) أبو عبدا محمد بن المبارك اليزيدي. الأمالي. عالم الكتب. بيروت. ط2 1404هـ - 1984م.

86- (**اليماني**) عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني. إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين. تحقيق د. عبدالمجيد دياب. شركة الطباعة العربية. السعودية. ط1 1406هـ - 1986م.

87- يوسف حسين بكّار. بناء القصيدة في النقد العربي القديم. دار الأندلس للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط3 1403هـ - 1983م.

ملخص البحث

تحدث هذاالبحث عن شعر المخضرمين في كتاب (المفضليات) واقتصر على دراسته، وإبراز جوانبهِ الفنيةِ في خمسةِ فصولٍ: خص الأولُ منها كتاب المفضليات بتعريفٍ مفصلٍ في مبحثين: عرضَ أولهما سيرة المفضل الضبي ممثلةً في نسبهِ، وشيوخه، وتلاميذهِ وأخبارِهِ، ومؤلفاتهِ، ووضح ثانيهما أهمية كتابِهِ (المفضليات) من حيثُ عدد قصائِدِهِ، وشروحه. وجاء الفصلُ الثاني بعنْوان (المخضرمون) مقسما لمبحثين: شرح الأولُ معنى مخضرم لُغةً، وتحدث الثاني عن الإسلام والشّعر مستعرضاً عهد النبي صلى ا عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين، وموقف الصحابة رضوان ا عليهم من الشعر، بالإضافةِ لمناقشةِ قضية ضعف شِعر المخضرمين والإسلاميين. بينما كان الفصلُ الثالثُ دراسةً للشعراء المخضرمين في المفضليات: المبحث الأول منه عن عددهم ونسبهم، والثاني عن شعرهم وأغراضهم. واختص الفصلُ الرابع بعرض لبناء القصيدة لدى المخضرمين، تطرق المبحث الأول (للمطالع) أو الابتداءات بالنسيب أو الغزل مقارناً ذلك بنماذج من شعر الأقدمين، وأبان المبحث الثاني حسن التخلّص أو ما يعرف بـ (الخروج)، وخُص المبحث الثالث للحديث عن (الخواتيم أو المقاطع) مبيناً نهج الأقدمين في ختام قصائدهم، وملْمِحاً لأوجه مشابهتهم أو مخالفتهم للمخضرمين. أما الفصل الخامس فقد شرح (الوصف عند المخضرمين) تناول المبحث الأول وصف الحيوان مثل الإبل، والفرس، والثور الوحشي، والمبحث الثاني وصف السلاح من سيفٍ و رمحٍ ودرع. وانتهىالمبحث الثالث لايراد التشبيهات مثل تشبيه الفرس بالعصا أو القطا، وتشبيه الناقة بالفحل أو القصر، والمحبوبة بالظبية وغيرها من التشبيهات.

Abstract

This thesis tackles the artistic aspects of the poetry of the Mukh adramin (=the poets whose life span bridges both pre-Islamic and Islamic periods) as in the anthology of al-Mufaddaliyyat (=a famous Arabic collection of poems by pre-Islamic and Islamic poets collected by al-Mufaddal ad-Dabbi, an Arabic scholar and critic).

The study is made in five chapters:

Chapter I:

It is devoted to the author biography and the importance of his collection al-Mufaddaliyyat as to the number of the poems and the explanations made threon.

Chapter II:

This chapter tackles the lexical meaning of the word al-Mukhadramin and the attitude of Islam toward poetry as from the time of the Prophet (PBUH), the time of the Orthodox Caliphs and the attitude of the Prophet' companions toward poetry, including the issue of weakness of the Mukhadramin and the Islamic poets.

Chapter III:

It is a study on the Mukhadramin poets in al-Mufadaliyyat, their number, their tribes, their poetry and the topic they tackled.

Chapter IV:

It exposes the main elements of the Mukhadramin poem, as to the opening vrses compared with the Arab ancient poetry, the perfect move to other poetic issue (the Khurouj) and the poetic conclusion (the Khawatim) with contrast and comparison with Arab ancient poets.

Chapter V:

It is about the descriptions of the Mukhadramin, such as naimal description (the camel, the horse and the wild ox), the description of weapon (the sword, the spear and the – armor) as well as the frequent different types of the simile.